

وترفع الستارة

فلك حصرية

تراني أملك القوة والقدرة الكافيتين القادرتين على الإعلان بجرأةٍ، وتحرر، ومسؤولية، فأُصرّح جاهرة:

هذه المسرحية تعرضني، وتلك الشخصية تُمثّلني، وذلك الصراع يميط اللثام عن وجهي الآخر الغامض، الأناني، المؤذي، والمخيف...

وجهي، وملامحي، وسلوكياتي التي استطاعت أن تكشف أكثر من تشكيل، وأكثر من وجه مخفي مطمور في الرمال المتحركة، وقل حمل الضدين: الخير والشر، التسامح والحقد، الطيبة والخبث، واللوم والانتقام، والبساطة والتعقيد الـ.... فيما أحاول أن أُثبت مقدرتي على الوقوف تجاهها والتسمّر بمكاني قوية كما أريد أن أكون وشفافة كما أتطلع لأكون وكلي رجاء أن أغتسل بغمام انهمار الواقعية بعيداً عن الرتوش، ومن دون إخفاء وتلاعب لما في تركيبي من نقص وسلبيات وربما الكثير من النواقص ككل بشر وكائن إنساني ... فالإنسان يبقى إنساناً...

على حين غرّة، وفي غفلةٍ من الزمن، يسقط القناع عن الحدث، ويزول الزّيف، وتغيب كل الاحتمالات، فتمسي الحقيقة متفردة ترفرف بجناحها فوق مسرح العرض، وتُمسح خطوط الطول والعرض في كيان المسرحية فيما الأحداق تتسّع، والآذان تنصت، والقلوب تتوقف طرقاتها، وتجن نبضاتها وقد خرجت من عقالها: فتكسر أنت أيها الفكر؟؟ وتائهة أنتِ أيتها الذاكرة؟؟ ما أصعب

سقوط الأقنعة عن الوجوه ؟ ويا لشقاء ينبوع خرج عن مساره، واحتج على منبته، ورفض تركيبه تشكله الأولي؟؟

يا لبؤُس من أسقط المسرح عن وجهه القناع، ويا لشقائي وأنا أرى في دروب الحيرة مصائر تاهت في النهايات بعدما أضلها نص المسرح في البدايات، وأسقطها في زواريب الصراعات، فأضاعت ألقها في سقطات خيبة، واهتزازات أوهام واعتراضات.

أنا.. أنت.. هو.. نحن.. هم.. أنتم.. كلنا والحياة تعرضنا تفاصيل المسرح بكل ما فينا، وما علينا، ما لنا وما لكم، وعليهم و تشرحنا النصوص، وتفضحنا احتمالات المراوغة، مقبولة كانت أم مرفوضة حتى ولو كانت في مكمن السر الغامض العميق العميق أو في أعمق نقطه لا عودة من تفاصيل مسيرة تعاد صياغتها بأحرف من سرمد، وخطوط من حنين، وخيوط من لجين غروب شخصيات تنبعث حركة، حية، نبضاً، صخباً، فكراً بين هنا وهناك، تحتل خشبة المسرح بإصرار على الاستمرار والتجسد، وهي تسعى بجهد كبير وتركيز موظف على الأخذ بيد الجمهور لولوج غمار الصراع، ووضعه بتفاصيل تردداته، وأبعاد تشعباته، ونزاعات نفسيات أدواته الموظفة، وشخوصه الهاربة من سجن الورق، والساعية إلى عالم اللحم والدم والواقع الناهض بالنص المسرحي، وأبطاله، ومؤثراته، وموسيقاه، هو ديكوره، وزمانه وحركته، وصراعه، ومن ثم الوصول إلى شاطئ إسدال الستارة والإعلان غير المباشر عن انتهاء العرض.

أنا هنا أيتها الحياة وأنت هناك أيها المسرح ـ أنت هنا أيها المسرح ـ وأنت هناك أيتها الحياة كلاكما يشكل الصراع صنواً له وكلاكما يخرج من الآخر من الحقيقة إلى الخيال، ليبقى الفرق الأقوى من الحقيقة بينهما أن الحياة مسرح حقيقي بشخوصه، وصراعاته، ومؤثراته، وأزمنته، وأمكنته في حين المسرح صدى لحقيقة حدث ورد فعل مجسد للشخوص والموسيقا والمؤثرات والديكور.. و....

ليتبقى في النهاية، ونبقى الحياة مسرحية بلا نص، ومشاهد بدون تحضيرات، ومصائر تتحكم فيها إرادة الواحد الأحد الفرد الصمد .

على كل حال، يبقى للمسرح ألقه، وقد تزاحمت أدواته وامتزجت مفرداته لرسم صورة ساحرة تجتهد كل مكوناتها لتجعل العرض متناغماً (الإضاءة.. الموسيقا.. الديكور.. المؤثرات .. الشخصيات)، فترى كل شيء ينبعث من عالم السكون إلى الحركة، ومن المجرد إلى الواقع، ومن اللاوعي إلى الوعي والحقيقي، ومن الهدوء إلى الضجيج، ومن الموت إلى الحياة...

ها هي الستارة ترفع - كما جرت العادة - فينفرج المشهد عن بداية تقدمه فوق خشبة المسرح، أكثر الفنون رقياً، وأقدمها زماناً حتى ليذهب البعض إلى القول بأنه أبوها ويزيد الفنان الروسي الشهير: (كونستانتين ستانسلافسكي) من أهميته بقوله:

(هو أقوى المنابر جميعاً ولأن تأثيره أمضى من الكلمة المكتوبة في الصحافة)

هذا غيض من فيض عن المسرح أبي الفنون، وأولها منذ أيام الإغريق والرومان وقدرته على المؤالفة بين عناصر فنية متعددة حيث كانت المسارح هي الوسيلة الوحيدة للتعبير الفني بعد حلبات المصارعة والسباقات وإن كان هناك اختلاف في بداية نشأة المسرح إلا أن بعض الباحثين يعزي البداية الحقيقية للمسرح بشكله المتقدم وقوالبه المنتظمة إلى الحضارة الإغريقية واحتفالات الإله (ديو نيزوس)، علماً بأن الفراعنة قبل ذلك قد عرفوا أشكال الفرحة، والاحتفال، وقد وجدوا في مخطوط لمسرحية دينية مصرية كتبت قبل /2000/ سنة ق. م دليلاً على ذلك وهي تؤرخ لقصة الإله(اوزوريس) وبعثه، وهو المكُلف بمحاكاة الموتى في الأساطير الفرعونية ...

يعد المسرح الناضج المتطور أحد أبرز مقومات الحضارة، ولهذا اتجهت إليه دوماً جميع المواقف فتحمله رسالتها، وتلزمه بقضاياها، لتترك انطباعها المؤثر في وجدان الإنسان وذاكرته..

لقد كانت فترات النهوض العربية وحركات التحرر التي عصفت بالمنطقة في نهاية (الخمسينات وبداية الستينات)، قد قدمت للكثير من المؤلفين، وكتاب المسرح فرصة للاطلاع على مسارح البلدان الأخرى، والعمل على تطوير منهاج المسرح السوري وهنا لا ننسى المبدعين:

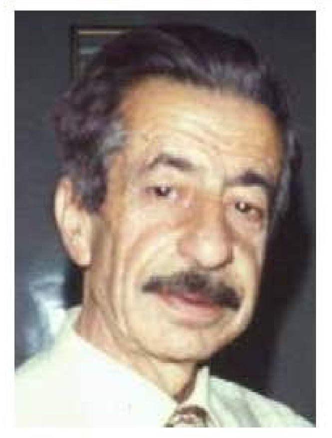
(سعد الله ونوس _ محمد الماغوط _ ممدوح عدوان)

وهم في طليعة من أدوا دورهم الجبار في إعلاء الصرح الشامخ والبناء الهام والأساس لما يسمى (المسرح السوري) فمن منا لا يعرف أو قرأ عن مسرحية (حفلة سمر من أجل 5 حزيران) التي ردت بقوة وتعرية للأنظمة العربية إبان هزيمة حزيران (1967)وحقيقة تغيب الشعب عن واقعهم الرديء. كذلك من منا ينسى تلك الإبداعات المسرحية التي قدمت عبر (غربة ـ كاسك يا وطن ـ ضيعة تشرين ـ شقائق النعمان)...

أخيراً ...

وفي هذا العدد الموجه نحو المسرح تحاول المجلة أن تلقي الضوء حول (أبو الفنون)المسرح في محاولة لالتقاط بعض جوانب الجذب الخاصة به ومن خلال كوكبة من الكتاب المسرحيين والنقاد، ومختصي هذا الفن الراقي والحضاري والثقافي الهام، راجين أن يأتي إصدارنا هذا على مستوى الطموح المطلوب، والأهمية التي تليق بفن هو اليوم ـ للأسف ـ بحكم النقاهة، وبحاجة إلى استشفاء سريع .

لكم منا التحية، وللمسرح أطيب الأمنيات بعودة سريعة تليق به وبطموح الثقافة والحضارة والفن، وارضاء ووفاء وتقديراً لحاجتنا الملحة _جداً_ لمثل هذا الفن العريق، الجميل والبديع .



مسرحيــة
البــوّابـــــة

عبد الفتاح رواس قلعه جي*

الشخصيات

سمير	:	(الرجل) تاجر وصناعي.
البواب	:	إنسان غريب الأطوار، صامت، يعمل بواباً وخياطاً على باب مدينة مجهولة.
مارية	:	(المرأة) زوجة سمير.
المساعد	:	مساعد المرأة في الأعمال الإنسانية
الكنّاس	:	على شكل روبوت صامت حركاته ميكانيكية.

(في صدر المسرح باب زجاجي كبير مغلق في سور مدينة مجهولة، لا حاجة لأن يكون السور مكتملاً حتى جانبي المسرح فهو يضيع مع الامتداد في جو ضبابي غائم.

يغمر الضوء الباب بين الحين والآخر مما يوحي بأنه سيفتح وتمر مع الالتماعات من ورائه ظلال أشباح لأناس رجال ونساء يعلو وجوههم شحوب وصفرة، ثم يعود مظلماً وتختفي الأشباح.

شاشة على جدار تنعكس عليها بعض الشرائح الضوئية.

* كاتب وباحث مسرحي وكاتب سيناريو. بلغت مؤلفاته أكثر من ثمانين مسرحية وخمسين كتاباً وترجمت الكثير من أعماله إلى لغات عدة. إضافة إلى أنه عضو لجان تحكيم مهرجانات عربية ودولية.. عرضت أغلب أعماله في مهرجانات مسرحية سورية وعربية.

أمام الباب مظلة على عمود وتحتها الحارس وهو خياط يخيط قطعاً من القماش الخيش الخشن والرخيص الثمن جداً، وهو بألوان عدة، وبجانبه قطع القماش مقصوصة وجاهزة للخياطة، وإلى جانبها مشجب على عمود علَق عليه بعض أعماله المخيطة، وهو يجلس إلى ما كينة خياطة قديمة تدار باليد ويسمع حين عملها صوت المسننات الصدئة وصوت تكات إبرة الخياطة. الرجل كهل بشعر أزرق أشعث، وعلى عينيه نظارة طراز قديم مربوطة بشريط إلى رقبته. على وجهه قناع صنع بوساطة المكياج الكثيف، وجهه بلون حواري ، وأذناه حمراوان طويلتان مدببتان، وله لحية بشكل عثنون يمسدها تارة ويمشطها تارة أخرى، يلبس قنبازاً طويلاً بأكمام طويلة وبلون أحمر ناري.

الرجل صامت لا يتكلم أبداً على الرغم من أنه يسمع جيداً.

شجرة تساقَط قسم من أوراقها الصفر على الأرض مما يوحي بأن الفصل خريف.

مقعد خشب بمسند يتسع لثلاثة أشخاص تحت الشجرة.

المشهد الأول

(الخياط الكهل وبين يديه قطعة قماش سوداء يخيطها، وتسمع تكات الإبرة وصليل المسننات.

يدخل رجل أنيق تجاوز الأربعين عليه مظاهر الثراء يرفع مظلة مطرية ويجر وراءه كلبه، إنه كلب بشري يسير على رجليه بقدمي كلب، ويضع على وجهه قناع كلب، له ربطة عنق بلون بني، ويكسو جسمه ثوبٌ حريري موبَّر ومفصل بما يلائم جسم كلب وله ذيل، وهو يقلد الكلب في مشيته.

يتجه الرجل نحو الباب ويحاول فتحه عبثاً.. يطرق الباب وما من مجيب).

الرجل: إنه مغلق، **(يخاطب الخياط حارس البوابة)** متى يفتح الباب؟

(الحارس لا يجيب ويستمر في عمله غير آبه، يقترب الرجل منه)

هل أنت حارس البوابة؟

(يتوقف الحارس لحظة عن العمل ولا يجيب وينظر إلى المظلة)

الأرصاد الجوية تقول إنها ستمطر وأنا أحب الحيطة واستباق الأمور، ستفسد ثيابي إذا نزل المطر.

(الخياط يتابع عمله بصمت)

أنا اكره المطر، أنت لديك مظلة تقيك من المطر أما أنا.. **(صمت قصير)** هل أنت الحارس أم مجرد خياط أمام باب المدينة..**(صمت)** بالتأكيد أنت مجرد خياط **(يقترب منه ويلمس قطعة القماش)** وماذا تخيط أكياساً أم تخيط أقدار الناس؟ **(مستدركاً ويضحك)** آسف ولكن لك وجه قبيح مشؤوم كوجه ملاك الموت. ولكن من سيشتري منك هذه الأكياس المصنوعة من الخيش الخشن الرخيص الثمن؟

(الحارس ينظر إليه باستخفاف ويتابع العمل).

يجب أن أسافر، حجزت تذكرتين درجة أولى لي ولكلبي.

(يجلس على المقعد ويقعي كلبه أمامه، يداعب الكلب بيده)

ستسافر مع رجال الأعمال يا بوبي **(للخياط)** في الحقيقة هو أحد عمال مصنعي، مات كلبي فطلب مني أن يأخذ مكانه، يتوقع أنه سيعيش بوظيفته الجديدة عيشة مرفهة. رفضت له طلبه مرات وظل يلح عليّ، هو ارتضى لنفسه ذلك، بعضهم كهذا الكائن. **(يخاطب الكلب)** ستلبس يا بوبي أفضل الملابس من حرير معاملي، وتأكل أفضل أنواع الطعام من المعلبات الخاصة بالكلاب، مع وجبتين أسبوعياً من لحم العجل الطازج **(يخاطب الحارس)** مشكلته أنه نسي الكلام ولم يتعلم النباح. **(للحارس)** وأنت لماذا لا تتكلم؟ هل أكلت لسانك القطة **(يضحك لنكتته)** قالوا في الأمثال:

بُليتُ بأخرس ما قد كفاني فكيف إذا بليت بأخرسين؟

(ينهض ويضع أذنه على الباب ويتصنت)

لو أعلم ما يجري وراء هذا الباب، سفري ضروري لاجتماع كبار رجال الأعمال. أرجو ألا يتأخر فتح الباب.

(يغلق المظلة ويسير قليلاً يتبعه كلبه، الخياط يتابع عمله)

يبدو أنها لن تمطر، نكذب حتى في نشرة الأحوال الجوية.

(الخياط ينظر إليه ويضحك ضحكة صفراء)

اضحك كما يحلو لك أنت تذكرني بأولئك الذين سخروا مني وضحكوا ضحكة صفراء متهمين إياي بالهروب تارة والخيانة تارة أخرى حين قلت لهم: (خلينا نترك الشقا لمن بقا)*

(يتلامع الباب بالضوء وتشاهد ظلال أشباح تمر من ورائه، يهرع الرجل باتجاهه ويتبعه كلبه)

أظن أنه سيفتح الآن.

(عندما يصل إليه يظلم الباب، فيُصدم الرجل ويعود خائباً إلى مكانه)

لم أتعرض إلى موقف كهذا الموقف الآن، باب حقير كتلك الحواجز التي تمتد من شرق البلاد إلى غربيها يمنعني من السفر! ولم يمنعني أحد من السفر من قبل، وأنا الذي عندما اشتدت الحرب وامتدت في البلد سافرت تحت القصف ونقلت معاملي إلى الخارج، إلى بلد مأمون ومستقر بالنسبة للصناعي **(صمت قصير)** هناك اتسعت أعمالي حتى أصبحت شريكاً رئيسياً في شركة لتصنيع المدافع، وتوليت جانباً واسعاً في تسويقها وبيعها إلى منطقة الشرق الأوسط وبخاصة إلى المناطق الملتهبة. تصوَّر.. من مُنتج للحرير ونعومته وجماله إلى منتج للمدافع وضراوتها وهديرها. **(صمت)**

كنت أبيع السلاح حتى إلى بلدي الغارق في المعارك العبثية، أمد الطرفين المتحاربين بالسلاح وأجمع أنا وشركائي الأرباح.

(الخياط ينظر إليه بحدة واستغراب)

لا تنظر إليَّ هكذا ولا تحدثني عن الوطن. وطنك مالُك، أما أولئك الرومانسيون الذين يدعون حب الوطن ويتغنون به فهم الذين دمروا الوطن.

---

* حكمة شعبية تنصح بالمغادرة والهرب أيام الأزمات.

(يقف أمام الخياط وينقر على الطاولة لجذب انتباهه، الخياط يتوقف عن العمل وينظر إليه)

اسمع أيها الخياط.

عليك أن تخيط هذه الكلمات مع هذه الأقمشة التي بين يديك: المرء يصنع خلاصَهُ بنفسه ويدرك سر الحق والباطل، وأنه يجب أن يتعايشا في بيئة حرة، فإذا اصطدما فيجب عليه أن يضحي بالمبادئ في سبيل تحقيق رغباته وطموحه. **(صمت قصير، يبتعد عنه قليلاً)**

هذا ما علمتني إياه هذه الحرب. وما هي الحرب ..؟

دعنا من المثاليات والشعارات الزائفة، الحرب مجرد صفقة تجارية، لا بد أن يكون أحد طرفيها خاسراً والآخر الرابح، وأنا لا أريد أن أكون الخاسر، وهل السلوك البشري لأولئك المثاليين سوى البيع لأرواحهم في كل ساعة مقابل أشياء تافهة.

(يشير الحارس إلى صدره معبراً عن خلو الرجل من الوازع الديني أو الضمير)

تظنني بلا وازع ديني أو ضمير؟ أنت مخطئ، ولكن لي ديني الخاص. أنا أسعى إلى مجتمع بلا فقراء؛ الفقر جريمة، فهو يقضي على مدن بأكملها. الفقر تلك الحقيقة التي نبغضها وتسخر منا.

(إشارة تعجب من الخياط)

ههه **(يضحك ساخراً)** فقير لكن شريف، فقير لكن محترم.. هذا هراء، وعبارة لا تمت إلى الأخلاق ولا إلى جوهر المسألة بصلة.

الفقر والبؤس والجوع والبرد والإيجار والضرائب تسممنا خلقياً وجسمانياً وتميت أرواحنا، ولهذا ومن خلال تديني الخاص القائم على ثالوثي المقدس: المال والحرير والسلاح، أسعى إلى توفير حياة طيبة لعمالي. لقد أفدت من نعومة الحرير نعومة التعامل مع عمالي والناس الآخرين، إن الشعور بالحرمان لديهم يدفعهم إلى أن يثوروا علينا ويجرونا إلى الهاوية **(صمت)** لا أريد أن أدافع عن النظام الرأسمالي ولكن ذلك هو الواقع، در مع الدنيا حيث تدور.

لقد حرصت على أن تكون مصانعي نموذجية، حتى إني أقمت جامعاً في كل منها. هناك حيث الهدوء والسلام والجمال. قال لي أحدهم : ولكن هذا ضار بتجارتك، قلت: لا ..أبداً، بل إنه يهمني سياسياً واقتصادياً، حتى إني عندما تتوتر أعصابي أذهب إليه ، ربما كان الخطيب يخطب في المصلين ثم يؤمهم، وأنا في ركني في المعبد هادئ صامت لا يعنيني ما يقول أو أن أفهم شيئاً منه، أو من تراتيلهم وإنشادهم بين الحين والآخر.

(صمت طويل كأنه يستذكر ماضيه، يتجه نحو مقدمة المسرح)

أنا إنسان ربيت في ميتم، ورثت كنزاً عن أب لي بالتبني لم يرزق بولد، ماتت زوجته ولم يتزوج غيرها. وعلى سلم ثالوثي المقدس ارتقيت أعلى درجات المجتمع، لقد انتهيت من الدين الموروث بعد أن صنعت خلاصي بنفسي، أنا خالق ذاتي.

(يلتفت فيرى الخياط ينظر إليه نظرة استهجان).

أنت تستهجن ما أقول، إنك لا تدرك معنى أن يكون الإنسان لقيطاً.

(الحارس يشير بأصابع ثلاثة مستنكراً ثالوث الرجل المقدس)

أنت تستنكر ما قلته عن الثالوث المقدس، أغلب الديانات قائمة على التثليث، لا تستغرب فهذه فلسفتي الواقعية؛ يقولون لي، يكتبون في الصحف، إن مالي ملوث فيه رائحة البارود وشرور الرأسمالية.

(صمت لحظة، يسير نحو البواب خطوات ويتحدث كأنه خطيب واعظ)

المال الملوث خير من الموت جوعاً، الرومانسية واليوتوبيا وأحلام الشعراء لا تنقذ بلداً جائعاً. إن العالم لا يتأثر بلغة ميتة وحضارة ميتة، لا بد للناس من القوة، والقوة في المال والاقتصاد، الحياة حرب أزلية. إذا أرسلت ابنك للحرب فإنك لا تزوده بديوان المتنبي ولا بجمهورية أفلاطون، وإنما ببندقية وثلاثة مخازن للرصاص.

(يتابع الكلام وهو يدور حول الخياط وكلبه يتبعه مؤكداً رأسه على قول سيده)

المال ثم المال ثم المال، معامل الحرير وأرباحها الخيالية والاتجار بالخيوط رفعتني إلى مرتبة سيناتور ذي حصانة قضائية، ثم إلى مرتبة وزير، وكان هذا الأمر مفيداً في عملي وفي علاقاتي مع الناس ومضاعفة أرباحي.

أما الوازع الديني ، أو الضمير، سمه كما شئت، فلا يهمني ما دامت علاقتي برجال الدين جيدة، والمنظمات الدينية تلعب دورها المفيد في مساندة نظام الاقتصاد الحر، تعجبني هذه التسمية كإشارة مهذبة وحديثة للنظام الرأسمالي. أغلبُ شيوخ الدين بخطابهم الديني يجردون الناس من أنيابهم بحديثهم عن العبادات فقط أو سيرة أبطالنا المتعبدين الأوائل، وعن الجنة والنار، ويحضونهم على طاعة أولي الأمر في السياسة والاقتصاد، وهذا يفيدني ويبعد العامة عن الثورة والأفكار الغالية، وفي المقابل أنا لا أبخل بشيكاتي على هذه المنظمات الدينية أو الخيرية، مع جهاز إعلامي خفيّ يبرز مبادراتي الإنسانية.

(صمت قصير)

أحد الخطباء كان يشبِّهني بالصحابي عبد الرحمن بن عوف وكان تاجراً غنياً فاحش الثراء ومشهوراً بفعل الخير حتى إنه تبرع بحمولة قافلة كاملة لفقراء المدينة.

(ينهض الخياط وقد أنهى الثوب الغريب الشكل الذي يخيطه ويقيسه على طول الرجل متأكداً من ملاءمته له).

ماذا تفعل؟ هل كنت تخيط ثوباً لي من هذا القماش الخشن التافه؟ **(مستنكراً)** ثوب بلا أكمام.!

(يغمر الضوء الباب وتظهر أطياف الأشباح خلفه، يهرع الرجل نحو الباب تاركاً الخياط وقبل أن يصل يكون الباب قد أعتم ويظل مغلقاً. يعود إلى مكانه خائباً، ويكون الخياط قد عاد إلى مكانه أيضاً)

ما قصة هذا الباب؟ وهل سأبقى هنا حتى يفوتني موعد الاجتماع؟

(الخياط لا يجيب، يتناول تعلوقة ويركز الثوب عليها بعناية ثم يعلقها على مشجب بعمود إلى جانبه)

أراك علّقت ما صنعت على المشجب، كأنك تعرضه للبيع، ومن سيشتري مثل هذا الثوب المسيخ؟

الحارس لا يرد ولا يولي كلامه اهتماماً)

ماكينة خياطة صدئة من عهد عاد، وقماش رخيص خشن لا يصلح إلا لأكياس القمامة ، وخياط غبي أخرس له وجه جني قبيح. أية صدفة اعترضتني اليوم وأخرتني عن السفر؟

(الخياط وقد استفزته كلمات الرجل يسحب درج طاولة ماكينة الخياطة ويتناول منها بضعة أوراق مما تساقط من أوراق الشجرة ويدفعها على الطاولة باتجاه الرجل طالباً منه رؤيتها)

ها.. لعلك غضبت من وصفي إياك، وتريدني أو أطّلع على هذه الأوراق التي تساقطت من الشجرة .. هههههه **(يضحك)**.

(يغير الرجل رأيه ويتقدم باتجاه الطاولة)

(هااا.وما الذي سيكون فيها سوى الخريف وصفرة الموت؟

(يتناول الأوراق ينظر فيها فتصيبه الدهشة والحيرة مما كتب عليها)

أووه .. لعلها واحدة من سخافاتك وألاعيبك، أو أنك ساحر شرير تريد أن تخيف الناس وتسحرهم بهذه الأوراق.

(الخياط يشير إليه أن اقرأ)

هل أنت كتبت أسماء أناس على هذه الأوراق لتسحرهم..؟ **(يضحك ساخراً)** أنا لا أومن بهذا، ولا يستطيع أحد أن يسحرني.

(يبدأ الرجل بقراءة الأسماء المكتوبة عليها ورقة ورقة)

مختار بن إبراهيم وأمينة، **(ورقة أخرى)** حمد بن عنيزي وخديجة، **(ورقة أخرى)** جورج بن سابا وفيوليت، **(ورقة أخرى)** سعيدة بنت سعيد ومسعودة، **(ورقة أخرى)** بوران بنت أوغلي وسارة خاتون.

(يرمي بقية الأوراق على الطاولة ويهرع نحو الشجرة).

(يقف الرجل تحت الشجرة ويتناول من الأرض قبضة من أوراقها ويفحصها، ويحاول قراءة شيء فيها، ثم يرميها ويتناول قبضة أخرى. البواب يتساءل بالإشارة عما يفعله الرجل)

أبحث عن الورقة التي أجد اسمي مكتوباً عليها.. لعلك فعلت ذلك معي أيضاً.

(صمت قصير)

كلا لم أجد اسمي.

(يرمي بالقبضة على الأرض)

أرجو أن يفتح الباب قبل أن تسقط آخر ورقة في الشجرة، أخشى أن يفوتني الاجتماع ولدي مشروع استثمار كبير سأعرضه على مجموعة كبار رجال الأعمال.

(تتهاوى بضع أوراق جديدة من الشجرة وتحركها الريح فيلاحقها وهي في الهواء ليمسكها.

تختلج أنوار الباب، وتظهر من خلفه أطياف أشباح تمر.

يشتد اختلاج الأضواء في جميع أرجاء المسرح ، ويهرع الرجل نحو الباب ولا يتبعه كلبه. الرجل يصطدم بالباب.

يظلم المسرح هنيهة خاطفة، ويسمع صوت اصطفاق الباب في الظلام، وعندما ترتفع أنوار المسرح يكون الرجل قد اختفى وبقي كلبه.

الكلب الإنسان يخلع ثوب الكلب ويسير مغادراً المسرح.

الخياط يتناول قطعة قماش أخرى خضراء ويعود إلى عمله على ماكينة الخياطة)

(إظلام)

المشهد الثاني

(المكان نفسه أمام باب المدينة المجهولة والخياط منهمك في العمل على ماكينة الخياطة، تدخل امرأة شابة في حدود الخامسة والثلاثين، تتميز بالطول والأناقة والجمال، في ثياب هي أقرب إلى ثياب الراهبات وحجابها، وعلى صدرها تتدلى قلادة من خيوط ملونة مضفورة تنتهي بقلب من قماش مطرز، تعلق على كتفها محفظة أنيقة، وفي يدها قفص فيه طائر مغرّد، والغريب أن باب القفص واسع ومفتوح والطائر لا يهرب).

المرأة*: **(يسبق دخول المرأة صوت تغريد طائر ثم تدخل عَجِلة وتسأل الحارس الخياط)**

هل مر من هنا وعَبَر الباب؟

(الحارس يتوقف عن الخياطة ويشير بأصابعه متسائلاً بصمت من؟)

زوجي، رجل أنيق يحمل مظلة.

(الخياط يشير بأنه مرَّ وعبر الباب)

أوه.. كنت أريد أن يوقع لي بعض الشيكات قبل أن يسافر. ومتى يفتح الباب؟

(الحارس يشير بأنه لا يعرف)

خسارة.. فأنا أود أن ألحق به قبل أن يركب الطائرة.

(الخياط يشير إلى الطائر متسائلاً)

أوه.. طائر كناري، هل يعجبك صوته، ربيته على الحرية فصار يلازمني.

(تعلق القفص على الشجرة)

هل تصدِّق؟ إنه صديقي الروحي، بعض تغريداته رسائل وقصائد أقرأ فيها هاتفاً يكشف لي الطريق. **(تلتفت إليه وتخاطبه)** أوراق هذه الشجرة تصفرُّ وتتساقط، لم يبق فيها إلا القليل، هل كان فيها طيور مغردة عندما كانت مورقة في الربيع؟

(الخياط لا يجيب، ويعود إلى العمل على ماكينته)

ما لَك لا تجيب؟ أنت تسمع جيداً فلماذا لا تتكلم؟

(ينظر إليها ثم يتابع عمله)

طيب.. أنت حر.. من أنواع الصيام، الصيام عن الكلام كصيام أمنا مريم، ولكنه لا يجوز أن يتجاوز ثلاثة أيام، ، لقد سماني أبي مارية تبركاً باسمها ثم مات.

---

* طائر الكناري يتميز بألوانه الجميلة وغنائه العذب ويتميز تغريده المتواصل بمجموعة كبيرة من المقاطع الصوتيّة الفريدة من نوعها.

(يتوقف عن العمل ليضع خيطاً جديداً في إبرة الآلة)

ولكن ما دمت تصر على الصمت الدائم وهذا أفضل فإنني أستطيع أن أتحدث عن نفسي بحرية، فأنت صندوق مغلق.

(الخياط يضم الخيط في إبرة الماكينة ويستأنف الخياطة)

كان عليَّ أن أعمل في معمل الحرير حيث كان أبي يعمل فيه، لأعيل والدتي وأتابع إنهاء رسالتي الجامعية، كان موضوعها في الحرية والفلسفة والأخلاق.

(الخياط يتوقف عن العمل منجذباً إلى حديثها، الطائر يعاود التغريد)

جاءني ذات يوم وأنا في معمل الحرير وقال:

(تعطي ظهرها للخياط وتقف أمام قفص الطائر تداعبه بإصبعها وتخاطبه وكأن الرجل يتجسد في الطائر)

صـــــوت **(وكأنه صادر من قفص الطائر)**

الرجل: يرحم الله الوالد، هل تتزوجينني يا مارية؟

المرأة **(تظل في وضعها وكأنها تخاطب الطائر في هذا الحوار القصير)**

هل تسخر مني يا سيدي؟

صـــــوت الرجل: أنا لا أسخر، تعرفين أنني جاد في جميع أموري، وأنا أعرفك جيداً من خلال مشاهدتي لك وأنت تعملين في معملي، ومن خلال متابعتي أحياناً لما تكتبين في الصحف واهتمام بقضايا اجتماعية وفلسفية أخلاقية، كالفقر والغنى، والخير والشر.

المرأة: **(تلاعب الطائر بإصبعها)**

حسن، أنا كما تعرفني، ولكن أنت من السادة، أنت من أنصاف الآلهة، يسجد أمامك السياسيون ورجال الاقتصاد. ثمة فروق اجتماعية بيننا.

صـــــوت الرجل: **(يضحك)** إن كنت أخدع أحداً فأنا لا أخدع مَن أطلب يدها. أنا لست من السادة، ولم أتلق أي تعليم يذكر.

المرأة: ولكنك اسم مشهور، فكيف وصلت إلى هذا الشهرة والنجاح؟

صـــــوت للنجاح شروط أخرى.
الرجل:

المرأة: إذن هو الحب، وما الذي رأيته في ابنة عامل مرحوم فقير حتى أحببتها؟

صـــــوت أنا لا أتحدث في الحب، لكن رأيت ما يكفي لأن أطلب يدك.
الرجل:

المرأة: تتزوجني رغم اختلاف معتقدينا.

صـــــوت في الاختلاف حرية ومحبة، والاختلاف موجود حتى داخل النفس
الرجل: الواحدة.

المرأة **(مبتسمة)** أنت تتعدى على اختصاصي في الفلسفة.

صـــــوت ولي فلسفتي الخاصة، أريد امرأة مختلفة عني في كل شيء.
الرجل:

المرأة: لم أقصد الدين فقط وإنما في نهج الحياة والنظرة إلى الطبقات الاجتماعية.

صـــــوت بهذا أنت بعضٌ من جانبي الآخر المستتر.
الرجل:

المرأة: **(بعد صمت لحظي، جادة)**
إذن اطلبني من أمي.

صـــــوت يسرني أنك توافقين.
الرجل:

* * *

المرأة: **(تلتفت نحو الخياط)**
أهداني سمير طائر الكناري هذا، جلبه معه في إحدى سفراته إلى جزر الكناري. كان يدرك جيداً عواطفي الروحية والجمالية، وأصبح هذا الطائر صديقي ومرشدي.
(تفتح محفظتها وتستعرض بعض الصور، تنعكس الصور على الشاشة، موسيقى ناعمة)
(صورة للرجل في دار المرأة وهو يطلب يدها من أمها)

كانت فرحة أمي بزواجي كبيرة، ولم تكن تحلم أن يطلب أكبر تاجر وصناعي في المدينة يدي.

(صمت وتتابع استعراض صور العرس)

كان عرساً هادئاً حضره بعض المدعوين القلائل، وشيخاً وكاهناً. كان أقرب إلى سهرة عائلية منه إلى عرس تقليدي.

(تستعرض بعض صور المدعوّين وليس بينها صورة الرجل وهم يتناولون بعض الطعام والمشروبات في صمت، ومارية تجلس بجانب أمها)

قال إنه سيتأخر قليلاً بسبب توقيع بعض العقود. ثم دخل يحمل في يده هذا الطائر.

* * *

(يبدأ عرض جانب من فيلم العرس على الشاشة)

(مشهد الرجل وهو يقدم قفص الطائر وبابه مغلق إلى عروسه، ثم يقدم لها مغلفاً)

الرجل: **(الصوت صادر عن الفيلم)** أحضرت لك طائر الكناري هذا ورأيت أنه لا يلائم جمالك وعذوبتك سوى جمال هذا الطائر وعذوبة تغاريده.

(يعلو صوت تغريد الطائر)

أرجو أن يعجبك هذا الطائر، هو الشاهد الوحيد لعرسنا والذي يتكلم بلغة نقية غير لغتنا.

(صمت ثم يعطيها المغلف)

وهذه هدية العرس.

(تبتسم في خجل متسائلة بتعبير من وجهها عما في المغلف من غير أن تتكلم)

ستعرفين وتسّرين، مجرد هدية متواضعة لمشروعك الروحي والاجتماعي.

(ينتهي عرض الفيلم)

* * *

(متابعة لعرض الصور

تتناول صورة أخرى من صور العرس وهي تقف وإلى جانبها أمها والكاهن، والرجل جانبها يقف ممسكاً بيدها وبجانبه الشيخ)

في تلك الليلة خلعت أمي من عنقها قلادة عرسها ووضعتها في عنقي.

(صورة للأم تقلد ابنتها العقد وهو يتدلى على صدرها وواسطته حجر من الفيروز ثمين)

(تجمع الصور وتعيدها إلى محفظتها وتحتفظ بصورة أخيرة تنعكس على الشاشة وهي تُخرج العقدين من المغلف، ثم تعتم الشاشة)

* * *

المرأة: **(المرأة تتقدم باتجاه الجمهور)**

كانت مفاجأة، عقدان أحدهما إنشاء مستشفى لأمراض السرطان للأطفال، والثاني إنشاء جمعية خيرية لمساعدة الفقراء تابعان لمعمل الحرير، والعقدان باسمي وعليّ الإشراف عليهما وإدارتهما. وقال لي (**تقلد صوته**):

- "إنهما جاهزان للعمل، وقد تعاقدت مع بعض الأطباء، وسأرسل أحد رجالي ممن أثق فيه ليكون معاوناً ومساعداً لك وبخاصة في الأمور المالية".

لقد فرحت بهما فهما يلبيان حاجتي الاجتماعية لكنهما يتعارضان مع منطلقي الروحي في العمل، فقد كنت أجمع مع بعض من مُساعِداتي المال لمساعدة الفقراء وذوي الحاجة ونحرص على أن تكون أموالاً نقية باركتها السماء خالية من مكتسبات التغوُّل والفساد والاتجار بأرواح البشر.

مرت فترة وأنا مترددة، لم أصرف الشكين ورأيت أن أعيدهما إليه، ولما رأى ترددي قال لي:

* * *

(تنار الشاشة ويظهر الرجل والمرأة وهما يتناقشان في فيلم قصير)

الرجل: حسن، هذا أنا، أما أنتِ فقد صنعت لنفسك حياة أخلاقية مثالية أو دينية أو شيئاً من هذا القبيل، وسترين أنها لا تتفق مع حقائق الحياة، وعليك أن تبحثي من جديد.

المرأة: أنا لا أتحدث عن معامل الحرير، ولكني أتحدث عن تصنيعك للأسلحة ، لماذا لا تبيع السلاح لمن هم في جانب الحق والعدل؟

الرجل: كلا.. هذه ليست عقيدة تاجر أسلحة، أنا أبيع السلاح لمن يدفع أكثر بصرف النظر عن الأشخاص والمبادئ، أنا أبيعه للثوار ولقيصر، للرأسمالي والفوضوي، لكل صنوف القوميات والأديان والطواف، أنا أومن بأن السلاح للإنسان والنصر للسماء.. هذا هو إيماني، يبدو أنه لا يعجبك.

المرأة: كم كان بودي أن أعتنق إيماناً أفضل لكنك تعرض علي إيماناً أسوأ.

الرجل: تظنين يا عزيزتي أنك وحدك على صواب، وأنك وحدك تملكين الحقيقة. **(صمت)** الحقيقة نسبية، والحقيقة ليست لها حقيقة في ذاتها، بل هي ما يعتقده كل إنسان على حدة.. وأنا هذا معتقدي.
(تظلم الشاشة)

* * *

المرأة: مرت فترة وأنا مترددة، لم أصرف الشكين ورأيت أن أعيدهما إليه، ولما رأى ترددي قال لي:

الرجل: **(إضاءة الشاشة والرجل خلف مكتبه يتكلم من خلال الفيلم القصير وهي تقدم له المغلف معتذرة)**
أنا أقدر ما تحملينه من مثل عليا نابعة من إيمانك ونقاوة روحك، أنت تخشين أن يكون المال مدنَّساً، لكن مساعدة هؤلاء الضعفاء يحتاج إلى مال فهو قوام حياتهم، النقود المدنسة خرافة لا تمت إلى الواقع بصلة، أنت لا تستطيعين أن وأنت تتلقين التبرعات التأكد بأنها ليست نقوداً مدنسة، حتى ولو حصلتِ على معونات من الحكومة فإن فائض القيمة في خزانة أية دولة يتصل بطريقة أو بأخرى بالجريمة والضرائب على ملاهي

الدعارة ومحلات الخمور.وغيرها من مخلفات الجهل والفقر، بقدر ما يتصل أيضاً بالأعمال الإنسانية والثروة والنزاهة التجارية والازدهار القومي؛ إن الفصل ما بين المدنس والمقدس خرافة، حتى المعابد التي يفخر بعضهم بإنشائها إنما بنيت بمال مزيج من الخير والشر. وهذه الثنائية لا تنفصل في الحياة الواقعية، وحتى من منظورك فإنه هذه النقود لا تدنس عملك هذا كما لا يدنس قداسة المعبد خطبة كاهن مليئة بالنفاق، وأنا لا أعطيك هذا المال كغسيل أموال كما قد تظنين وإنما نابع من رؤيتي للواقع.

(صمت قصير)

منذ فترة كرمت وزارة التربية وهذه وزارة تمثل قمة الفضائل والأخلاق، كرمت مجموعة من أساتذتها بمبالغ جيدة تبرع بها أحد كبار تجار هذه الحرب، ههههه **(يضحك ساخراً)** والسلم أيضاً، ومما يملكه مثلاً أكبر شبكة اتصالات للهواتف و الأون لاين، وهو المتحكم في اقتصاد البلد.

(صمت قصير)

إنه يتعين علينا في هذا العالم أن نكيف أنفسنا بكل ما فيه من ذنوب وآثام وإلا فعلينا أن نبحث عن كوكب آخر لنعيش فيه.

(صمت)

الفقر يا مارية جريمة الجرائم، ونظرتنا للقضاء عليه مختلفة، أنت تساعدين الفقراء بلقيمات وقروش قليلة، وأنا أدعوهم إلى العمل ليحاربوا الفقر بأنفسهم، انظري معاملي في الحرير والسلاح هل من عامل فقير فيها؟

(يصمت ليعرف مدى تأثير كلماته عليها، وتبقى هنيهة صامتة ومترددة)

اتركي الشكين معك، وعندما تغيرين رأيك أو تجدين نفسك أمام حالة إنسانية تضطرين فيها إلى النقود لإنقاذ أرواح فاصرفيهما.

(تعيد المغلف إلى محفظتها، وتظلم الشاشة)

* * *

المرأة: **(تعود لتقف أمام الطائر وكأنها تخاطبه)** كان يعبر عن حبه واحترامه لي ولآرائي ومعتقدي بشكل عملي من غير أن يقول لي كلمة أحبك، وقد علمني كيف أحبه من غير الاستعانة أو التعبير بهذه الكلمة التي كان يعتبرها كلمة زائدة عن الحاجة في الحب الحقيقي.

(تجلس على المقعد وتتناول صورته من محفظتها وتنعكس الصورة على الشاشة)

في البداية لم أصرف الشيكين وكنت أعتمد على مساعدات مالية حرصت على أن تكون نظيفة، وظل صامتاً لم يراجعني بشأنهما، كان حريصاً على أن يترك لي الحرية الكاملة في الاختيار والقرار، فلا يجبرني على أمر ولا يلح في إقناعي، كنا ككوبين يدوران حول بعضهما كعاشقين من غير أن يتماسا أو يصطدما.

* * *

(إنارة خفيفة جداً، تعيد الصورة إلى المحفظة، ثم تنسحب إلى منطقة الظل وتتحدث، وينعكس على الشاشة أثناء حديثها صورتها كما في روايتها وهي في لباسها المعتاد وكأنها معلقة بين السماء والأرض ضمن هالة من الأنوار الكونية وهي تنظر في وضعية تأمل وسكون إلى مئذنة بأنوارها البيضاء والخضراء وإلى منارة لأجراس كنيسة أبعد بقليل عنها)

المرأة: اشتدت الحرب، وفتحت لي المساجدُ أبوابَها لمساعدة النازحين فيها، والكنائسُ لتهيئة السلال الغذائية للمحتاجين، وذات مرة وكنت أوزع المعونات على النازحين في المسجد وأنا في ثياب محتشمة أقرب إلى ثياب الراهبات، زاغ عني الدين، فوقفت أصلي مع الناس. أحسست بأني كائن معلق بين السماء والأرض والفضاء الكوني يحيط بي..

كان لتلك الصلاة طعمها الخاص.

(تعتم الشاشة وتعود إلى مكانها)

* * *

المرأة: **(للبواب الخياط)** ما لك توقفت عن الخياطة ورحت تصغي إليّ؟ لعل حديثي قد جذبك إلى الاستماع.

(صمت قصير، تقترب من قليلاً وتركز النظر على وجهه، الطائر يعود إلى التغريد)

عيناك تسألان هل كنت أحبه بكل ما فيه من خير وشر؟ لا أدري ولكن عندما كان يغيب عني ويسافر أحس بأنني كوكب فقد قرينه الذي يدور معه وأصبحت أدور حول نفسي.

(صمت)

لو أن هذا الباب يفتح فألحق به قبل أن يسافر.

(صمت)

لم يكن يؤمن بالأبواب المغلقة، كانت الأبواب جميعها تنفتح أمامه، وكان يقول لي وكأنه يطلعني على سر من أسراره.

- **(تقلد صوت الرجل)** "النقود مفاتيح الأبواب يا مارية، أما الفقر فقيْدٌ ومذلة واستعباد، والغنى تحرر ومركبة فضائية تنتقلين به إلى فضاءات الاقتصاد والسياسة والاجتماع، فضاءات لا يحلم بها فقير.
- الفقر يا أميرتي طائر بلا جناحين مهما كانت صفاته وألوانه فهو أسير فقره، يتمتع بشقائه الآخرون ثم يأكلون لحمه".
- وكنت أقول له:

"لا.. يا سمير، يتحرر المرء بالإيمان وليس بالنقود، ومفاتيحُ الأبواب هي الإيمان والإرادة، والهمة، ألا ترى كبار الأدباء والفنانين وحتى الأنبياء عاشوا في بيئة فقيرة؟ لا أدري من الذي قال: إذا جاع المرء مَطَرَ القلبُ الحكمة.

- :أنا لا أومن بالجوع منجاة.. أنتِ هكذا تشيعين في نفسي اليأس".
- "لا عليك، اعمل على نجاتك بالطريقة التي تراها مناسبة كي تَعبُر إلى الآخرة بدون ضجة".

* * *

(يغمر الضوء الباب وتمر من خلفه طيوف أشباح)

ها.. ها قد أضاء الباب وأشباح الناس تمر من خلفه في عجل..إلى أين يذهبون؟

(صمت، تسير خطوات باتجاه الباب، البواب يشير إليها بألا تقترب من الباب فتتوقف)

لعله بينهم أرجو أن يفتح الباب لِأتبيَّن.

(يعتم الباب ويظل مغلقاً، وتعود يائسة وتنتقل إلى تحت الشجرة)

أناس، رجال ونساء، خلف هذا الباب بعدد أوراق هذه الشجرة، يكسو وجوههم شحوب وصفرة، لا أدري من أين يأتون وإلى أين يرحلون؟

* * *

المرأة: **(في هذا المشهد ومع السرد الروائي تخفت الأنوار شيئاً فشيئاً ثم يظلم المسرح وينفذ بطريقة المسرح الأسود. إضاءات متلامعة في فضاء المسرح لقذائف ورصاص خطاط ومتفجر، وصوت طائرة، وأناس يهربون، لا يبين منهم غير أجزاء من ثيابهم متلامعة فوسفورياً،**

ثم يرين صمت ثقيل في المسرح)

كثر الراحلون في زوارق الموت، وتفاقمت المحنة، وغصت المدارس والمساجد والبيوت بالنازحين الهاربين من قذائف جهنم، وقسمت المدينة بين طرفي الصراع إلى شرقية وغربية وبينهما معبر الموت، وحوصرت مدن وبلدات وقرى حتى صار الناس يدفنون موتاهم في الحدائق وزوايا الأرصفة الترابية، وانقطعت الأرزاق بالحصار، وشحت المياه وقطعت عن الناس، وامتلأت المستشفيات التي نجت من التدمير بالجرحى والمرضى، وغص مستشفى الأطفال عندي بالمصابين بالسرطان، ولم تعد التبرعات تكفي حاجتي للنقود فقد ساد الفقر وفقد الناس أعمالهم، واضطررت إلى تكثيف جولاتي مع مساعداتي ومساعدي من

المتطوعين للخدمة الإنسانية حتى كنت أخرج في الليل لإنقاذ جريح أو مساعدة أسرة.

(تتم المتابعة بالمسرح الأسود حيث تقف المرأة وأحد مساعديها في جانب الطريق، ونتبينهما من خلال الإلتماعات الفوسفورية لأجزاء من ثيابهما، يسمع أنين طفل)

المساعد: سيدتي أرى طفلاً جريحاً على الأرض.

المرأة: أين؟ أنت مثل القطط ترى في الظلام.

المساعد: هناك.. قرب خط المعبر.

المرأة: من جهتنا أم من الجهة الأخرى للمعبر؟

المساعد: من جهتنا، وأظنه أصيب بطلقة قناص.

المرأة: هيا ولنحمله.

المساعد: لا نستطيع.. يوجد قناص.

المرأة: لن يرانا.

المساعد: بعضهم يحمل مناظير ليلية.

المرأة: وهل نتركه ليموت؟ هيا..لا بد من إنقاذه. "اللّي إلو عمر ما بتقتلو شِدّة"*

(يسيران باتجاه الطفل ويقفان أمامه)

احمله من رجليه وأحمله من الجانب الآخر لأضع رأسه على صدري.

(يحملانه ويعودان، وتسمع طلقة قناص)

المساعد: لقد نجونا.

المرأة: إنها عناية الله.

(يعود النور للمسرح)

* * *

(في مقدمة ويمين المسرح وتحت بقعة ضوء، وباقي المسرح مظلم، طاولة مكتب وكرسيان وهاتف، المرأة في جلسة عمل مع مساعدها)

---

* مثل شعبي

المرأة: ما أحوال الولد.

المساعد: الطلق الناري بسيط، لكن تبين أنه مصاب السرطان.

المرأة: هذا مؤلم، يبدو وكأنه كان يحاول العبور إلى الجهة الأخرى من المعبر.

المساعد: بالضبط فقد أصابت دارهم قذيفة وقتلت العائلة كلها ونجا وحده.

المرأة: وعلينا رعايته بعد خروجه من المستشفى.

المساعد: بالكاد وجدت له سريراً في المستشفى، والمستشفى يا سيدتي على أبواب الإغلاق، والجمعية التي تديرينها في حالة إفلاس.

المرأة: لماذا؟

المساعد: نقص الموارد، وهل تظنين أن الهبات النثرية البسيطة تدير مؤسستين خيريتين؟ لولا أحد كبار أثرياء المدينة تبرع بمبلغ لا بأس به لكان حالنا أسوأ.

المرأة: ومن هو؟

المساعد: التاجر الذي يستورد المحروقات: الغاز والمازوت والبنزين.

المرأة: عرفته، إنه يستوردها من حقولنا التي يسيطر عليها الطرف الآخر. هذا الرجل لم يكن شيئاً يذكر قبل الحرب، ثم تقرب إلى السلطة، أو هو جزء منها، **(ساخرة)** فأعطته هذه الميزة. هذا واحد من تجار الحروب، وأمواله مشبوهة. كيف قبلت منه المال؟

المساعد: لست نائباً عاما، ولا محققا قاضياً، ولكن هل تفضلين إغلاق المستشفى والجمعية ؟ إن كل المنظمات تستمد وجودها من بيع أنفسها إلى الأغنياء.

المرأة: إنهم يغسلون أموالهم وهذا شر لا تمحوه هِبات ملوثة، ولا تفيدهم في الهروب من فسادهم وشر أعمالهم.

المساعد: بل يا سيدتي لا فائدة من الهروب من الشر والأشرار، ليس هنالك خير مطلق منفصل ولا شر مطلق منفصل. كنت قد وطنت نفسي

على ألاّ أقبل أية هبة من صاحب حانة أو تاجر سلاح أو إنسان فاسد احتراماً لإيمانك، ثم أدركت أننا نحن الخاسرون، أو بالأصح الفقراء والمعدمون المستفيدون من هذه الهبات هم الخاسرون.

(صمت)

أنا الآن على أتم الاستعداد إلى ما يقدمه الشيطان من نفسه من مال على أن يوضع بين يدي الله.

المرأة: هذا منطق زوجي، لا عجب أن كنتَ أبرز معاونيه.

المساعد: هذا منطق الواقع **(صمت)** لا تظني أنني غير مؤمن، لكنني انتهيت من الدين الموروث، دين خطباء المنابر، وإن تحقيق الأمور الإنسانية إنما هو بغاياتها ونهاياتها وليس بوسائلها.

المرأة: هذا دين زوجي الذي يردد دائماً ومصححاً نظرتي للدين والحياة، ويقول:

"لا تظني أنني غير مؤمن، أنا مؤمن ، ولكن لي إيماني الخاص، لقد انتهيت من خبز الأرض، ومن خبز السماء، ولن أتردد حين يخيِّرني المجتمع بين رذيلة موسرة وبين فضيلة معدمة".

(صمت)

هل يعجبكَ هذا الفكر؟

المساعد: إنه المنطق الواقعي بعيداً عن ادعاءات التقوى، هل تعلمين كيف يعامل عماله؟ لقد عودهم على الحفاظ على النظام من تلقاء أنفسهم، يحفظ أسماءهم، يمر عليهم الواحد تلو الآخر، يسأله عن عائلته.. هل شفي ابنه.. هل تزوج أخيراً.. هل تمتع برحلته؟.. يبارك لمن ولدت زوجته.. إنه لا يتدخل في عملهم ولا يأمر ولا ينهى ولا يعنف أحداً إن أهمل.. فهذه مهمة من هو أعلى منه، وهو يعتبر هذا عين الاقتصاد الناجح وربحاً له. وأنت تعلمين أنه فتح لعماله في المصنع مطعماً ومقصفاً وبأسعار زهيدة جداً ليشعروا بالسعادة.

المرأة: وهل تحقيق السعادة يكون في الطعام والمال؟

المساعد: سيدتي، كل منا يبحث عن السعادة، والسعادة مفهوم مختلف فيه، وإذا كانت السعادة هي الحياة فيجب أن نتحصّل على مال يكفي لحياة كريمة ونتمكن من مساعدة الآخرين، وعلى قوة تكفي المرء لأن يكون سيد نفسه، ويستطيع ما أمكن حماية الآخرين.

المرأة: إن فكرة إغلاق المؤسستين أصبحت تقلقني، وتقضي على كل مشروعاتي وآمالي.

المساعد: هذا جيد، القلق والشك من سمات التيقظ الدائم، ما لم يكونا مرضاً نفسياً، وأرجو أن يدفعك ذلك إلى إدراك الأمور وتلمس الحلول بشكل أفضل.

المرأة: هل تعلم بأن زوجي قد أعطاني لمصروف المؤسستين شيكين بمبلغ جيد، وهو على استعداد ليدفع أكثر، ولم أصرفهما.

المساعد: وأين هما الشيكان؟

المرأة: مازالا في محفظتي، كنت أريد مالاً نقياً غير ملوّث.

(تخرج الشيكين من محفظتها وتعرضهما أمامه)

المساعد: أوه.. إنه مبلغ كبير جداً.. اصرفيهما يا سيدتي، فما حصلنا عليه مؤخراً من ذلك التاجر لا يكفي أكثر من شهرين، وأعتقد أنك لن تكوني سعيدة إن أعلنا الإفلاس، وأغلقنا المؤسستين.

(إظلام، ويعود النور للمسرح)

* * *

(البواب الخياط يعمل على ماكينته. المرأة أمام القفص تتأمل الطير الذي عاد إلى التغريد)

المرأة: هذه هي الحياة، أوراق هذه الشجرة تصفر، تتساقط، وتموت، والطيور في أعشاشها تتدفق بالحياة وتغرد. ثنائيات لا تنتهي: الخير والشر الموت والحياة، السعادة والشقاء، الروح والجسد،

الفقر والغنى.

(تخاطب الخياط)

وأنت هنا باق أمام هذا الباب، يخيَّل إلي أنك تخيط الموت والحياة.

(يتوقف عن العمل مصغياً إليها)

المرأة: أنت تتابع حديثي باهتمام، شكراً لك، لكن وجهك لا ينم عن أي انفعال، إنه وجهٌ ميت، آسفة لصراحتي، وأنت صامت أبداً لا تتكلم، لا بأس هذا هو شأنك.

(تجلس على المقعد تحت الشجرة)

لعلك تستغرب أن ألْحق بزوجي إلى هنا لأوقع بعض الشيكات أصرفها في مساعدة منكوبي الحرب والفقراء ومرضى السرطان، ستقول إن تجار الحروب أشرار ومالهم حرام، حسن حرام ولكنه غير مرفوض.

كان يريدني كي أستمر في مهمتي الإنسانية أن أنزل درجة من السماء إلى الأرض لأتكيف مع الواقع وأفكاره وقيمه، ومنه تعلمت أنه ليس هنالك أشرار مطلقون ولا فضلاء مطلقون، وكل امرئ أو لعل أغلب الناس يجمع في ذاته السيئ والمواطن الصالح الجيد، فنحن كائنات من طين الأرض ولسنا كائنات من نور السماء وشخصية المرء هي التي تجبُل ذاته، والقيم الأخلاقية تختلف باختلاف الظروف والشعوب والفلسفات.

(صمت)

لهذا تجدني أسرع في اللحاق به قبل أن يسافر لأحصل على بعض المال للاستمرار في عملي فأنا على أبوا ب الإفلاس ومئات المرضى والمعدمين ينتظرونني.

الحياة كلّ متحد، ولا فائدة من الهروب من الشر الأشرار، ليس هنالك خير منفصل ولا شر منفصل، ولم أرغب يوماً أن أتخلص من الشر سواء أكان خطيئة أم عذاباً.

أنا كرابعة* تخلصت من رشوة الخبز، وتخلصت من رشوة السماء، وليكن عمل الخير من أجل الخير، وعندما أموت لن أكون مدينة لأحد ولا دائنة.

(تسقط ورقة من الشجرة وتحط أمامها، تتناولها، تقلبها)

يذبل كل شيء ما عدا حب الإنسان للإنسان.

(تنظر في عينيه بإمعان)

كأنك تقول بل يدفعك إليه تلك العاطفة المكنونة في داخلك تجاهه.

حسن، الحب كلمة مركبة، وفي داخلي عواطف متداخلة ومتشابكة يصعب فصل خيوطها، كطابة من الحرير العالقة بين أغصان شائكة.

في داخلي عواطف سامية تجاهه وتجاه جميع البشر الذين يحتاجون إلى مساعدة، وهو أحدهم ممن يحتاج إليّ.

(صمت)

إذا لم يكن هذا هو الحب فما هو الحب؟

(يغمر النور الباب ، ويرى من خلفه طيف الرجل)

المرأة: آه.. ها هو وراء الباب، لم يسافر، لا شك أنه ينتظرني، كنت أتوقع ذلك، ألم أقل لك نحن كوكبان ندور معاً؟

(يسمع صوت مزلاج الباب كأنه سيفتح فتندفع تجاهه لتعبر.

يحاول البواب الخياط منعها بإشارة من يده، لكنها تزيح يده وتستمر في الاندفاع، وعندما تصل يسمع صوت اصطفاق الباب.

يظلم المسرح ثوان وعندما يعود النور يُرى الخياط وهو يعلق الثوب الأخضر الجديد على المشجب وعلى وجهه لأول مرة علامات الحزن)

* إشارة إلى قول رابعة العدوية: إلهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعاً في جنتك.

المشهد الثالث والأخير

(عندما يعود النور إلى المسرح يكون كل شيء قد اختفى: الباب والسور، وماكينة الخياطة والأقمشة والثياب والمشجب، قفص الطائر ، وتبقى فقط الشجرة وقد أصبحت شبه عارية وتراكمت تحتها الأوراق المتساقطة.

يدخل الكناس عامل النظافة في هيئة وحركة الروبوت، يدفع أمامه عربة للقمامة ويسير بطريقة ميكانيكية، يحمل مقشة طويلة، يبدأ بكنس الأوراق وجمعها في فرشخانة بلاستيكية ويرميها في العربة، يكرر ذلك مرات حتى تصبح الساحة نظيفة، وعند ذلك يدفع عربته أمامه ويسير محاذياً مقدمة المسرح، يتوقف لحظة أمام الجمهور وهو يتطلع إليهم ببلاهة، ثم يتابع حتى يخرج من الجهة الأخرى.

ستارة النهاية

حلب 9آذار 2021



ابـدأ

مسرحية من فصل واحد

فرحان بلبل *

الشخصيات

1 ـ أدهم

2 ـ رامي

فراس بين الخامسة والثلاثين والأربعين

رامي وأدهم في حدود الثلاثين

(المكان: مقهى شعبي بسيط.

في وسط المسرح وإلى الخلف طاولة كبيرة

عليها سخان كهربائي وعدة الشاي والقهوة.

في الطرف اليمين باب إلى داخل غرفة أدهم.

في اليسار باب يؤدي إلى خارج المقهى.

عدة كراس وطاولات متفرقة.

* كاتب وناقد وباحث ومخرج مسرحي سوري معروف .. كتب عدداً كبيراً من كتب النقد والبحث والنص المسرحي .. أسس أول فرقة مسرحية عمّالية في سورية والوطن العربي منذ عام 1969م قدمت أعمالها في أماكن التجمعات العمالية في المعامل والمصانع .. كتبت عنه دراسات كثيرة ومؤلفات عديدة وترجمت بعض أعماله لعدد من اللغات .. كرمته مؤسسات ثقافية واعلامية سورية وعربية .. عضو لجان تحكيم جوائز أدبية ومهرجانات مسرحية سورية وعربية .

أدهم يبدأ بجمع الطاولات والكراسي ويضعها في كواليس اليمين. حركاته نزقة غاضبة)

أدهم: عيشة زفت. كل صباح أوزِّع الطاولات والكراسي في هذا المقهى الحقير. وفي آخر الليل أجمعها لكي أنظِّف قذارات الزبائن. **(كأنه يكلم شخصاً)** "يا حبيبي أمامك صحن لنفض السجائر أكبر من الصحون الطائرة. لماذا لا تنفض سيكارتك إلا على الأرض"؟ **(كأن الشخص يكلمه)** "ابتعد يا أدهم ولا تُشوِّشْني حتى لا أخسر اللعبة". **(يكلم الشخص من جديد)** "وهل تخسر اللعبة إذا كنتَ من أصحاب النظافة ورميتَ أعقاب السكائر في الصحن"؟ **(بلسان الشخص الآخر)** "إذا لم تعرف كيف تتحمل زبائن المقاهي فلا تفتح هذا المقهى". ولولا تدخل الزبائن ، كنا تضاربنا. ولا أتخلص من قذارة زبون حتى أُبتلى بقذارة الآخر. أعوذ بالله من الشغل في المقاهي ومن رؤية رواد المقاهي. ناس عطَّالون بطَّالون. **(يتفحص الأرض)** وفوق هذا يرمون أغراضهم على الأرض وينسونها. **(يقلد أحداً)** "وهات أغراضي يا أدهم". وإذا فقد أحدهم شيئاً في أحد المقاهي الوسخة، ادعى نسيانه هنا، وطالبني به، واتهمني بسرقته.

(يتناول عن الأرض سكيناً ومحفظة ومشرب سيكارة ومسبحة.

(يأتي صوت رامي من خارج المسرح)

رامي: افتح الباب يا أدهم.

أدهم: هذا زبون آخر الليل.

(أدهم يفتح الباب. يدخل رامي مسرعاً.

يوقفه أدهم في المدخل)

أدهم: نعم؟

رامي: أهكذا تستقبل أحسن زبون عندك؟ والسكاكين في يدك؟

أدهم: على عيني أحسن زبون وأسوأ زبون. لكننا في منتصف الليل والدوام انتهى.

رامي: دوام المقاهي في الليل والنهار يا أسوأ قهواتي.

أدهم: أنا أسوأ قهواتي يا من تُقبِّل يدي حتى أستقبلك وأقدم لك الشاي أو

القهوة؟ انقلع من هنا. **(يهدد رامي بالسكين)** وإياك أن أرى وجهك القذر مرة ثانية. **(يدفعه ليخرج)** فتِّشْ عن مكان آخر تقطع فيه وقت فراغك وتُفرغ على أصحابه تفاهةَ أفكارك.

رامي: **(يأخذ منه السكين)** احفظ لسانك وإلا قطعته وأطعمته لكلاب الحارة.

(فراس يطل برأسه وهو يضع على رقبته وشاحاً ملوناً ويضع في عروة الجاكيت وردة)

فراس: لا تتكلم هكذا يا رامي. أدهم صديقنا العزيز من سنوات طويلة. اعتذر منه حالاً حالاً.

أدهم: هذا أنت يا فراس يا نسناس؟

(يدخل فراس. أدهم يوقفه قرب رامي)

أدهم: **(إلى فراس)** قف هنا ولا تتحرك.

فراس: أنت لا تقدِّر المعروف يا أدهم.

أدهم: وهل يأتي منك معروف أنت وهذا الوقح رامي؟

رامي: لا تقل "وقح" يا قهواتي وإلا كسرت رأسك وقطعت أذنيك بعد قطع لسانك وقطعِ.. **(يهدد أدهم بالسكين)** أنت تعرف ماذا أقطع. وإذا قطعت لك ما تعرف...

فراس: **(يقاطعه)** اسكت يا رامي. **(يأخذ السكين من رامي)** تقطع له ما يرفع رأسه به؟ اترك كل شيء نائماً في مكانه بالحفظ والصون، ولا تُعطِّلْ سهرتنا مع أدهم صديقنا الحميم.

(فراس يعيد السكين لأدهم)

أدهم: لست صديقاً لأحد.

فراس: أعرف حالتك السيئة. تخدم الزبائن في النهار، وتشكو الهموم في الليل. ولهذا جئنا نُسلِّيك ونسامرك. نتحدث معاً عن أي موضوع تحبه. ماذا قلت؟

(لحظة صمت كأن أدهم يراجع نفسه.
يضع السكين والمحفظة ومشرب السيكارة
والمسبحة على الطاولة قرب السخان)

أدهم: نتحدث. لكن بشرط.

فراس: ما هو؟

أدهم: لا كلام في السياسة. كرهت السياسة وأصحاب السياسة والعاملين في السياسة من كل صنف ولون وجنس. مفهوم؟

رامي وفراس: مفهوم. لا كلام في السياسة. **(يقفان على طاولة ويهتفان معاً وهما يصفقان)** لا كلام في السياسة. لا كلام في السياسة.

أدهم: ولا كلام في الفلسفة والفكر وتفاهات المثقفين وأنصاف المثقفين وأرباع المثقفين ومن لحق بهم وتابعهم إلى يوم الدين.

رامي وفراس: **(يهتفان معاً ويرقصان)** نحن أعداء الفكر والفلسفة والثقافة.

أدهم: وعن أي موضوع نتحدث؟

فراس: عن النساء.

(أدهم يُفاجَأ بكلام فراس)

أدهم: ماذا قلت يا نسناس؟

فراس: **(يمصمص بلسانه)** نتحدث عن النساء. **(يمصمص بلسانه مرة ثانية)** هل يوجد في الدنيا أحلى من الحديث عن النساء؟

رامي: لا يوجد.

فراس: **(وهو يدغدغ أدهم)** اعترف أدهم. ألا تحب نغنغة النساء وطراوة النساء ومداعبة النساء؟

(أدهم يسمح لهما بالجلوس إلى طاولة).

رامي: **(إلى فراس)** ماذا تريد أن تشرب؟

فراس: كأس شاي من اليد الكريمة لصديقنا أدهم.

رامي: **(إلى أدهم)** لكي يحلو الحديث هات كأسين من الشاي. أطيب شاي. (أدهم لا يتحرك. رامي يصرخ فيه) عَجِّلْ يا قهواتي.

(أدهم يمشي مدعياً السرعة، ويصب كأسي شاي من إبريق عتيق موضوع على الطاولة الكبيرة. يقدمهما لهما باحتفالية ساخرة. يرشفان من كأسيهما رشفة. يبصقان ما شرباه)

رامي: هذا شاي؟ هذا منقوع التبن. مطبوخ الأحذية. غسيل الملابس الوسخة.

أدهم: هذا هو الموجود. أعجبك أعجبك. ما أعجبك، المقاهي أكثر من الهم على القلب.

فراس: نقبل الموجود من يد صديقنا غير النظيفة حتى لو كان سُماً. اجلس يا أدهم. اجلس.

(أدهم يجلس قربهما. يقربون رؤوسهم من بعضها)

أدهم: عن أي نوع من النساء نتحدث؟

فراس: **(بصوت مرتفع)** النساء الجميلات.

أدهم: خفِّضْ صوتك.

فراس: **(بصوت منخفض)** النساء الجميلات.

أدهم: أكره هذا الحديث. وأكره كل النساء الجميلات. (بقرف وسخرية) عيون واسعة. وخدود لامعة. قوام رشيق. وثغر رقيق. غمازة كأنها نجمة، وضحكة كأنها نسمة.

فراس: **(يصفق لأدهم)** شاطر يا صديقي أدهم شاطر. تابع التغنّي بأوصاف الجميلات.

أدهم: كل هذه الأوصاف مقرفة. يتغزل بها الشعراء الكاذبون، ويهواها العشاق الفاشلون.

رامي: إذن نتحدث عن النساء القبيحات الكريهات.

أدهم: **(بهمس)** الغليظات الفاسدات.

رامي: **(بهمس)** الفاسقات السمينات.

أدهم: المنغصات لعيشة الرجال في النهار، والرافضات للمطلوب في الليل.

فراس: هذا أسوأ حديث يا جماعة. يليق بأولاد الشوارع ولا يليق بنا.

أدهم: هذا أحلى حديث. أعجبك أعجبك. ما أعجبك، انصرِفْ من هنا.

فراس: كما تريد. كما تريد.

أدهم: سأغلق باب المقهى حتى لا يأتي زبون سخيف يقطع حديثنا الممتع.

(أدهم يغلق باب المقهى في اليسار. يشير إليهما أن يسكتا)

رامي: (بصوت مرتفع) وزوجتك؟

أدهم: **(بهمس)** هس.

رامي: (**بصوت خفيض**) وزوجتك؟

أدهم: لا أعرف إن كانت نائمة أم مستيقظة.

فراس: (**هامساً**) زوجتك تنام بعد العشاء كما أخبرتنا.

أدهم: (**هامساً**) تنام مثل البقرة البلهاء.

رامي: لماذا تخاف أن تسمع إذا كانت تنام باكراً؟

أدهم: لأن آذانها أكبر من الأقمار الصناعية. قد تسمعنا ونحن نتكلم عن النساء حتى لو كان الحديث همساً. وعندها.. لا أضمن لك السلامة يا رامي الوقح. ولا أستطيع إنقاذك من براثنها يا فراس النسناس. انتظروا.

(يمشي بخطوات حذرة نحو اليمين. يمشيان وراءه بحذر. يدخل. يعود بعد قليل)

أدهم: أغلقت عليها الباب. الآن نتكلم على راحتنا.

(رامي وفراس يجلسان مكانهما. يهم أدهم بالجلوس. رامي يدفعه بعنف)

فراس: بلطف يا رامي بلطف. أدهم حبيبنا وصديق عمرنا.

رامي: كيف يكون حبيبنا ويجلس معنا ثم يقدم لنا هذا الشاي النتن؟

أدهم: تستحق كأس سم.

فراس: الحديث عن النساء يليق به الرقة والعذوبة. (إلى أدهم) لذلك ترفَّقْ بنا يا صديقي ورفيق عمري وهات نوعاً جيداً من الشاي حتى يطيب الحديث عن النساء.

رامي: لن أدفع له ثمن الشاي. نحن ضيوف.

أدهم: أسوأ ضيوف.

فراس: (إلى أدهم) اذهب يا حبيبي وحَضِّر الشاي.

(أدهم يتأملهما لحظة. يتجه نحو طاولة الشاي في الخلف)

رامي: لا. ليس من الشاي الذي تقدمه للزبائن.

فراس: من الشاي السيلاني الذي تخفيه للمناسبات.

أدهم: ضيوف ثقلاء ولهم طلبات.

(يدخل إلى باب اليمين)

رامي: أنت غبي يا فراس.

فراس: كيف اكتشفت أني غبي؟

رامي: تريد الحديث عن النساء القبيحات الغليظات وبقية الأوصاف المقرفة، برقّة؟

فراس: المرأة يليق بها الرقة حتى لو كانت عجوزاً شمطاء.

رامي: ولماذا حشرت نفسك وجئت إلى هنا وأنا كنت أريد الحديث مع هذا الحيوان وحدي؟

فراس: الحقيقة أني جئت لكي أحدثه وحدي عن أمر يهمه ويهمني. ظننتك نائماً تشخر في هذا الوقت المتأخر من الليل.

رامي: كيف أنام وعقلي مشوش لأني أشتهي امرأة أغازلها وتغازلني؟

فراس: **(يضحك)** تشتهي امرأة تغازلها وتغازلك، وتأتي لتتحدث عن النساء القبيحات الغليظات وبقية الصفات الكريهة، وترفض الحديث عن النساء الجميلات؟ اسكت الآن.

(يدخل أدهم وهو يحمل صينية عليها إبريق شاي وثلاث كاسات. يضعها على الطاولة بنزق. يصب لهما كأسين. يلكز رامي)

أدهم: اشرب. سم الموت.

(رامي ينهض ليضرب أدهم. يفصل بينهما فراس)

فراس: الأصحاب لا يتضاربون. الأصحاب يتحدثون.

أدهم: **(إلى فراس)** تحدثْ وتفصَّح وزِدْنا من علمك.

فراس: أطلب من صديقنا الغالي أدهم أن يبدأ الكلام. فهو المثقف العالم بكل أسرار الإنسان وخاصة النساء.

أدهم: **(يكاد يبكي)** لا تذكِّرْني يا فراس. كنتُ مثقفاً أعرف العلوم كلها حين كنت مدرساً أحسن من كل الأساتذة.

رامي: وخسرتَ علمك لأنك الطماع الذي لا يملأ عينه إلا التراب. تركتَ مهنةَ المدرس العالم، وفتحت مكتب استيراد وتصدير. فزاد مالُك ونقص علمُك.

فراس: تمهَّلْ عليه رامي.

رامي: هو الذي جنى على نفسه. إلى أين أوصله مكتب الاستيراد والتصدير؟

فراس: الإنسان يُطوِّر نفسه رامي. انظر إلى نفسك. كنتَ مفكراً وصحفياً وصاحب مقالات. وأنت اليوم مطرود مذموم تشتغل بائع جرائد لا يشتريها أحد.

رامي: طردوني لأن كتاباتي لا تعجب أحداً.

فراس: ولماذا لم تساير الوضع وتكتب ما يُعجِب؟

رامي: أتريدني كاذباً ودجالاً رخيصَ القلم والضمير؟

فراس: (**ساخراً**) بقيتَ صادقاً وفارساً وغالي القلم والضمير. ولكنك صرت سفيهاً بذيء اللسان.

أدهم: (**ساخراً بقسوة**) هذا أحسن تطوير للنفس. من صحفي ومفكر إلى شتَّام بذيء اللسان.

رامي: أفش قهري من تقلبات الزمان.

فراس: وأدهم يفشُّ قهره من تقلبات الزمان. فَقَدَ مكاتبَه وعملَه بسبب الحرب المجنونة والقصف. لكنه رجل شجاع لا يبقى بلا عمل. اقتطع من بيته غرفة وجعلها مقهى.

أدهم: مقهى من دون زبائن.

فراس: سيأتي الزبائن بالتدريج. سنة بعد سنة يتكاثر الزبائن مثل الذباب على طبق الحلوى. (**يقلد طلبات الزبائن**) "هات يا أدهم شاي. وهات يا أدهم قهوة وزهورات". وعندها تخُرُّ الفلوس بين يديه مثل الشلال.

رامي: وإلى أن تخر الفلوس بين يديه، كيف يُعيل زوجته وهي العروس من سنة؟

أدهم: اتركوا زوجتي بحالها. فتحت لكما الباب لكي نتكلم عن النساء القبيحات الساقطات.

رامي: كما تريد. نتحدث عن النساء القبيحات. لكني أحب الجانب العملي في الحديث عن هذا الصنف.

فراس: ماذا تعني؟

رامي: أن نتحدث عن امرأة مشهورة بفسادها وحقارتها ونذالتها. (إلى أدهم) هل تعرف امرأة من هذا النوع؟

أدهم: أعرف.

فراس: من هي؟

أدهم: زوجتي. **(ينظران إليه باستغراب)** إي. زوجتي.

رامي: عَدِّدْ صفاتها السيئة حتى نقتنع معك.

فراس: أنا لا أحب الغيبة.

رامي: لكنك تحب النميمة. أنا أعرفك فراس. تطرب للحديث عن مساوئ الناس كما تطرب للغناء الجميل. من يوم فشلتَ في دراستك صار همك النهش في أعراض الناس الناجحين.

أدهم: اترك شتائمك رامي ودعني أتحدث عن فساد زوجتي.

رامي: **(إلى أدهم)** تفضل وتحدث.

فراس: سأغلق أذني عن حديثك.

رامي: كيف يتجلى فساد زوجتك؟

(فراس يضع يديه على أذنيه حتى لا يسمع)

أدهم: تنام حتى منتصف النهار. أنا أطبخ وأنفخ وأغسل الثياب وأنظف البيت وهي نائمة. وعندما تستيقظ تفتح الباب وتخرج. من زيارة إلى زيارة. من زيارة إلى زيارة. وعندما تعود، تجلس باسترخاء كأنها أبو الهول وتفصفص البزر وتغني بصوتها القبيح.

فراس: أعرف أن صوتها جميل.

أدهم: كان جميلاً. كنت أسهر الليل وأنا أسمع صوتها الملائكي كأنني في محراب مقدس.

رامي: كنت تسمع صوتها الملائكي فقط؟

أدهم: وكنت أزحف تحت قدميها من أجل قبلة.

فراس: يا سلام.

أدهم: وكانت تعانقني بيدين مثل المرمر.

فراس ورامي: معانقة فقط؟

أدهم: وكانت تنظر إليَّ بعينين أجمل من عيون المها.

رامي: وماذا يحدث بعد النظر من العيون الجميلة؟

أدهم: أستحي من الحديث عما بعد النظر.

رامي: هل هذه امرأة فاسدة؟

أدهم: صارت أسوأ من فاسدة.

فراس: أنا لا أحب الغيبة.

(فراس يغلق أذنيه من جديد)

رامي: **(إلى فراس)** سُدَّ فمك أحسن من سدِّ أذنيك. **(إلى أدهم)** لماذا صارت فاسدة؟

أدهم: لأني فتحت هذا المقهى. في يوم الافتتاح وقفتْ في الباب وصارت تصرخ. **(يقلدها)** "تعالوا يا ناس وتفرجوا. من مدرس سابق وصاحب ثروة لاحق إلى قهواتي". **(يكلمها)** "اسكتي يا امرأة. الشغل ليس عيباً". **(بلسانها)**: "وجودك في الحياة هو العيب. غشوني يوم زوجوني منك". وأخذت تطرد الزبائن مع الشتائم المقززة.

رامي: ألم تقدِّر أنك تشتغل لكي تطعمها بعدما فقدتَ مكتبك وعملك بالقصف المجنون؟

أدهم: ناكرة الجميل لم تقدِّر ذلك. طلبتْ مني أن نهاجر. إلى ألمانيا أو السويد أو فرنسا أو جهنم. كَرِهت العيشة هنا. (يقلدها) "هذه بلاد الشؤم والشقاء. بلاد الحرب والدمار. وأنا أحب السعادة والهناء". قلت لها: "هذه الأرض تظل أرضَنا وإن كانت جحيماً". وعندها أخذت تضربني وتلعن والدي وجدي وكل أسرتي وتصرخ: "اشرب أرضك وحدك. تحمَّل الجحيم وحدك".

رامي: ولماذا لم تطاوعها وترحل معها؟ أنا نفسي أتمنى أن أسافر.

فراس: **(يرفع يديه عن أذنيه)** أنا لن أسافر حتى لو حملوني على بساط الريح.

رامي: **(إلى فراس)** أنت مجنون.

فراس: **(إلى رامي)** أنت المجنون. هل يهاجر الإنسان دون سبب؟

رامي: **(يضحك ضحكة كبيرة ساخرة)** ألا يوجد هنا سبب للهجرة؟ أنت أعمى وأطرش وأبله. ماذا بقي لأدهم في هذا البلد المقيت بعد الأملاك والمال والعز؟ غرفة صارت مقهى وزوجة غاضبة.

فراس: ليحمَدْ ربَّـه علـى هـذا. غيرُه مـات. وغيرُه لا يعـرف أهلُـه أيـن هـو. وغيرُه وغيرُه..

رامي: **(يقاطعه)** نعرف البقية من غيرُه وغيرُه. صرنا نملُّ من الحديث عن غيرُه وغيرُه. تُحرِق أعصابنا وأنت تعدِّد غيرُه وغيرُه.

فراس: المهم أنا لا أحبذ الهجرة.

رامي: لكن الناس تهاجر. وزوجة صديقنا أدهم من حقها أن تهاجر.

فراس: طيب. تعالوا نفكر بهدوء. زوجة صديقنا أدهم تريد الهجرة وهو لا يريد. كانت امرأة رائعة وصارت امرأة – عفواً أخي أدهم – فاسدة. ما هو الحل؟

أدهم: الطلاق.

فراس ورامي: **(باستغراب)** الطلاق؟

أدهم: نعم.

رامي: **(إلى أدهم)** ماذا تفعل بنفسها إذا طلقتَها؟

فراس: أهلُها بين مهاجر ومقتول وغائب كما أخبرتنا من قبل.

رامي: وهي لا وظيفة لها ولا عمل.

فراس: وهي بنت مدللة عند أهلها. وصارت مدللة عند زوجها.

أدهم: لن أسأل عنها حتى لو أكلتها الذئاب. هي التي جنت على نفسها. كانت امرأة وزوجة صالحة ، صارت وحشاً قبيحاً.

رامي: **(إلى أدهم)** أنا أحل المشكلة. هذا ما جئت أحدثك عنه. لكن هذا الوضيع **(يشير إلى فراس)** حضر معي.

فراس: كيف تحلُّ المشكلة؟

رامي: أنا أتزوجها. **(إلى أدهم)** أنت طلِّقْها. وأنا أتزوجها.

أدهم: **(بغضب)** تتزوج زوجتي؟

رامي: لكي أخلِّصك منها.

(أدهم يقف غاضباً)

أدهم: الآن ظهرتَ على حقيقتك يا حقير. تتزوج امرأتي؟

رامي: أقوم بفعل إنساني. أحميها من التشرد.

فراس: (**إلى رامي**) أنت تحميها من التشرد وأنت مشرد؟

رامي: (**إلى فراس**) هل عندك حل آخر؟

فراس: عندي.

رامي: ما هو؟

فراس: أنا أتزوجها.

رامي: (**إلى فراس**) لهذا جئتَ معي لكي تطلب منه الزواج من امرأته؟

فراس: الصديق عند الضيق.

رامي: هل يتزوج الرجل من امرأة تنام حتى منتصف النهار ثم تقضي بقية النهار في الزيارات، ثم تفصفص البزر؟

فراس: يكفيني منها ساعات الليل.

رامي: أنا أتزوجها.

فراس: أنا أتزوجها.

رامي: (**إلى فراس**) أنا سبقتك في حل المشكلة بزواجي منها.

فراس: ليس المهم من يسبق. المهم من يستطيع الإعالة.

رامي: أنا أقدر منك على إعالتها بأحسن شكل.

فراس: أنت لا تستطيع إعالة نفسك يا بائع الجرائد.

رامي: وهل يتزوج الرجل امرأة قبيحة؟

فراس: المرأة القبيحة تمنع عنك الشكوك والظنون. تتركها وأنت مطمئن بأن أحداً لا ينظر إليها.

رامي: لكن زوجة هذا المجنون (**يشير إلى أدهم**) فاتنة الجمال. أدهم يفتري عليها ويقول عنها قبيحة.

(لحظة صمت. فراس ورامي ينظران إلى أدهم. يقترب منهما أدهم بغضب)

أدهم: (**إلى رامي**) كيف تعرف أنها فاتنة الجمال؟

رامي: أنت.. أنت. أنت وصفتها ووصفت جمالها.

أدهم: انا لم أنطق بحرف عن جمالها.

رامي: إذن تخيلت. نعم. تخيلت. وأنت تريد تطليقها.

أدهم: الرجل يغضب من زوجته ويهدد ويتوعد بالكلام لا بالفعل.

رامي: أنا صدَّقت الكلام.

أدهم: **(إلى رامي)** لكن ظهرت نواياك يا خائن يا منافق. تأتي إلى بيتي لأزوجك زوجتي؟

(أدهم يهجم على رامي. يفصل بينهما فراس)

فراس: ما هذا؟ وصلنا إلى الضرب والعراك بدل الكلام؟

أدهم: وأنت يا فراس أقذر منه. تريد الزواج من زوجتي؟

فراس: أُخلِّصك منها.

أدهم: **(يصرخ)** أنا أحبها. أقدِّس الأرض التي تمشي عليها. وهي تحبني. ترتعش من لمساتي إذا لمستها. تهمس بالهوى والعشق إذا ناغيتُها. لكنها صارت قبيحة الشكل والصوت بعدما فقدتْ أهلَها بقذيفة سقطت فوق بيتهم. فماذا أفعل بها؟ أعطف عليها وأصبر معها؟ أهاجر برفقتها وأترك أرضي؟ أهجرها وأُشرِّدها كما تشرَّد الآلاف من الناس؟ أرجوكم. دلوني على طريقة تُخرجني من مستنقع الحيرة والضياع.

(أدهم يبكي بحُرقة.

فراس ورامي يقتربان منه.

(أدهم يبتعد عنهما نافراً)

أدهم: ابتعدوا عني يا خونة.

(فراس يغني له)

فراس: الصبرُ يا محزونُ مفتاحُ المرحْ.

لا بدَّ يا مقهورُ من يوم الفرحْ.

واعلمْ بأنك عاشقٌ.

والقلبُ منك قد انجرح.

رامي: حافِظْ على زوجتك. كن مواسياً لها. لعل البسمة تعود إلى شفتيها. وعندها تعود السعادة إلى بيتك.

أدهم: لن أصدق منكما هذا التعاطف النبيل. سيحاول كل واحد منكما أن يغدر بي ويتزوج امرأتي. أنتم أعدائي ولستم أصدقائي.

(أدهم يأتي بالسكين الموضوعة قرب سخان الشاي)

أدهم: ليس للعدو إلا القتل.

(أدهم يهجم على فراس ويطعنه.

رامي يهجم على أدهم ليمنعه)

رامي: ماذا تفعل يا أدهم؟ هل فقدت عقلك؟

(أدهم يطعن رامي.

رامي يقع على الأرض.

أدهم ينظر إلى جثتي صديقيه بفرح)

أدهم: قتلتُ أعدائي. قتلتُ أعدائي.

(رامي ينهض غاضباً)

رامي: قتلتَ أصحابك يا مجنون.

(فراس ينهض غاضباً ويأخذ السكين من أدهم ويضعها قرب السخان)

فراس: لم نتفق على هذه النهاية. اقترحتُ أن نرتجل نصاً عن موضوع النساء الفاسدات لأني أردت الإضحاك والتسلية. لكننا انتهينا إلى المأساة والقتل.

أدهم: هذا هو ارتجال النص المسرحي. يصل بك إلى نهايته المنطقية. ألا تعرف هذا أيها الكاتب الفاشل؟

فراس: لكننا انتهينا به إلى عكس ما أريد. مازلت أرتعش من قتلنا بيد أعز صديق. غيّروا الموضوع. دعونا نرتجل نصاً آخر على غير هذا الموضوع.

رامي: حيَّرتَنا فراس. أنت اخترت موضوع فساد النساء وما يجره فساد النساء. وطلبت منا الارتجال عليه لكي تكتب نصك المسرحي. ثم تقول: غيروا الموضوع؟

فراس: لم يناسبني هذا الارتجال.

رامي: لأنك لست كاتباً جيداً.

فراس: أنت تقول هذا وأنا الكاتب الذي ملأت مسرحياتُه خشباتِ المسارح؟

رامي: كنتَ وكانت الأمور كما تقول.

أدهم: أما اليوم فأنت ضعيف المخيلة. مسطَّح التفكير.

فراس: لستُ ضعيف المخيلة. **(إلى رامي)** أنت ممثل ضعيف.

رامي: كل كاتب فاشل يتهم الممثلين بأنهم ضعاف لم يفهموا ما كتبه.

أدهم: **(يشير إلى فراس)** وصديقنا الفاشل من هذا النوع.

رامي: اسمع فراس. نحن طاوعناك في ارتجال فكرتك عن فساد النساء وخيانة الأصدقاء لإضحاك جمهورك وتسليته لأننا أوفياء لصحبتك وصداقتك. وإذا انتهينا إلى عكس ما تريد فلن نتخلى عنك. اقترِحْ علينا فكرة أخرى. وسوف نرتجل معك.

أدهم: **(إلى فراس)** الغرفة غرفتك. والمسرحية كتابتك. اقترحْ علينا ما تريد ونحن معك.

فراس: شكراً على الاستجابة أولاً.

رامي: وثانياً؟

فراس: أنت يا رامي دفعتني إلى الكتابة مع أني تركتها.

أدهم: ولماذا تركتَها؟

فراس: لأن الأيام سوداء. أعمَتْ عيوني وأغلقتْ مخيلتي. أينما مشيتُ لا أرى إلا الدمار. بيتي الجميل انهدم. ولم أستأجر هذه الغرفة الحقيرة إلا بصعوبة. وكلُّ الأحاديث تُسمِّمها كلماتُ الموت والقتل.

رامي: دفعتُك إلى الكتابة من جديد لأنني أحبك رغم خيباتك المتكررة. فاقترحْ علينا موضوعاً جديداً فيه.. فيه.. فيه النبل والصفاء و..

أدهم: والمرح والفرفشة. وإذا قمتَ ترقص فلن أغني لك: قام الدب يرقص.

رامي: ما رأيك؟

فراس: سأفكر.

رامي: فكر.

فراس: **(بعد لحظة)** أقترحُ حفلة عرس. نجعل هذه الغرفة الحقيرة صالوناً فاخراً لاستقبال عروسين. ثم نرى إلى أين يصل بنا هذا الموضوع.

أدهم: على أن تقبل ما نرتجل وما نصل إليه. موافق؟

فراس: موافق.

(رامـي وأدهـم يـقـفـزان فـرحاً.

موسيقى صاخبة. الثلاثة يرقصون.)

أدهم: أنا العريس.

رامي: أحلى عريس.

فراس: تابع مع أدهم يا رامي.

رامي: حاضر.

(رامي وأدهم يستعدان للبدء)

فراس: ابدأ يا أدهم.

أدهم: أيها الأصدقاء. أنا أدعوكم إلى عرسي.

رامي: أي عرس هذا؟

أدهم: خطبتُ التي كنت أحبها. واليوم أتزوجها.

رامي: من هي العروس؟ خطيبتُك التي خطبتَها منذ أكثر من سنة؟

أدهم: لا. هي عروس جديدة.

فراس: يا غدار. تخطب البنت أكثر من سنة ثم تتركها وتخطب غيرها؟

أدهم: (**بغضب**) لاتقل هذا يا فراس. لا تقل هذا. تلك التي خطبتها..

(يغص ببكائه ويقع على الأرض).

(رامـي وفـراس يـحضـنـــانـه)

(رامي وهو ملتصق بهما يغني)

رامي: لا تبتئس يا صاحِ من ظلم البشرْ

واصبرْ لكأس الموت من كفِّ القدرْ

وافرحْ لصمتِ الحزنِ في ضوءِ القمرْ.

(أدهم يمسح دموعه وينهض مستبشراً)

أدهم: وللخروج من حزني خطبتُ فتاة ثانية ونويت الزواج.

رامي: مبروك يا عريس. (**يزغرد**) لكن.. (**يضحك**) أين العروس؟

فراس: (**متسائلاً**) أين العروس؟ أين العروس؟ أنا العروس.

رامي: (**يصفّر مستغرباً**) يا لطيف. كل هذه السنوات ولم نعرف أنك...

فراس: اسكت يا قذر. أقصد أني سأقوم بدور العروس. العمى.

رامي: **(مهدئاً فراس)** طيب. طيب. أنت العروس. أحلى عروس لأحلى عريس. لكن.. **(إلى أدهم ممازحاً)** هل أستطيع تبادل الحب والعشق والغرام مع العروس وما يتبع هذا التبادل من كذا ومن كذا؟

أدهم: أنا موافق. نُبيِّن حريةَ المرأة، وأن تفعل ما تريد كما يفعل الرجل.

رامي: الرجل يقترف كل الموبقات. ولا أحد يحاسبه.

أدهم: أما المرأة المسكينة فمحرَّمٌ عليها نظرةٌ بريئة إلى مَنْ تحب.

رامي: واليوم نعطيها الحق أن تفعل ما يفعله الرجل. نحقق المساواة بين الجنسين.

أدهم: اقتربْ من خطيبتي وافعل بها ما تريد.

(رامي يقترب من فراس ويحاول تقبيله.

فراس يدفعه عنه)

فراس: هذا هو دفاعكم عن حقوق المرأة؟ أن يُسمَح لها باقتراف الموبقات؟

رامي: نجرِّب هذا الحق لعله يفتح الباب لبقية الحقوق. وقبل عقد قرانك على خطيبك أدهم، أذهبُ معك في نزهة. ونفعل ما يفعله الرجل والمرأة.

فراس: اتركوا هذا المزاح السمج وابدؤوا العمل. نبيِّن حق المرأة في عرس محترم لائق بها لا في اقتراف الموبقات.

أدهم: حاضر. حاضر. كيف نبدأ يا كاتبنا؟

فراس: نُحضِّر الصالون لاستقبال العروسين.

(الثلاثة يجرُّون طاولتين إلى وسط المسرح.

تعود الموسيقى الصاخبة.

يضعون على الطاولتين غطاء لتصبحا فراش الزوجية. يضعون عدة كراس متفرقة في أنحاء المسرح. فراس يأتي بباقة ورد صناعية من الكواليس مع زينات أعراس)

رامي: لا تنس الشموع.

(فراس يأتي بشمعدان ويضعه على طاولة.

أدهم وفراس يقفان مع بعضهما.

فراس يضع الوشاح الملون على رأسه

ليصبح وشاح عروس. يضع الوردة على
رأسه مع الوشاح.
(رامي يشعل الشموع.
فراس وأدهم يقفان في طرف المسرح
الأيسر كأنهما عروسان. رامي يزغرد.
يمشي فراس وأدهم نحو فراش العرس كما
يسير العروسان مع موسيقى وغناء العرس.
فراس يتصرف بخجل.
رامي يسير وراءهما.
يصل العروسان إلى سرير الزوجية.
أدهم يطلب من فراس أن ينام
على الفراش. يتوقف فجأة)

أدهم: (إلى رامي) ماذا تفعل هنا؟

رامي: أراقب.

فراس: ماذا ترا..

أدهم: (**يقاطعه**) اسكتي يا امرأة. هل صدقتِ حكاية المساواة بين الجنسين؟ المرأة لا تتكلم في حضور زوجها. (**لنفسه**) نساء آخر زمان. تعلَّمن في المدارس كلمتين وفي الجامعات جُملتين وطلَّقن الحياء. والتي تُطلِّق الحياء يصبح طلاقها حلالاً. (**يلتفت إلى رامي**) ماذا تراقب يا وقح؟ ألا تعرف معنى ليلة الدخلة وما يجري في ليلة الدخلة؟ إذا حضر قِطٌّ فسدت ليلة الدخلة. فكيف إذا حضر دبٌّ وقح من أمثالك؟

رامي: أنا أبو زوجتك. وفي غياب أمها يجب أن أطمئن إلى عدم اتهامها بشيء مُنكَر كما يفعل كثير من الرجال.

أدهم: اطمئن. سأعاملها بلطف. حتى لو كانت من أصحاب المُنكر وفقدت ما فقدت، فسوف أسكت. ولك مني أن أرفع الراية الحمراء مهما كان الحال. انقلع من هنا.

رامي: لن أتحرك من هنا.

أدهم: أدِرْ ظهرك إذن وسدَّ أذنيك.

(رامي يدير ظهره.
أدهم يقترب من فراس ويرفع الغطاء
عن وجهه. يقترب أكثر ليقبله.
يتوقف. ينهار على الأرض)

فراس: ما لك يا زوجي الحبيب؟

أدهم: لا أستطيع الاقتراب منكِ يا زوجتي.

فراس: لماذا؟

أدهم: تذكرتُ خطيبتي السابقة. يانعةً كزهرة كانت. عاشقاً لها كنت. مرهفةً كالياسمين كانت. متلهفاً لمعانقتها كنت.

فراس: لكنها ماتت. والحياة أقوى من الموت.

أدهم: لم تمت. كانت صحيحة البنية مثل فرس. فارعةَ الطول مثل نخلة. جميلةَ الوجه والجسم مثل زنبقة. تملأ رائحتُها العذبةُ أنفي وأعضائي ومسامَّ جلدي. لكنهم قتلوها. برصاصة مجنونة قتلوها. حوَّلوا الفرس الشمَّاء إلى كتلة لحم معجون. منظرها مازال يسيطر على قلبي وعيني. كيف أستطيع النظر إلى امرأة بعدها؟ حتى لو تناسيت ما جرى لها، وفتحت قلبي لامرأة غيرها، فإني أخاف.. أخاف أن أراها لحماً معجوناً برصاصة عاهرة كما رأيت جميلتي. **(إلى فراس)** أخاف عليك يا حبيبتي.

رامي: طلقها واتركها في حال سبيلها إذن.

فراس: لا يا أبي. لا تطلب منه أن يتركني. دع قلبه يقرر. **(إلى أدهم)** هل تريد مني أن أذهب؟

(لحظة صمت ثقيلة. أدهم يدور في مكانه ويخور كأنه ثور)

أدهم: اذهبي واتركيني كما يترك العطرُ أنفاسَه. غادريني كما تغادر الحياةُ جسدَ الأحبة. أنا لا أستحق الحياة بعد موت حبيبتي. أنتم يا من فقدتم أحبتكم. كيف استطعتم البقاء أحياء؟ كيف تسكتون على قاتلي أولادكم ونسائكم وأمهاتكم وآبائكم؟ لماذا تسكنون البيوت ولا تسكنون المقابر؟

(يسرع ويأتي بالسكين. يقدمها لفراس)

أدهم: اقتليني إن كان في قلبك بعضُ حب لي.. بعضُ إشفاق علي. لن تكوني قاتلتي إن قتلتِني. أولئك الذين قتلوا حبيبتي هم مَنْ يقتلني وإن كان القتل بيدك البريئة. خذي. خذي. (فراس يتراجع) إذن أنا أقتلك يا عدوة الرحمة.

(أدهم يـهجـم على فراس ليطعنـــه.

رامـــي يـهجـم عليه ويرميه على الأرض.

ويأخذ منه السكين ويرميها على الأرض.

أدهم يحاول الوقوف.

رامي يرميه من جديد ويضع

رجله على بطنه)

رامي: هل تعلمتَ القتلَ من القتلة؟

أدهم: وهل تعلمتَ العفوَ عن القتلة؟

رامي: وهل أقتل حتى يزداد عدد القتلى؟

أدهم: ماذا تفعل بمن قتل أهلك؟

رامي: أُحيله إلى المحكمة. القانون يتولى قصاصه والانتقام منه.

أدهم: لن يشفى غليلي إذا لم أنتقم بيدي.

فراس: (**يخلع غطاء العروس ويعود إلى شخصيته**) ما هذا الكلام؟ تتكلم عن الانتقام؟ الانتقام مُـرٌّ يقتل صاحبه. تشفي غليلك من هنا ، وتُسمِّم حياتك من هنا.

أدهم: اسكت أنت. لم يجرحك أحد. فلن تفهم ما أعنيه. ولن تعرف لذة الانتقام.

فراس: الحديث النبوي يقول: إذا التقى مؤمنان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار.

أدهم: أنا فقدت إيماني وعقائدي. وإياك أن تتحول إلى واعظ.

فراس: أنا أتكلم باسم الإنسان يا مجنون. لا باسم الواعظ أو المؤدِّب. وكل فَـرْدين من البشر يلتقيان بسيفيهما إلى أي دين ينتميان، فالقاتل والمقتول في نار القهر والندم وكره الذات والحياة.

أدهم: أنتما عدواي. وأنت (**إلى رامي**) أنت أول عدو لي.

(أدهم يهجم على السكين
ويأخذها ويطعن رامي بها.
يرتمي رامي على الأرض.
يهجم على فراس ويطعنه.
يرتمي فراس على الأرض.
أدهم يضحك بشكل هيستيري.
يجلس أمام الجثتين والسكين في يده)

أدهم: الآن شفيت غليلي. لكن..

فراس: **(يرفع رأسه)** لكن مَنْ قتلت؟ مَن قتلت؟ قتلتَ أحبَّ الناس إليك.

(رامي وفراس ينهضان)

رامي: كفى. توقف يا أدهم.

(مايزال أدهم مندمجاً في دوره.
ينوح كما تنوح النساء.
رامي يهزه بعنف)

رامي: استيقظ واخرج من دورك. استيقظ.

(أدهم يصحو ويرى السكين في يده.
يرميها بذعر ثم يرتجف في مكانه.
رامي يهدئه)

رامي: **(إلى فراس)** هذه أفكارك البائسة أيها الكاتب الحقير. بدأنا بعرس وانتهينا بمذبحة. طلبنا منك أن نرتجل عن الصفاء والنبل والمرح والفرفشة. لكنك أوصلتنا إلى المذابح. هل بقيت عندك حقارة إنسانية تريد إبرازها بنا؟ ألا يكفينا حقارةُ البشر الذين يدورون بنا ومن حولنا؟ **(إلى أدهم)** تعال يا أدهم. لن نرتجل شيئاً مع هذا الكاتب النذل.

(يتوجه إلى باب اليسار ليخرج.
أدهم مايزال جالساً بشرود.
يعود إليه رامي. يهزه بقوة)

رامي: أدهم. أدهم. ما لك؟

أدهم: لا أعرف. أحس أني مجرم. ألم أقتل أعز الناس عندي؟

رامي: لكنه تمثيل وارتجال.

أدهم: هل كان تمثيلاً وارتجالاً أم كان تلبيةً لما في نفسي من رغبة في القتل؟

رامي: تعال نذهب. سآخذك إلى خمارة تنسى فيها ما فعله بنا هذا الكاتب الفاشل.

أدهم: لكنني راغب بالقتل. راغب بالقتل. أحس أن الهواء يعشق القتل. الورودُ تعشق القتل. الأطفالُ الصغار يحبون القتل. وعندما يكبرون لن يُنجبوا إلا القاتلين. أنقذني من نفسي يا رامي.

(رامي يجلس إلى جانبه.
يحضنه كما يحضن طفلاً. يغني له)

رامي: "يا صديقَ العمر يا نورَ الضياءْ
يا نسيمَ الفجر يا وهْجَ السماءْ
ابتسم
إن ابتسام الثغر مفتاحُ الصفاءْ".
تعال.

(ينهضان ويتجهان ليخرجا)

فراس: إلى أين؟

رامي: إلى الهواء الطلق. إلى هدوء النفس وراحة الضمير.

أدهم: اكتب أنت ما تشاء.

رامي: الكتابة مشكلتك. نحن لانريد منك نصاً. ولن نتشارك معك في عرض مسرحي.

أدهم: وننصحك أن تتوقف عن الكتابة. فالصمت في هذه الأيام أجدى من الكلام.

فراس: في هذه الأيام لا يجوز الصمت. فالصمت جريمة. في عقلي براكين تُحرقني لأني صرت من الساكتين. في ضميري عذاباتٌ دونها عذابات الجحيم.

رامي: احترق ببراكينك وحدك.

أدهم: تقلَّبْ في جحيمك وحدك.

(يتابعان خروجهما

يلحق بهما)

فراس: سنرتجل موضوعاً ضاحكاً. على الفرح سنعمل. إلى المستقبل الجميل سننظر. زغاريدَ النساء سنسمع. عناقَ المحبين سنرسم. لعل براكين الأرض تهدأ. ولعل جحيم الحرب ينطفئ.

(يتوقفان. ينظران إلى فراس نظرة طويلة)

رامي: **(يلتفت إلى أدهم)** ما رأيك يا أدهم؟

أدهم: أنا لا أطمئن لهذا الكاتب اللئيم. أعرفه من سنوات. يقترح شيئاً بسيطاً جميلاً. ثم يغرز المسامير في العيون.

فراس: لن أفعل اليومَ شيئاً من هذا. أنا مشتاق للفرح. سئمت الحزن والألم. أغضبتُ الناس وأغضبوني. شتمتُ المجتمع والأخلاق والضمائر وشتموني. أريد اليوم أن أُرضِيَ مَنْ أغضبتهم.. أن أدفع البسمة إلى الوجوه العابسة. أرجوك يا رامي. ساعدني على إطفاء النار في صدري. أرجوك يا أدهم. تلطَّفْ برفيق عمرك لعلي أستطيع النوم بهدوء لم أعرفه من سنوات.

(يركع أمامهما.

لحظة صمت.)

أدهم: **(إلى رامي)** هل تصدق هذا الدعي؟

(رامي وأدهم يقتربان من فراس كأنهما سيلقيان عليه القبض)

رامي: سنعطيك اليوم آخر فرصة. فإن كذبت علينا وورَّطتنا في مُنغِّصاتك المجنونة، تركناك وقطعنا صلتنا بك.

أدهم: ولن نكتفي بهذا. قد نُقيِّدك في غرفتك الحقيرة هذه ونتركك للجوع والموت البطيء. هل تفهم هذا أيها الكاتب الغدار؟

فراس: أفهم.

رامي: انهض. **(فراس يقف)** ماذا تقترح علينا؟

فراس: حفلة عيد ميلاد.

أدهم: ألم تجد أسخف من هذا الاقتراح؟

رامي: ما وجه السخافة فيه يا أدهم؟

أدهم: الموت في كل مكان. يحوم حولنا مع كل طلعة صباح. ونحتفل بعيد ميلاد؟

فراس: أنت السخيف يا أدهم. ما الذي يجابه الموت؟ أن تندب وتبكي وتملأ الدنيا بصراخك المتألم؟ فكر قليلاً يا أدهم. فكر قليلاً يا رامي. كيف نُجابه الموت؟

(لحظات صمت)

رامي: نجابهه بالحياة. بالربيع الذي ينبثق من الخرائب. بسوسنة تنبت في الصحراء. أنا موافق مع فراس. لعله يقترح لنا موضوعاً من أفراح الحياة لأول مرة في حياته الأدبية البائسة.

أدهم: أتوافق هذا المأفون على خيالاته؟

رامي: وافقناه زمناً طويلاً يا أدهم. للحب غنى مرة. للأمل غنى مرة. للألم غنى مرة ومرة. أضحكنا وأبكانا. سافر بنا في بحر النور كما أبحرنا معه في بحر الظلمات. أنسيت أننا خِلانه وأصحابه ورفاق دربه؟

أدهم: ثم تفرقت بنا السبل يوم اندلع موت الحرب بين جوانحنا وفوق مآقينا. صار من الساكتين وصرنا من الضائعين.

رامي: ثم لجأنا إليه عندما وجدنا الموتَ يلاقينا ويلاقيه. أنسيتَ أننا جئنا اليوم إلى بيته لننتشل الفرح من قلب الحزن؟ أنسيت أننا أجبرناه على الخروج من صمته؟

أدهم: وماذا قدم لنا اليوم؟ الغدرَ والخيانة.. القتلَ وحبَّ القتل. ذكّرني بمأساتي وذكّرك بأحزانك.

رامي: ذكّرنا بمأساة الناس جميعاً.. بأحزان كل الناس. دعه الآن يقترح ما يريد لعله يعيد فتح كتاب الحياة. نفرح نحن ونجعل غيرنا يفرح. نُذكّر الناسَ بالحب. وافِقْ معه على ما اقترح. وافِقْ. نحن رفاق. والرفاق أحبة. والأحبة عزاء لأنفسهم. تعال.

(رامي وأدهم يقتربان من فراس.

الثلاثة يحضنون بعضهم.

فراس يغني)

فراس: يا رفاقَ الدرب عشنا يوم كان الصيفُ أخضرْ
في عبير الحب سرنا يوم كان الليل عنبرْ
فالهوى في القلب شيءٌ
من جحيم الموتِ أكبرْ.

أدهم: طيب. بعيد ميلاد مَنْ نحتفل؟

فراس: عيدِ ميلادك وعيدِ ميلاد رامي. الحفل الجماعي ألذ وأحلى.

رامي: وكيف نحتفل؟

فراس: نحكي الحكايات.

أدهم: على أن تحتفل معنا بعيد ميلادك أيضاً.

فراس: نعم. ابدأ يا رامي.

رامي: نرتب المكان أولاً. هل نسيت قواعد العمل المسرحي أيها الكاتب المجنون؟

فراس: نعم. نعم. زحمة الأفكار في عقلي أنستني هذه المبادئ.

(يدخل الثلاثة إلى داخل كواليس اليمين.
يخرجون ومعهم قطع قماش ملونة وعدة
بالونات وشرائط ملونة. ينفخون البالونات.
يمدون الأشرطة وقطع القماش.
موسيقى الاحتفال بعيد الميلاد)

رامي: انتهينا من ترتيب المكان. ابدأ يا فراس.

فراس: **(إلى رامي)** في أعياد الميلاد يحلو استرجاع الذكريات الجميلة. ما أجملُ ذكرياتِك يا رامي؟

رامي: حكايةٌ طريفةٌ جرت معي في أول مراهقتي.

أدهم: هات هذه الحكاية يا رامي.

رامي: تعلقتُ بابنة الجيران. كانت تتسلل من بيتها إلى بيتنا. إذا رأت أمي ادَّعت أنها تستعير صحناً أو بعض القهوة.

فراس: وإذا كانت أمك غائبة؟

رامي: كانت تضربني.

أدهم: (**ضاحكاً**) حبٌّ بالضرب؟

رامي: كنت أفرح بضربها.

أدهم: هل يفرح أحدٌ بالضرب؟

رامي: لم يكن ضرباً يا غشيم. كان ملامسةً تشبه الضرب. والمثل يقول: ضرب الحبيب زبيب.

فراس: اعترفْ رامي. هل كنت تقبلها؟

رامي: كنت أحاول. لكنها كانت تزيد من ضربي. إلى أن كان يوم. أحلى يوم وأسوأ يوم.

أدهم: اشرح وفسر.

رامي: يومها قبلتُها.

فراس: فقط؟

رامي: كانت القبلة انتصاراً باهراً. خطوةً في الطريق إلى العناق. والعناقُ خطوةٌ إلى ما بعده.

أدهم: وماذا بعد هذا الانتصار؟

رامي: فجأة رأيتُ والدي فوق رأسي. وهات يا ضرب. ضرب حقيقي.

فراس: صح عليك تعريفنا لك. حبٌّ بالضرب.

رامي: لكنه ضرب من نوع آخر. كان يضربني بقسوة ويصرخ: "ألا تحفظ شرف بنت الجيران يا كلب؟". البنت هربت وظل أبي يضربني. ثم جاءت أمي. أنقذتني من بين يديه وهي تصرخ في وجهه: "طفلان يلعبان يا أبو رامي"[1]. وإذا بأبي ينتفض في وجه أمي: "ابنك طفل يا أم رامي؟ شواربه أطول من شَعر حمار".

أدهم: (**يضحك**) هكذا قال؟ أطول من شَعر حمار؟

رامي: لكن أمي لم تسكت له. أخفتني وراءها وغمزته بعينها وهي تقول له: "افرح يا أبو رامي. ابنك صار شاباً. ومن شابه أباه فما ظلم. أنسيتَ كيف كنت تلاحقني وأنت في مثل عمره؟".

---

[1] (يا أبو رامي): خلاف القاعدة. فالأصل أن تكون (يا أبا رامي). لكن مخالفة القاعدة في درج الكلام المسرحي أجمل. ويمكن إعرابها بقاعدة: (على الحكاية).

فراس: يا سلام. غزل على المكشوف.

رامي: وبعد هذا الغزل المكشوف أمسكها من يدها ودخل بها غرفة النوم.

أدهم: وأنت؟ ماذا فعلت؟

رامي: رجعت إلى بنت الجيران لكي أتابع انتصاراتي.

(الثلاثة يضحكون)

فراس: حكايتك حلوة يا رامي. لكن حكايتي أحلى.

أدهم: (ساخراً بود) أنت تعرف حكاية حلوة؟

فراس: ولماذا لا أعرف؟

أدهم: لأنك لا تعرف إلا الحكايات الشقية. كل مسرحياتك لا تدور إلا عن المآسي. عتَّمتَ قلوبنا بحكاياتك. أتساءل أحياناً: كيف صبرتُ عليك وعلى صحبتك كل هذه السنين؟

رامي: كفى أدهم. نسمع حكايته ثم نقرر أيُّ الحكايتين أجمل. **(إلى فراس)** تفضل وأتحِفْنا بحكايتك الحلوة.

فراس: كانت لي عمة قبيحة. عشقها شاب جميل كأنه القمر.

أدهم: أنت تكذب فراس. شاب مثل القمر يعشق فتاة قبيحة؟

رامي: الناس فيما يعشقون مذاهبُ يا أدهم. **(إلى فراس)** ماذا جرى بعدما عشق الشاب الجميل تلك الفتاة القبيحة؟

فراس: تزوجها.

أدهم: هكذا بكل بساطة؟ تزوجها؟ من دون تعقيدات أو تساؤلات من أهله وأصدقائه؟

رامي: أنت تقطع الحكاية أدهم.

أدهم: كيف أصدق هذا الدجل والاختراع؟ (إلى فراس) هل هي حكاية حقيقية فراس أم أنك اخترعتها كما تخترع حكايات مسرحياتك السخيفة؟

رامي: أنت أسوأ رفيق في سهرة أدهم. يا أخي اسكت واتركنا نسمع الحكاية. **(إلى فراس)** كمِّل الحكاية ولا تلتفت إلى هذا الغليظ.

فراس: لم يتزوجها هكذا بكل بساطة. اعترض أحدهم على هذا الزواج.

رامي: من اعترض؟

فراس: أبي.

أدهم: أبوك اعترض؟ يعني أخوها هو الذي اعترض؟ **(إلى رامي)** أرأيت الكذب رامي؟ الأخ أول من يفرح بزواج أخته. خاصة إذا كانت قبيحة ستبقى عانساً، وعشقها شاب جميل.

رامي: أعوذ بالله منك أدهم. بدأت الحكاية تحلو وأنت تقاطعها. اسكت قليلاً يا أخي. **(إلى فراس)** كَمِّلْ فراس. **(إلى أدهم)** إذا نطقتَ بحرف واحد وضعت في فمك حذاءً أطول من شَعر الحمار. **(إلى فراس)** لماذا اعترض أبوك؟

فراس: لأن هذا الشاب الجميل كان شيخ الزعران في الحارة. بلطجي من أرفع مستوى. إذا لم تعجبه نظراتك طعنك بسكين. إذا مرت من أمامه فتاة لاحقها بالكلام البذيء والحركات الداعرة. دارُه خمارة وبيت دعارة ومخزن مخدرات ومأوى أصدقائه اللصوص. أبوه طرده من بيته وتبرأ منه أمام الجميع. لكنه تباهى أمام الناس بأنه مسرور لأن والده تبرأ منه.

أدهم: تباهى لأن والده تبرأ منه؟ صَدِّقِ الأكاذيب يا رامي يا مغفل.

(رامي يهجم على أدهم ويضع يده اليمنى على فمه، ويمد يده اليسرى إلى حذائه)

رامي: كلمة ثانية وأدحش هذا الحذاء في فمك. (يدفعه بعيداً عنه) كَمِّلْ فراس.

فراس: عمتي لم تستمع لاعتراض أبي. تزوجته غصباً عن الجميع. رقصت في الشارع يوم زواجها منه. ورقص معها والناس من حولهما يتعجبون صامتين. وعاشت معه أحلى قصة حب.

رامي: وهل ظل على حاله في الزعرنة بعد الزواج؟

فراس: ازداد فجوراً. وزوجته تُعينه على فجوره. تصوَّرْ أنها كانت تستقبل عشيقاته. تُعبِّئ له سيكارات الحشيش. تشتري له أفخر أنواع الخمور. كانت تصرخ في الشارع "حبيبي يفعل ما يشاء، وفي حضني ينام في آخر الليل".

أدهم: ألم يردعهما أحد؟

فراس: بعضهم حاول. لكنهم هربوا منهما خائفين. زوجها رفع عليهم المسدس. وكلامُها معهم أطلق عليهم رشاش الشتائم. (يقلدها) "يا أوغاد يا كلاب يا حقراء. تمرجلوا على نسائكم يا خروات". وكذا كذا كذا.

رامي: وأبوك؟

فراس: أراد أن يقتلها. أمي هي التي منعته عن ذلك. قال لها: "ستكون جريمة شرف. وجرائم الشرف يتساهل معها القانون". أمي كانت مدرسة فيزياء. سألت المحامين عن قتلها. أخبروها أنها لن تكون جريمة شرف. ستكون جريمة قتل عادية.

أدهم: وماذا فعل أبوك بعدها؟

فراس: هجر الناس. كان موظفاً صغيراً. يخرج من بيته في الصباح فلا يكلم أحداً. ويعود من عمله إلى البيت فلا يخرج إلا في اليوم التالي. أخته سمَّمت حياته. وسممت حياتنا أيضاً.

رامي: وكيف انتهت قصة الزواج هذه؟

فراس: نترك الآن نهايتها لكي نسمع حكاية أدهم. هل تكون حكايتك أحلى وأكثر تشويقاً يا كثير الاعتراض؟

أدهم: في الدنيا كلها لا توجد حكاية أجمل أو أغرب من حكايتي.

فراس: **(مداعباً)** وهل هي حكاية حقيقية أم مخترعة؟

أدهم: أنا لا أعرف الكذب مثلك. هل أنا كاتب مسرحي سخيف أعرف اختراع الحكايات؟

رامي: أسمِعْنا هذه الحكاية التي هي الأجمل والأغرب دون التهجُّم على صديقنا الكاتب فراس.

أدهم: كنت جالساً في السينما. الظلام يعمُّ الصالة والفيلم شغَّال. دخلت فتاة. تطلعتْ حولها. وجدتْ مقعداً فارغاً قربي. حاولت الوصولَ إلى المقعد الفارغ. داست على أرجل الجالسين. اعتذرتْ منهم بصوت هامس. فلما اعترضوا اعتذرت بصوت غاضب. رواد السينما تركوا الفيلم واعتبروها أحلى من الفيلم. فزاد غضبها. وعندما أرادت أن تتجاوزني تعثرت ووقعت في حضني.

رامي: محظوظ يا صديقي محظوظ.

أدهم: ظننت أنني عرقلتها لتقع في حضني فصفعتني. الجالسون حولي نظروا إلينا ثم انفجروا بالضحك. وانتقلت العدوى إلى الآخرين فضجَّت الصالة كلها بالضحك. صرنا فيلماً أحلى من الفيلم المعروض.

رامي: وأنت؟ سكتَّ على صفعها أم صفعتَها بالمثل؟

أدهم: حاولت صفعها. لكن لمعة ضوء جعلتني أرى وجهها. كانت جميلة. عفواً. كلمة جميلة لا تناسبها. كانت فاتنة. عفواً. كلمة فاتنة قليلة عليها. كانت.. كانت..

رامي: كل هذه الكانت كانت لاحظتَها في لمعة الضوء؟

أدهم: الجمال لا يخفى يا جاهل. يَشِعُّ بالضياء كأنه نور الشمس.

فراس: ماذا جرى بعد الصفعة في السينما؟

أدهم: صرت أجلس في الحدائق وأفكر: كيف يمكن أن ألتقي بهذه الفتاة الساحرة؟ أنا لا أعرف اسمها ولا عنوانها. كأنني أبحث عن إبرة في كومة قش.

رامي: يا مسكين. حالك حال وجهدك بطّال.

أدهم: وفي يوم من ذات الأيام. كنت جالساً في الحديقة أفكر وأتخيل وأنا أكاد أجن. وإذا بها تمر من أمامي. وقفتُ متأملاً ملامحها. توقفتْ عن السير ونظرت إليَّ نظرة تقصم الظهر. أعطيتها خدي كأني أقول لها: اصفعيني مرة ثانية. فضحكت. عفواً. قليل أن أقول ضحكت. انفرجت شفتاها عن لؤلؤ منضود.. عن أشعة القمر.

رامي: وماذا جرى بعد اللؤلؤ المنضود وأشعة القمر؟

أدهم: بعد شهرين خطبتها.

فراس: هكذا بكل بساطة خطبتها؟

أدهم: نعم. بكل بساطة خطبتها. أحبتني بعد كره. وعشقتُها بعد حب. كانت في سنتها الجامعية الأخيرة. طالبة لغة فرنسية. الفرنسية في فمها أجمل لغات العالم. رنة صوتها أحلى من كل الأصوات.

رامي: وهل اقتصرت علاقتك بها على سماع اللغة الفرنسية برنة صوت أحلى من كل الأصوات؟

أدهم: بعد الخطبة قبَّلتُها.

رامي وفراس: **(يهرّجان)** افرحوا يا ناس. صَفّقوا وغنوا لهذا البطل المغوار.

رامي: بعد الخطبة قبّل الخطيبة. (يصفق ويغني الجملة) بعد الخطبة قَبّـلَ الخطيبة.

فراس: هذا بطل الأبطال وفارس الفرسان.

أدهم: تسخران مني يا من لا تنظر إليكما فتاة؟

فراس: نحن نسخر منك؟ أعوذ بالله. أنت تعترف بتقبيلها كأنك صعدت إلى القمر.

رامي: أو كأنك.. كأنك.. ساعدني فراس.

فراس: كأنك بطل عمورية.

أدهم: موتوا بغيظكم[1]. أنت أيها الكاتب الفاشل تكتب عن الحب بالتخيُّل. **(إلى رامي)** وأنت يا صديقي اللئيم لم تعرف فتاة بعد تلك الطفلة في أيام المراهقة وشَعر الحمار. أعرفكم وأعرف ماضيكم النتن. أما أنا.. فقد عشت للحب. أغلى حب لأغلى مخلوقة. لم أجرؤ على لمسها بعد تلك القبلة حتى لا أخدش الجمال.

رامي: طيب. طيب. ماذا جرى بعد صعودك إلى القمر وفتح عمورية؟

فراس: هل بقيت تتغزل بها مكتفياً بتقديس الجمال أم اتفقتما على الزواج؟

أدهم: اتفقنا. وعقدنا القران. وتهيأنا للعرس. زينتُ لها البيت لتدخله كما تدخل الملكة. فرشت لها الورود على الأرض لتكون حياتنا أسعد حياة.

رامي: وهل رقصتما معاً؟

أدهم: رقصنا وغنينا. تعانقنا وتبادلنا أجمل عبارات الحب.

فراس: وبعدها؟

(أدهم يصمت. يتقدم خطوة إلى الأمام. فراس ورامي يلحقان به)

رامي: وبعدها؟ أخْبِرْنا يا سعيد الحظ والحب.

أدهم: **(بهمس)** قتلوها.

رامي وفراس: **(يشهقان)**

---

[1] ـ **يمكن معاملة المثنى بصيغة الجمع لأن أقل الجمع اثنان.**

(أدهم يبكي بشدة. يقتربان منه)

رامي: لا تحزن وحدك يا أدهم. لي من الحزن نصيب. ومن الألم أكبر نصيب.

فراس: لستَ وحدك المفجوع. زوج عمتي قتل أمي وأبي. هذه نهاية حكايتي. رمى عليهما القذائف. هل تعرف كيف أقدم على فعلته؟ بعدما اشتعلت الحرب هنا تحول من أزعر إلى حامل سلاح. لم يكن ينتمي إلى جهة. كان ينتمي إلى فجوره. استغل حالة الحرب وصار قائداً لمجموعة من اللصوص أمثاله. ظل ناقماً على أبي وهو أخو زوجته. استغل فوضى الحرب وانتقم من أبي ومن أمي. وعمتي رقصت فرحاً فوق القبرين. بالت على قبر أمي وقبر أبي. لم يعرف أحدٌ ألماً كما عرفت. لم يلتهب قلبٌ بغيظٍ كما التهب قلبي.

رامي: وأنا لم أخبركم بما جرى لي مع ابنة الجيران. عندما كبرنا خطبتها. ثم.. هل تذكرون يوم أخبرتكم أني مسافر وغبت عنكم أكثر من شهر؟

فراس: نذكر.

رامي: لم أسافر. كنت في المستشفى. أصابتني عدة رصاصات في بطني. لكني لم أمت. في المستشفى شُفيت. لكني فقدت طحالي وبعض أمعائي. ولم أعد قادراً على الزواج والإنجاب. عندها فسخت خطوبتي لأنني فقدت رجولتي. لكنني سأنتقم. سأقتل كل الذين قتلوا جسدي وحبي. وأدهم يجب أن ينتقم من الذين قتلوا حبيبته.

(رامي يغمز أدهم. يهجمان نحو فراس. يمسكان به كأنهما سيخنقانه)

أدهم: هل أعجبتك حكاياتنا في احتفالنا بعيد ميلادنا؟

رامي: فتحتَ جروحنا الدامية.

أدهم: ذكّرتَنا بما نحب أن ننساه.

رامي: هل أنت مسرور لما فعلت بنا؟

فراس: نعم.

أدهم: هل كتبت نصك المسرحي؟

فراس: نعم.

رامي: وهل رتبت وحضّرت غرفتك لتكون مسرحاً للموضوعات التي اقترحتها علينا حتى قبل قدومنا؟

فراس: وبالأدوات اللازمة لكل فكرة.

رامي: وتعترف بتدبير كل هذا دون خجل؟

فراس: نعم أعترف.

أدهم: هذا هو الغدر بنا والتلاعب بأفكارنا يا غدار.

فراس: بل هو الذي يجب الوصول إليه.

رامي: وهل وصلت إلى ما تريد؟

فراس: نحن معاً وصلنا إلى ما يجب أن نصل إليه.

أدهم: لماذا حشرتنا معك في هذه الخدعة؟

فراس: لأننا أصدقاء. ولا نحقق معنى الصداقة إلا في أوقات المِحَن. ونحن اليوم في محنة.

رامي: وما ذا تنوي أن تفعل بنصك المسرحي هذا؟

فراس: سوف نقدمه للناس في عرض مسرحي.

أدهم: نعرض مآسينا أمام الناس؟

فراس: نعم.

أدهم: نعرض مآسينا أمام الناس؟

فراس: نعم. حتى لا ننسى ما جرى. حتى نعرف أننا سنظل نعيش في المأساة إذا لم نعرف كيف نتغلب على ما جرى. حتى نوقف هذه الحرب المجنونة. حتى يرى الناس الجرائم التي يقترفونها. حتى نواجههم بحقيقتهم القذرة لعلهم يتراجعون عنها. سنخاطبهم بأعلى أصواتنا. سوف نعرض عليهم وأمامهم أبشع ما اقترفوه لعلهم يخجلون مما اقترفوه. لعلهم يستبدلون الفرح بالمآسي. لعلهم يندمون على فعلوا. لعلهم يبكون خجلاً مما فعلوا. تعالوا نبدأ ارتجالنا.

رامي: وهل ننسى الانتقام من القتلة؟

فراس: الانتقام؟ تتحدث عن الانتقام والقتل وتبادل القتل؟ يا مجنون. إذا قتلتَني وقتلتُك تفنى البشرية وتصبح الأرض هلامية سوداء.

رامي: لكني سأشفي غليلي.

فراس: تشفي غليلك ساعة من زمن، وتجعل الندم يسكن قلبك ما بقي لك من العمر. ولهذا، سنتكلم عن الحب الذي يمسح الحزن عن النفوس ويجعل الأرض بيضاء.

(يتحركان ليخرجا يقف أمامهما)

فراس: **(يصرخ بهما)** لن أقبل اعتذاراً منكما. بالألم والأسى والشعور بالقهر سنُجري تدريباتنا ونرتجل موضوعنا. تحرك يا رامي. قف عند مدخل الغرفة. تحرك يا أدهم. قف في وسط الغرفة.

(أدهم ورامي يقفان حيث طلب منهما. فراس يقف في طرف اليمين)

فراس: **(بصوت مرتفع)** رامي. ابدأ.

ستارة

2018

مسرحية

على شرفة أخرى



محمد أبومعتوق*

المثلون :

١ - الزوجة (٣٠) عاماً

٢ - الزوج (٤٠) عاماً

٣ - الشرطي الأول

٤ - الشرطي الثاني

٥ -المسلح الأول

٦ - المسلح الثاني

الديكور..

غرفة معيشه واسعة..

باب متحرك ومستقل ومنفصل عما حوله.. يسمح بمشاهدة من خلفه نافذة واسعة في صدر المسرح يتسلل منها النور والشظايا والرصاص

* مسرحي وروائي وقاص وشاعر سوري معروف.. تعدت مؤلفاته الثلاثين كتاباً.. كما يكتب السيناريو التلفزيوني من مسلسلاته..أبو زيد الهلالي.. مسلسل باب المقام.. عضو اتحاد الكتاب العرب.. شارك وترأس لجان تحكيم مسابقات ادبية ومهرجانات مسرحية سورية وعربية..

المشهد الأول

الزوجة: (**الزوجة مضطربة..**)

أنا لينا... زوجة الشاعر عدنان العمودي.. وزوجي ذهب ليحضر اجتماعاً في قاعة العرش في قلعة حلب. لأمر قال بأنه جلل.. كما أنه وعدني أن يحضر لي أربع حبات بندورة يعني طماطم.. من الحبات اللواتي نجحت في الهرب من حصار المسلحين.. (**الزوجة تبكي**) وتأخر زوجي.. تأخر كثيراً.. وأنا امرأة وحيده وليس لي سوى زوج واحد.. وأنا مضطرة لأن أتعلق به.. وأن أخاف عليه كثيراً.. ففي الحرب.. يصبح الزوج الواحد عملة نادره.. فما بالكم بعدة أزواج دفعة واحدة.. الأزواج يتأخرون في الحرب بصورة عامة، ولكنه تأخر كثيراً هذه المرة.. والزوج عندما يتأخر كثيراً تكون الزوجة أمام خيارين لا ثالث لهما. الخيار الأول.. موت الزوج بقذيفه أو شظية.. أو طلقة طائشة.. أما الخيار الثاني.. وهو الخيار الأصعب. فهو تعرض الزوج لمحاولة اختطاف.. من امرأة غريبه. وقيامها بالزواج منه بالإكراه. وهذا من أصعب أشكال الموت.. على قلوب الزوجات.. وهو أصعب من موت الأزواج بالرصاص أو الانفجارات مستاءة.. مستاءة أكثر من تأخر الأبناء على الجبهات.. لذلك أكاد أجن.. وأبدأ بتقطيع شعري.. من الجذور حتى أرتاح..

(تكشف الزوجة شعرها وتبدأ بتقطيعه كما تفعل امرأة مجنونة..

قرع عنيف على الباب.. المرأة تنتبه فزعة)

المرأة : من يمكنه أن يفكر بقرع أبواب الناس في الحرب ؟.. من ؟

(القرع يزداد.. المرأة فزعة)

المرأة : ترى هل هو زوجي.. أم نوع من الزوار المسلحين جاؤوا للتحقيق معي.. دون أن يفكروا باغتصابي.. بسبب تعدد الزوجات

(القرع يعود بقوة.. المرأة تصرخ)

المرأة: من أنتم؟

(الزوج من خلف الباب يصرخ الصوت يتردد مع الصدى)

الزوج: أنا عدنان.. زوجك يا لينا.. أنا عدنان..

الزوجة: وما يدريني أنك زوجي.. يوجد ألف عدنان في بلدنا.. فهل أفتح لهم جميعاً الباب.

الزوجة: ألم تسمع بقصة المعزة والذئب، وكيف تدرب الذئب الغدار وأتقن تقليد صوت المعزة الأم.. ففتح له الجدايا الصغار الباب فبلعهم.. دون أن يحمد الله.. لذلك أخاف أن تكون واحدا من الأعداء وتدربت طويلاً على تقليد صوت زوجي عدنان وتحاول اقتحام بيته والتفكير باغتصاب زوجته.. الشابة الجميلة.. ثم بلعها دون سابق إنذار.

الزوج: وهل يفكر الزوج باغتصاب زوجته يا لينا.

الزوجة: **(تصرخ باكية)** ولماذا لا يفكر باغتصابها مادامت حلاله... لماذا ينام إلى جوارها ويدير لها ظهره، وكأنه فردة باب مسنودة بحذاء.. لماذا؟. لماذا؟ والجميع يعرفون أن اغتصاب الزوجة بلطف من قِبل زوجها.. اغتصاب حلال

الزوج: **(غاضباً)** أمرك غريب يا لينا.. بعد عشر سنوات من الزواج تنكرينني، ولا تتعرفين على صوتي.. ثم تحدثينني وأنا واقف خلف الباب.. عن الاغتصاب.

الزوجة: تعرفت على صوتك لكنني لم أتعرف عليك.. فلا تؤاخذني.. الحرب تضيع الأصوات والملامح ويصبح الرجال جميعا متشابهين وأوغاداً..

الزوج: يا لينا يا بنت الحلال افتحي الباب!. قبل أن أغضب وأكسره، وأطلقك أمام أهل الحارة الذين بدأوا يمدون رؤوسهم من الطاقات والشرفات لمتابعة حوارنا المملوء بالمفاجآت.

الزوجة: والله أخاف أن أفتح لك.. وأتفاجأ بسبب تأخرك.. بأن لحيتك طالت وصرت واحداً من الميليشيات. لذلك أريد منك أن تذكر علامات سرية على جسدي تميزني ولا يعرفها أحد غيرك.. لكي يطمئن قلبي وأفتح لك الباب.

الزوج: تريدين علامات سرية لا يعرفها أحد غيري..

الزوجة: طبعاً.. العلامة التي يعرفها الجميع لا تفيد.... أريدها علامة هي سر بيني وبينك، وعندما اسمعها أقول.. هذا هو زوجي وحبيبي عدنان.

الزوج: (**غاضباً**) تريدين علامة سرية.. ولكني لا أتذكر الآن أية علامة تميزك عن غيرك.. انت تعرفين... أن الحرب تتلف ذاكرة الرجال.

الزوجة: الحرب تتلف ذاكرة الرجال ولكنها لا تلف نظراتهم التي تثقب الجدران وثياب النساء.. لذلك إذا لم تتذكر العلامة التي تميزني فهذا يعني أنك لا تحبني. (**تبكي**) لا تحبني أبداً. ولذلك سأعتذر منك ولن أفتح لك الباب.

الزوج: (**صوته مع الصدى**) تريدين علامة... علامة (**يحاول أن يتذكر**) علامة تجعل لينا امرأة فريدة في النساء.. آه تذكرت.. تذكرت يا لينا.. تذكرت يا أهل الحارة، ويا نساءها الحزينات.. تذكرت علامة عظيمة تميز زوجتي لينا عن سواها من النساء.. علامة ستجعلها تفتح لي أبواب السماء.. لقد تذكرت العلامة يا لينا..

الزوجة: وماهي العلامة التي لا يعرفها أي عدنان آخر سواك يا بعد عيني.

الزوج: العلامة هي (**صوت عميق مع الصدى**) ارفعي قميصك إلى الأعلى قليلاً.. ارفعيه أكثر.

(الزوجة ترفع طرف سترتها.. تنتبه إلى الجمهور.. تحدق بهم بغضب.. تصرخ)

الزوجة: اغمضوا عيونكم، عيب.. (**تستدير بظهرها للجمهور تصيح.. **) ماهي العلامة؟ يا سيد الشباب.

الزوج: على بطنكِ قرب السرة تماماً.. توجد شامتان لامعتان تشبهان ثلاثة ثقوب سوداء تسبح في الفضاء..

الزوجة: معقول يكون كلامه صحيح. وهل يوجد في الفضاء.. شامتان سوداوان تشبهان ثلاثة ثقوب سوداء، وأنا كل هذه الأيام لم أنتبه إلى الشامات.. آه من الرجال.. لو أنهم قاموا برصد السماوات كما يرصدون أجساد النساء.. لاكتشفوا كل يوم آلاف المجرات.. هاه.. هاه وجدت الشامتين الله ما أجملهما.. وهن يشبهن ثلاثة بنات صغيرات ضيعتهن الحرب.. ولم يعد لديهن أهل ولا جدار.

الزوج: **(يصرخ)** هل وجدتِ الشامتين.

الزوجة: وجدتها..

أصوات الجيران: واو.. واو..

صوت: هل سمعتم يا جيران.. قرب سرة جارتنا لينا.. ثلاث تفاحات صدى

صوت الجيران: سمعنا وعرفنا..

الزوج: هل أعجبك كلام الجيران، وهل تريدين أن أخبرك عن علامات أخرى سرية على جسدك لا يعرفها أحد سواي.

الزوجة: لا.. لا.. تكفيني علامة واحدة.. فضحتنا.. كنت تعرف هذه العلامة وحدك.. صارت الأمم كلها تعرفها.. ليتني لم أسألك لأختبر حبك..

(الزوجة تتأمل الجمهور وتصرخ فيه)

لولا نظراتكم ونظرات الجيران التي تشبه رصاص القناصين.. لطلبت من زوجي أن يحدثني عن عشر علامات تميزني عن باقي النساء.. نعم لأتأكد إلى أية درجة يحبني ويكتم حبه كما يفعل الرجال العشاق..

الزوج: ما الذي يجري.. لماذا لم تفتحي الباب؟. هل تتحدثين في غيابي مع الرجال الغرباء.

الزوجة: معاذ الله.. لا يوجد أحد سواي.. وسواك

(الزوجة تمضي وتفتح لزوجها الباب.. الباب يتراجع.. يدخل.. الرجل يده مربوطة بسبب شظية، وعلى صدره دائرة حمراء توحي للناظر وكأنها موضع رصاصة قناص صوت رياح عاصفة.. الزوج والزوجة يدوران بحثاً عن بعضهما ويصرخان.. صوتاهما يترددان مع الصدى.. مما يذكرنا بمسلسل الأطفال عدنان ولينا).

الزوج: لينا.. لينا.. أين أنت يا لينا.. أين أنتِ يا لينا.

الزوجة: عدنا ن.. يا عدنان. أنا هناك يا عدنان... أين أنت يا عدنان،

(ثم وبصورة مفاجئة يرتطمان ببعضهما ويسقطان على الأرض وعندما ينهضان.. يهرعان لبعضهما ويتعانقان).

إظلام

(المشهد الثاني)

(بعد ان ينتهيا من العناق.. الرجل يدفع زوجته ويصرخ فيها)

الرجل : لماذا بعد كل هذه الضربات.. تأخرتِ في فتح الباب.

الزوجة : **(تصرخ)** ومن يجرؤ في هذه الأيام.. على فتح الباب.

ألم تنتبه بعد للذي أصاب الناس والبلاد..

الزوج: معكِ حق.. لم يعد احد في هذه الحرب يحب أن يفتح صدره حتى للهواء.

الزوجة: **(تلاطف زوجها)** أين كنت بعد كل هذا الغياب..

الزوج: حضرت اجتماعاً.. بقاعة العرش في قلعة حلب.

الزوجة: وماذا فعلتم في هذا الاجتماع.

الزوج: استمعنا لعلامة حلب خير الدين الأسدي.. ليقول رأيه في هذه الحرب.

الزوجة: وعن أي شيء تحدث.

الزوج: تحدث عن المدينة الأم.. وعن غدر بعض الأبناء.. فبكى الجميع من التأثر، الموالون منهم والمعارضون... وقرر كل طرف الاحتفاظ بالعلامة الأسدي في صفه.. بسبب حبه له.. وهكذا أمسكه الطرفان المعارضة من طرف والموالاة من طرف وشدو وبالغوا في الشد حتى انشطر علامة حلب خير الدين الأسدي إلى شطرين....فاحتفظ كل طرف بشطره الذي يحب.. وقد فعلوا به كما فعلوا بالمدينة وشطروها إلى شطرين ومدينتين.. وقد فعلوا ذلك.. كما يفعل الضباع بالغزالات..

الزوجة: ولكنك كنت قد قلت لي بأن العلامة الأسدي مات.. من زمان

الزوج: العشاق كعلامتنا الأسدي لا يموتون مرة واحدة.. وإنما يتم استدعاؤهم في الأزمات.. من أبنائهم القساة.

الزوجة: ولماذا يستدعونهم في الأزمات؟

الزوج: ليقوموا بقتلهم من جديد..

الزوجة: لماذا لم تخبرني بأنك ذاهب لهذا الاجتماع؟ آه.. لو أنني ذهبت معك!. كنت تدخلت وصرعت آذان الموالين والمعارضين بالولاويل، ومنعتهم

من قتل الرجل العظيم؟. لماذا أنت صامت؟ لماذا لم تخبرني أين كنت ستذهب؟.

الزوج: **(ملاطفاً زوجته)** وهل يخبر أحد زوجته أين سيذهب في هذه الأيام.؟

الزوجة: ألم يخطر ببالك.. أن تتزوج علي وأنت ذاهب للاجتماع.

الزوج: أفكر أن اتزوج عليكِ؟ والبلد في حالة حرب وحصار!.. والبندورة الحمراء.. مفقودة من الأسواق.

(الزوجة تضع يدها على البقعة الحمراء على صدر زوجها.. تتنبه إلى اللون الأحمر.. فتتراجع مذعورة)

الزوجة: أخبرني من أين جاءتك هذه البقعة الحمراء.. وكأن قناصاً ل يخاف الله أطلق عليك النار، وقتلك.

الزوج: وهل تعتقدين بأنني.. الآن مقتول.. أم ما أزال على قيد الحياة

الزوجة: لا أعرف.. قد تكون شبح زوجي.. أو روحه. القلقة الهائمة في الحارات المعتمة.. روحك التي تبحث عن المزيد من الشابات الجميلات... إذ لا

يعقل أن تصاب برصاصة قناص، وتتابع حياتك الزوجية، وكأنك في ليلة

الزفاف.

الزوج: تريدين معرفة سر هذه البقعة الحمراء.

الزوجة: طبعاً.

الزوج: هل تذكرين عندما اخبرتك.. بأنني هربت من القلعة مع الهاربين. بعد أن أطلقت القوى المتصارعة النار.

الزوجة: لا أعرف إن كنت أذكر..

الزوج: عندما شطر الأبناء البلاد.. واحتفظ كل طرف من المتصارعين بشطره.. وانطلقوا به.. حصل اضطراب وإطلاق رصاص.. فهرب الجميع من القلعة وتراكضوا فزعين على الأدراج وخلال هربي. . انزلقت وسقطت على حبة بندوره مختمرة.. وعندما نهضت.. كانت هذه البقعة على صدري، وعندما وصلت للحارة.. اجتمع علي الناس وبدؤوا بالصراخ.. وقال أحدهم.. شاعر حارتنا عدنان العمودي.. أصيب بطلقة

قناص يا ناس.. فهجم الناس وحملوني على الأكتاف.. وبدؤوا بالصراخ.. لا إله إلا الله والشهيد حبيب الله.. وبسبب الشد والجذب.. انزلقت على الأرض وسقطت مرة ثانية.. ثم وبسرعة نهضت وحلفت أمام الحاضرين يميناً بالطلاق.. بأن هذه البقعة الحمراء ليست طلقة قناص.. وإنما هي من أثار انزلاق.. فوق حبة بندوره حمراء.. وشكرتهم على محبتهم لشاعر حارتهم.. وتقديرهم للشعر العمودي الذي أكتبه.. رغم أن كل الأعمدة بسبب سوء الفهم والقذائف بدأت تنهار...

الزوجة: وتريد مني أن أصدق هذا الكلام؟

الزوج: هل لديكِ رأي آخر في الموضوع؟

الزوجة: طبعاً.

الزوج: ما هو؟

الزوجة: هذه البقعة الحمراء. ليست من آثار بندوره مهروسة

الزوج: هل يعقل أن تكون رصاصة قناص.. وقد أدت لقتلي دون أن أنتبه..

الزوجة: أبداً.. هذه البقعة الحمراء ليست بندورة مهروسة.

الزوج: فماذا يمكنها أن تكون؟

الزوجة: هذه البقعة من آثار بوسة.. من إمراه.. تحبك.

الرجل: امرأة تحبني وهذه آثار قبلتها؟

الزوجة: نعم تلك آثار قبلتها.

الزوج: وكيف جاءت القبلة إلى هنا..؟

(الزوج يشير إلى صدره)

الزوجة: لا بد أن واحدة من نساء المسلحين.. استلطفتك.. وهجمت عليك في الحارات المعتمة وقبلتك. قبلة طويلة وعميقة ومهروسة..

الزوج: والقبلة أين يكون موضعها.. على الصدر أم على الوجه والفم؟

الزوجة: يبدو أن المرأة التي هاجمتك لتقبلك قصيرة نسبياً.. فجاءت القبلة على القميص.. فوق القلب مباشرة وليس على الفم أو العنق.. لذلك ظنها الجميع قبلة قناص.. أقصد رصاصة قناص.

الزوج: هل يعقل أن تكون قبلة نساء المسلحين بحجم رغيف الخبز الطالع مباشرة من الفرن كهذه القبلة ؟!.

الزوجة: يمكن للقبلة أن تكون بحجم رغيف؟.. وخصوصاً إذا نفخت المرأة المتهمة شفتيها ودهنتهما بقلم أحمر من البندورة الحمراء.. ثم هاجمتك وبدأت بتقبيلك دون وعي كما تفعل السجينات المحرومات من قراءة المجلات..

الزوج: الآن تذكرت.. لم تهاجمني امرأة واحدة فقط.

الزوجة: هل هاجمتك أكثر من امرأة..

الزوج: هاجمتني ثلاث نساء قصيرات وشفاههن منفوخات كالبالونات..

قبلنني غصباً عني.. دفعة واحدة.. وعندما نلن وطرهن مني هربن بخوف.. حتى لا تقبض عليهن الميليشيات.. ويُتهموهن بالقيام بمحاولة اغتصاب رجل بريء يحب زوجته ولا يبادلها بعشر نساء..

الزوجة: وعندما تركتك النساء التحرشات ما الذي جرى لك ؟

الزوج: عندما تركتني النساء المغتصبات.. اتسعت القبلة المحرمة وبدت. وكأنها قبلة فيل.. أو بوسة فرس النهر محروم من النساء.

الزوجة: أنت تسخر مني

الزوج: أبداً أحاول أن أفهم غيرتك عَلي على أنها نوع من الحب المهدد بالانقراض.

الزوجة: هل تقسم لي بأنك لم تتمتع بالقبلات حين هاجمتك النساء القصيرات المتحرشات بالرجال، ولم تعانقهن وتنفعل معهن بالعناق لتصل شهقاتكم اللعينة للحواجز المسلحة البعيدة التي تقسم البلاد؟

الزوج: خذي مني هذا الكيس قبل أن أغضب.. وأذهب للحواجز المسلحة.. لأسلم نفسي.. وأصبح واحداً من ضحايا الحرب والزوجات الغيورات.. ونساء المتوحدات..

الزوجة: أرجوك لا تسلم نفسك. للحواجز.. فأنا أحبك.. وأخاف عليك **(تأخذ الكيس)** ما هذا؟

الزوج: تأكدي بنفسك.

(الزوجة. تخرج حبتي بندورة)

الزوجة: (.. **تصرخ بفرح**) الله حبتي بندوره مجرحات. . لماذا لم تحضر لي أربع حبات بندورة حمر غير مجرحات.

الزوج: أنت تعرفين.. بأن الزواج في الحرب من أربع زوجات. . أسهل من شراء أربع حبات بندورة حمر غير مجرحات. . فهل تصرين على قيامي بشراء أربع حبات؟

الزوجة: إن كان إحضار أربع بندورات بهذه الصعوبة.. يمكن الاكتفاء بحبتين.

الزوج: الزوجة الحكيمة غير المجروحة ،والتي تكتفي بحبتي بندوره.. امرأة نادرة

الزوجة: ومن أين أحضرت الحبتين ؟ إياك أن تقول بأنك سرقتهما من حضن فتاة لعوب كانت تبيع الممنوعات.

الزوج: ذهبت لحاجز المسلحين الذين يحاصرون المدينة ويمنعون عنها القوت وأحضرت ثلاث حبات ودفعت ثمنها عشرة أضعاف ثمنها الفعلي وعندما بدأ إطلاق الرصاص.. وقبل أن أموت بلحظات...، هربت وتعثرت.

الزوجة: فأين هي حبة البندورة الثالثة..؟

الزوج: الحبة الثالثة هنا (**الزوج يشير لقلبه حيث البقعة الحمراء**) تعيش معي وتتغلغل في نبضي.. وتلوث قميصي.

الزوجة: وأخيراً دخلت البندورة الحمراء بيتنا بعد ستة أشهر من الحصار.. لقد أثبتت لي يا عدنان.. من خلال هاتين الحبتين بأنك تحبني.. وبأنك مستعد كل يوم.. أن تذهب لحاجز المسلحين.. لتحضر لي حبتين إضافيتين.. حتى ولو دفعت ثمنهما حياتك.. الغالية على قلبي.

الزوج: الحب يا حبيبتي يصنع المستحيلات.. لقد خلق الله الطماطم أيام الحرب.

للتأكيد على الحب الجارف.. بين الأزواج والزوجات.. لقد عجز التفاح في الجنة على حماية الحب المتبادل بين آدم وحواء، وها هو الطماطم ينجو، ويتحول تحت سكين الزوجة الشاطرة إلى نوع فريد من السلطات.. وأنا من أجلك مستعد للذهاب إلى حواجز الموت كل يوم لإحضار حبتي طماطم لك.. حتى ولو صعدت روحي من أجلك للسماء.

(صوت الموسيقا يعلو.. الزوج يحتضن زوجته ليراقصها.. الزوجة تتملص منه)

الزوجة: اتركني الآن أفرح بهاتين الحبتين من الطماطم وحدي.. قبل أن يطرق علينا أحد الباب..

(صوت موسيقى شهرزاد "لكورساكوف".. الزوجة تدور حالمة كأنها فوق خشبة مسرح. وهي ممسكة بحبتي البندورة.. طرق عنيف على الباب.. الزوجة تسقط على الأرض. وتظل ممسكة بحبتي البندورة.. الزوجة تنهض فزعه.. الطرق يتكرر.. تحتمي خلف زوجها)

الزوجة: مين.. مين.. قصدي من يطرق علينا الباب..؟ أنا خائفه يا عدنان.

الزوج: معك حق.

الزوجة: هل تعرف أحداً من أقربائنا القساة.. يضرب الأبواب بهذا النوع من الضربات؟!.

الزوج: لا أعرف. . وأخشى ما أخشاه.. أن يكونوا من جماعة "فوكو حرام"..

الزوجة: وماذا تفعل هذه الجماعة بنت الحرام.. في حارتنا ؟!

الزوج: إنهم من الجماعات الغريبة، وهم متخصصون بسرقة الطماطم الحمراء، وسرقة بنات المدارس الصغيرات..

الزوجة: معقول يكونوا معتبرين البندورة نوع من أنواع المنكر.. وجاؤوا لأخذها بقوة السلاح؟.

الزوج: أحياناً يسرقون الطماطم بحجة الزواج.

(صوت قرع عنيف)

الزوج: سأفتح لهم الباب ونرى.. إن كانت البندورة من المنكر.. أم يمكن تناولها مع الزيت والزعتر.

(صوت طرق عنيف)

الزوج: سأفتح الباب

الزوجة: لا والله لن أتركك تفتح لهم الباب. أخاف أن يأخذوك مني

(صوت طرق عنيف جداً)

الزوج: لا تخافي يبدو أنهم زوار من النوع المؤمن بالحوار

الزوجة: وكيف عرفت ؟

الزوج: لو أنهم لم يكونوا من النوع المؤمن بالحوار.. لكانوا قصفوا الباب بالمنجنيقات ودخلوا..

الزوجة: هل أنت متأكد؟

الزوج: طبعاً متأكد!

الزوجة: سأبقى معك إن دخلوا

الزوج: اتركي ذراعي.. وسأرى

الزوجة: من غير أن ترى سأظل معك

الزوج: لا حول ولا قوة إلا بالله اتركي يدي يا بنت الحلال وسأتركك معي **(الزوجة تترك يد الزوج.. الزوج يمضي للباب ويفتحه.. يدخل شرطيان مسلحان، ومعهما سجل. يتأملان المكان.. والجدران والزوجة الجميلة)**

الزوج: خيراً يا حضرات؟ هل حصل مكروه حتى حضرتم بهذه الطريقة اللطيفة كالزلزال؟!.

الشرطي الأول: نحن في وضع صعب.. وأنت في وضع صعب أيضاً.

الزوجة: خير يا حضرة البوليس.. لماذا أوضاعكم وأوضاع زوجي صعبه. هل قامت إحدى النساء برفع دعوى نفقه ضد زوجي. لذلك حضرتم

الزوج: **(غاضباً)** الدعوى بين الرجل والمرأة ترفع في المحاكم وليس في مراكز البوليس

الشرطي الأول: مع زوجك الحق يا أختي.. نحن لا نتدخل بين الزوج والزوجة.. إلا إذا كان بينهما تطابق في الأسماء.

الزوجة: فلماذا حضرتم بلا مؤاخذه

الشرطي الثاني: أوضاعنا صعبة يا أختي.. لأن أسماء ثلاثة أرباع المواطنين في بلدنا متشابهة ، والناس عندنا في الإدارة يطلبون منا إحضار اسم مواطن متهم واحد ، فنحضر لهم خمسين لهم ذات الاسم مع فروقات بسيطة لا تذكر... ومن الذي يتعب ، ويحضر المتهمين ويعيدهم.. نحن!.

الزوجة: وهل حضرتم حضرتكم لوجود تشابه بين اسمي وإسم رجل متهم تبحثون عنه؟.

الشرطي الأول: أبداً أيتها السيدة المحترمة.. مشكلتنا ليست عندك.. لقد حضرنا لوجود تشابه بين اسم زوجك واسم متهم آخر.

الزوج: وما هو اسم المتهم الآخر

الشرطي الثاني: أنت اسمك عدنان العمودي.. أليس كذلك ؟

الزوج: نعم هذا اسمي.

الشرطي الثاني: التشابه مؤكد ودامغ بين اسمك واسم المتهم الآخر

الزوج: وما هو اسم المتهم الآخر..

الشرطي الأول: أنت اسمك عدنان العامودي.. والمتهم الآخر اسمه سمعان العامودي..

الزوج: وإين هو التطابق بين اسمي واسمه.. وهو سمعان.. وأنا عدنان..

الشرطي الثاني: نحن لا نبحث عن التطابق.. في الأسماء نحن نبحث عن التشابه.. والتشابه يسمح بوجود اختلافات طفيفة.. وخلال التحقيق تتضح الصورة وينضج جلد الموقوف.. من البحث والتنقيب، ويظهر التشابه بصورة أقوى وأوضح.

الشرطي الأول: وهناك تشابه قاسٍ ودامغ بالأسماء.. بينك وبين شخص ثالث أيضاً.

الزوج: وما هو اسم شبيهي الثالث لا سمح الله.

الشرطي الثاني: شبيهك الثالث.. اسمه عدنان.. المتساوي الساقين..

الزوج: وأين هو وجه التشابه بين عدنان العمودي وعدنان المتساوي الساقين

الشرطي الثاني: الكائن المتساوي الساقين.. أقرب للكائن العمودي كما هو معروف في علم الهندسة وعلم الحساب وجدول الضرب، وبقية الجداول الرقراقة التي تسيل من المرتفعات والينابيع.

الشرطي الأول: وعليك أن لا تخاف كثيراً من هذا التشابه لأننا بعد أن نستضيفك لمدة ثلاثة أشهر.. تتعرض فيها لأنواع معدلة وراثياً من

التحقيق الاحترافي في المنهجي سنعيدك للمدام غانماً مكرماً مع اعتذار شديد اللهجة نعلن فيه أنه التبس الأمر علينا، وارتكبنا أخطاء بحقك اضطرارية في النظرية والتطبيق.

الزوجة: وهل ستعيدون لي زوجي عدنان العمودي، وهو متساوي الساقين كما أخذتموه؟ أم ستعيدونه مسترخياً ومحمولاً على الأكتاف مثل أبطال الحكايات؟

الشرطي الثاني: إن كان زوجك مصاباً بالترقق والهشاشة في العظام والمعتقدات، ولم يكن مواظباً على تناول أطعمة فيها كالسيوم وإسمنت أبيض وفيتامينات . فمن المرجح أن لا يعود زوجك إليكِ متساوي الساقين.

الزوجة: وما الذي سأفعله به إن عاد إلي بساقين.

(**تمسك الشرطي من ياقة قميصه وتهزه بعنف**) غير مستقرتين على السرير.. زوج لا ينفع للصيف ولا للضيف.

الشرطي الثاني: قوة الساقين وانتصابهما أمر يتعلق بعلم الهندسة الوراثية يا مدام.. ولا علاقة لنا به نحن رجال البوليس.

الزوجة: وماهي الأشياء التي يفشل في القيام بها بعد ثلاثة أشهر من التحقيق

الشرطي الأول: قد يفشل في تقديم رقصات عالمية، وخصوصاً رقصات الباليه..

الزوج: ألا توجد أسباب مخففة تمنع الرجل المتشابه من الذهاب معكم للتحقيق ؟

الشرطي الأول: توجد أسباب كثيرة.

الزوجة: وماهي هذه الأسباب؟

الشرطي الأول: الاختلاف الواضح والمبين.. في اسم أم المشتبه به وأسماء إخوته وأولاده وأبيه..

الزوج: وما الذي تفعلونه إن حصل التشابه؟

الشرطي الأول: حين يحصل التشابه الحقيقي في الأسماء.. لا نتدخل نحن في التفاصيل.. ونطلب من المشتبه به بلطف شديد الذهاب معنا للتحقيق..

الزوج: وماهي أوجه التشابه المبين في رأيكم بين المتهم والمشتبه فيه؟

الشرطي الثاني: يكون التشابه المبين عندما يقع تماثل في اسم الأب، كأن يكون اسم الأب محمد أو محمود أو أحمد أو مصطفى... وهي كما تعرف ثلاثة أسماء لمسمى واحد وبين هذه الأسماء ألفة، وتطابق عميق، لذلك لا نفرق بين اسم واسم ونأخذ الآباء والأبناء للتحقيق العميق.

الزوجة: وماذا عن التشابه في أسماء الأمهات؟

الشرطي الثاني: يتحقق التقارب في الدلالة والمعنى في أسماء الأمهات عندما يكون اسم أم المتهم جميلة واسم أم المشتبه به فاتنة. والاسمان فاتنة وجميلة اسمان متشابهان. عندما يحصل ذلك نأخذ المتهم.. والمشتبه به للتحقيق.. ونترك الأمهات بصحة تامة آية للناظرين

الزوج: وهل توجد أشكال أخرى توقع أصحابها في الشبهات.. غير التماثل والتقارب؟

الشرطي الأول: يوجد نوع من التطابق نسميه تطابق أسماء المتهمين في الإيقاع الموسيقي أو الميزان الصرفي. وهذا التماثل في الإيقاع الشعري والصرفي معمول به كثيراً في كليات الآداب. كأن نقول.. عدنان.. سعدان.. شعبان كانون الثاني.. أو رمضان وهذا التطابق اللعين في الميزان الصرفي والإيقاع لم نكن نلتفت إليه كثيراً في الماضي.. ولكننا اضطررنا أن نلتفت له ونقوم بإخضاع المشتبه به للتحقيق العميق في السر وفي الجهر.. ليتبين لنا الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

الزوج: وكيف يتم عندكم إخضاع المتهم للتحقيق العميق.. هل تلقون بالمتهم في بئر عميق كما فعل أخوة يوسف الصديق بأخيهم.. الجميل.

الشرطي الثاني: أبداً.. نحن لا نعترف بالآبار ولا نثق بها..

الشرطي الأول: إخوة يوسف ألقوا أخاهم في الجب وذهبوا. أما نحن فنلقي بالمتهم في الجب... ولا نتركه أبداً. حتى لا يشعر بالوحدة والملل العميق.

الزوجة: ولماذا لا تتركون المتهم بحاله في الجب وتذهبون؟ أليس هذا أفضل له ولزوجته وأولاده الملاعين؟!

الشرطي: نخاف إن نحن تركنا المتهم في الجب يا مدام. أن يذهب ويرتكب الخطيئة مع امرأة العزيز.. وهذا أمر يزعج كثيراً رؤساء المخافر.. وزوجات المتهمين..

الزوجة: من هذه الناحية معكم حق. وتشكرون على هذا الجهد النبيل.

الزوج: (**مستغرباً**..) وكيف يكون تطابق الأسماء.. في الميزان الصرفي مصدراً للشبهات إذا كان المعنى شديد الاختلاف.. فماهي العلاقة بين شعبان وعدنان وغضبان؟.

الشرطي الثاني: هذا سؤال ممكن توجيهه للميزان الصرفي.. وليس لنا

الزوجة: وهل يشبه ميزانكم الصرفي الموازين الموجودة في سوق الهال؟.

(**الشرطي الأول يخاطب الزوجة بعد أن أعجب بها**).

الشرطي الاول: موازين سوق الهال يا مدام.. يُزان بها البصل والبطيخ والرمان. أما الميزان الصرفي الذي عندنا.. فنزين به الأسماء والولاء، والإصغاء وصدق النوايا، والأعمال.. وتلك موازين كالذهب يلتزم بها المواطنون عندنا حتى في سوق الهال.. لذلك تفضل معنا يا أستاذ شعبان.

الزوجة: وما دخل زوجي بسوق الهال؟ ثم إن زوجي منذ زواجنا لم يكن اسمه شعبان!. وزوجي شاعر الحارة كلها.. المعروف من ساحة الخضرة إلى معمل الزجاج.

الشرطي الثاني: ولكن التطابق في الأسماء والصفات والميزان الصرفي.. حصل بينه وبين متهمين كثر (**يلتفت للزوج**).. قلت لي اسمك هو شعبان العامودي؟

الزوج: اسمي عدنان العامودي.

الشرطي الثاني: وبين اسم عدنان العمودي وسمعان العامودي وشعبان المتساوي الساقين تشابه صريح لا لبس فيه.. تشابه يدفعنا لأخذ زوجك معنا يا مدام.. لاستكمال التحقيق.. (**للزوج**).. تفضل معنا أيها المواطن اللطيف..

الزوج: ألا يمكن أن توجد فوارق بيني وبين بقية المتهمين في اسم الأم أو الأب أو الحارة أو تاريخ الميلاد.. أو طبيعة الوظيفة والعمل..؟

الشرطي الأول: تلك فوارق لا تفيدنا كثيراً في مسار التحقيق..

الشرطي الثاني: وهنالك تشابه فظيع بينك وبين بقية المتهمين وهو أنكم جميعاً تكتبون الشعر الحديث وتبرعون فيه..

الزوج: ولكنني.. لا أكتب الشعر الحديث أبداً.. وأعتبر كتاب الشعر الحديث من القوم الضالين.

الشرطي الأول: ولكن زوجتك المصون.. قالت أكثر من مرة بأنك شاعر.. والشاعر يكتب الشعر ولا يصنع التوابيت.

الزوج: أنا شاعر فعلاً.. ولكنني أكتب الشعر التقليدي.. واسمي عدنان العمودي.. وأكتب الشعر العمودي القائم على بحور الخليل!

الشرطي الثاني: أنت متأكد بأنك تكتب الشعر العمودي؟ ولا علاقة لك بالشعر الحديث من قريب أو بعيد؟

الزوج: أقسم بالله العظيم.. لا أكتب سوى الشعر العمودي.. وهذا أمر يعرفه الجميع!.

(الشرطيان يتهامسان على طرف المسرح موسيقى مرافقه يعودان..)

الشرطي الأول: ألف مبروك يا مدام.. زوجك رجل بريء.. فمعظم المتهمين عندنا هم من كتاب الشعر الحديث.. وزوجك.. ولله الحمد.. يكتب الشعر العمودي القديم.. وهو بريء براءة الذئاب من أكل الأغنام.. على طول التاريخ.

الزوجة: أقسم بالله لم يدخل لحم الأغنام إلى بيتنا من بداية الربيع العربي!. وأنا أشكركم أشكركم.

(الشرطي الأول يفتح ذراعيه.. لتهنئة الزوجة.. الزوجة تهجم على الشرطي وتعانقه.. ثم ينفصلان.. الزوجة تهرع لزوجها وتحتمي به.. وكأنها ارتكبت خطأ)

الزوجة: الحمد لله يا حبيبي على سلامتك. . أنت إنسان بريء .

الشرطي الثاني: اطمئن يا سيد عدنان.. فالكتاب الذين يكتبون الشعر القديم هم الأقرب لقلب الحكومة والتابعين.

الشرطي الأول: أرجو أن تقبلوا اعتذارنا لهذا الخطأ الشنيع.. الذي كان من الممكن.. أن ينهي مسيرة شاعر مرموق.

الشرطيان: إلى اللقاء إلى اللقاء.

(الشرطيان يصافحان المدام ويخرجان دون التفات للرجل.. يصدر بعد خروجهما دوي مخيف لصوت انغلاق الباب.. فاصل من موسيقا شهرزاد " لكورساكوف".. الزوج والزوجة يرقصان معاً بصورة حالمة.. الزوج يدفع زوجته بقوة فتقع على الأرض).

الزوجة: **(تنهض وتقول بحزن)** لماذا دفعتني هكذا بكل قسوة وأسقطتني على الأرض؟!.

الزوج: **(يصرخ)** لماذا عانقت الشرطي بحضوري دون خجل وكأنه حبيب؟.

أو كأنه قريب؟. ولا أحد في العالم يعانق رجال الشرطة.. حتى في العيد .

الزوجة: لا تؤاخذني.. بعد أن سمعت خبر خلاصك من الذهاب معهم لمتابعة التحقيق... شعرت بسعادة مؤلمة.. سعادة رغبت بسببها أن أعانق حتى التماسيح.

الزوج: تعانقين التماسيح من أجلي؟!

الزوجة: وأعانق الزواحف.. والأفاعي.. لأشعر بأنني امرأة يجلب عناقها السعادة للآخرين.. ثم إن الشرطي فتح ذراعيه لي.. كأنما كان فرحاً مثلي.. بخلاصك من الوقوع تحت رحمة التحقيق.

الزوج: تحبينني بهذا القدر؟

الزوجة: نعم.

الزوج: وتحبين رجال الشرطة جميعاً.. إذا تركوا لكِ زوجك اللعين وذهبوا حائرين

الزوجة: نعم .

(الزوج يقترب من زوجته بحب.. ويعانقها ويعودان لمتابعة الرقص مرة أخرى.. صوت الموسيقى يعلو من جديد.. أصوات طرقات على

الباب.. طرقات قوية ينفتح لها الباب دون أن يفتحه أحد.. ويدخل إثنان من المسلحين الملتحين ويدخل معهما غبار كثيف.. الزوجان يتراجعان بخوف إلى الجدار.. المسلحان الملتحيان يطلقان النار بعنف على الأشياء.. الزوج والزوجة يسقطان على الأرض.. المسلحان يقتربان منهما يمد كل واحد من المسلحين يده للزوجة يرفعانها على الأرض.. ويتركان الزوج على الأرض وكأنه ركام..)

المسلح الأول: لا تؤاخذيننا يا أختي.. فنحن نضطر لإطلاق النار بعد كل دخول.. حتى لا يسيئ أحد فهمنا.

(المسلح الثاني يشير إلى الزوج الملقى على الأرض)

المسلح الثاني: ما هذا الشيء الملقى على الأرض مثل الكيس.. وهل كان يفكر باغتصابك قبل دخولنا..

الزوجة: إنه زوجي.. وهو منذ زواجنا لم يفكر باغتصابي.. وهذا أمر يقلق الزوجة المحبة كثيراً.

(المسلح الأول يرفع غطاء رأسه، ويضعه على رأس الزوجة ليغطي به شعرها)

المسلح الأول: هكذا أفضل وأقرب للتقوى... ألا تشعرين بأنك صرت أجمل وأنقى بعد أن وضعت على رأسك هذا المنديل..

(الزوجة تلقي بمنديل المسلح وتركض إلى الداخل)

المسلح الاول: **(يغضب)** لماذا ألقت بالمنديل الذي وضعته لها لأسترها من عريها الجميل؟.. ولماذا هربت ؟

المسلح الثاني: **(يضحك)** صاحب الحق بوضع المنديل على رأس المرأة هو زوجها.. **(يشير للزوج المتكوم على الأرض)**.. و لا يحق لرجل غريب أن يفعل.

المسلح الاول: يبدو أنه أصيب بطلقة من طلقات التعارف التي أطلقناها خلال دخولنا.. انهض يا رجل.. انهض يا مؤمن.

(الزوج ينهض ينفض ثيابه)

المسلح الثاني: هل أصبت؟

الزوج: لا أعرف.

المسلح الأول: لماذا لم تنهض بسرعة كما فعلت المرأة

الزوج: لا أعرف.. أحسست أن الاستلقاء على الأرض في الحروب.. آمن أكثر

المسلح الأول: **(ينتبه للبقعة الحمراء على صدر الزوج)** أنت مصاب.. أنت مصاب في القلب تماماً.. كيف تصاب في مكان قاتل كهذا، وتظل حياً!

الزوج: **(يتأمل البقعة)** يبدو أنها إصابة غامضة.

المسلح الثاني: ما الذي تقصده؟

الزوج: أقصد أن الإصابة لم تكن في القلب تماماً.. ربما كانت إلى جوار القلب.. أو بعيداً عنه.. وربما أصابت الرصاصة شخصاً آخر مر إلى جواري.. فطارت قطرات من دمه، وصبغت قميصي وصدري

(الزوجة تخرج وقد وضعت على رأسها منديلاً)

الزوجة: هل ارتكب زوجي خطيئة في غيابي.. وهل تفضلون من أجل الحلال والحرام.. أن يضع على رأسه منديلاً مثلي.

المسلح الأول: لماذا القيتِ بمنديلي على الارض وهربتِ.. أيتها المرأة الفاقدة للتهذيب؟

الزوجة: شعرت بأن هذا الشيء العجيب الذي تضعه على رأسك.. أقصد منديلك.. والذي لم يلامس الماء منذ شهور. شعرت وكأنه يمد لسانه لي.. فخفت منه والقيت به.. حتى لا يسيء فهمه رأسي.. فإن أحببتم أن تطلقوا علي النار فلا بأس.. المهم أن لا تصيبوا زوجي **(تعانق زوجها)**.

المسلح الثاني: ولماذا تخافين على زوجك خوفاً مبالغاً به.. وأنت تعرفين بأن ثورتنا تميل للهدوء.. والحكمة.. والنظر الحلال لأجساد النساء.

الزوجة: أنتم تعرفون أن الأزواج في الحروب يصبحون عملة نادرة، والنساء

لا يستطعن الاستغناء عن الرجال حتى ولو كانوا شعراء.

المسلح الثاني: لقد جئنا لزيارتكم من أجل هذا الأمر..

الزوج: أي أمر؟

المسلح الأول: الشعر.. لقد أخبرنا الناس في حارتكم والحارات المجاورة.. أنك شاعر.. وقد أكدت زوجتك منذ قليل.. بأنك شاعر.. ونحن نحتاج للشعراء من أمثالك في ثورتنا.. ليكتبوا لنا الأناشيد الحماسية التي تمجد الثورة والثوار.. الميامين..

الزوج: ليتني أستطيع أن أخدمكم في هذا الأمر.. ولكنني للأسف.. غير قادر على ذلك.

المسلح الثاني: ولماذا لا تستطيع أن تخدمنا لا سمح الله.. وأنت شاعر معروف في الحارة والحارات المجاورة؟

الزوج: كتابة الأناشيد والشدّيات تحتاج لشاعر عمودي، وأنا كما هو معروف شاعر حداثي.. غير عمودي و. و. و شعراء الحداثة مساكين ولا يجيدون كتابة الأناشيد الحماسية ولا الأغنيات العاطفية.

المسلح الثاني: أعوذ بالله منك، ومن الأغنيات العاطفية، والشعر الحديث.

المسلح الأول: سمعت أن المحكمة الشرعية في ثورتنا.. تعتبر كتاب الشعر الحديث. والعياذ بالله.. جماعة إيمانهم ضعيف.

المسلح الثاني: وولاؤهم لنا ولثورتنا فيه زيغ وميل عن الصراط القويم.

المسلح الأول: ونحن نتقرب بدم شعراء الحداثة.. من الله العلي القدير.

الزوج: تتقربون بدمهم.. وهل يقبل الله أن يتقرب الواحد منا بدم أخيه..

المسلح الثاني: حياة الانسان عزيزة على قلوبنا.. لذلك انتظر قليلاً لأسأل شيخنا في المحكمة الشرعية.. عن مصيرك وهل له رأي فيه.

(يخرج هاتفه النقال ويتحدث مع قيادته)

السلام عليكم ورحمة الله يا مولانا.. نعم نعم.. لكن حصل معنا أمر بالغ الحرج والتعقيد.. الشاعر الذي أرسلتمونا إليه.. لم يكن شاعراً عمودياً ملتزماً ببحور الخليل وأنهاره وسواقيه.. وإنما

وجدناه شاعراً من دعاة الحداثة والعياذ بالله، وهو غير قادر يا سيدنا.. على كتابة الأناشيد ولا الأغاني الحماسية.. ولا الدور ولا الموشح.. تصور يا سيدنا. إن شعراء الحداثة رغم ضلالهم.. لا يجيدون حتى كتابة الطقطوقة.. نعم.. نعم يا مولانا فما الذي سنفعله معه؟ نعم. . قلت لي إنكم تضعون أمام شعراء الفتنة الحداثيين خياران لا ثالث لهما... أنا أسمع.. نعم نعم.. استوعبت الخيار الأول.. فما هو الخيار الثاني. يا سيدنا. نعم أسمعك.. نعم نعم نعم الأمر صار واضحاً وضوح الشمس على كبد العجل الطري.. ماذا قلتم يا مولانا.. نعم الرجل متزوج.. وزوجته شابة وعلى ملامحها فتنة.. وفي نظراتها زيغ خفيف.. نعم. نعم. . مع السلامة يا مولانا مع السلامة..

المسلح الأول: هل وصلت مع مولانا في المحكمة الشرعية إلى حل.. ينصف هذا الشاعر الحداثي المأفون؟

المسلح الثاني: أخبرني قاضي محكمتنا الشرعي عن حلين إثنين أمام الزوج الشاعر

الزوج: وما هما هذان الحلان العبقريان؟

المسلح الثاني: الحل الأول.. وضعك في سرداب مكين واستتابتك.. لتترك الشعر الحديث.. لأن كتابَه والداعين إليه.. وضعهم صعب وحزين..

الزوج: وبعد الاستتابة.. ماذا تفعلون؟

المسلح الثاني: بعد الاستتابة تُختار بين ان تكون واحدا من دعاتنا المقربين.. أو تتدرب على قنص الهراطقة والضالين... وأطلب منك أن لا تخاف على زوجتك لأنها وقعت في نفسي موقع صدق. . وأعدك.. بأنني لن أتركها في غيابك للوحدة والأحزان وسأتزوجها بالحلال.

الزوجة: **(تصرخ)** ماذا تقول انت؟. أموت مئة مرة ولا أتركك تلمس حذائي..

النساء هنا يحترمنني أكثر من احترامهن لمديرة المدرسة الابتدائية في الحارة.. والجميع يقولون باعتزاز.. جاءت زوجة الشاعر.. وذهبت زوجة الشاعر.. وأنت تريد قتل زوجي الشاعر

لتتزوج مني.. ألا تعرف بأن الحارة التي لا يوجد فيها شاعر.. حارة ميتة **(صمت)**

المسلح الثاني: الحارات الميتة تستطيع فهمنا أكثر من الحارات الحية.. فلا تحاولي معنا فالصبر على تطاول النساء ليس من شيمنا.

المسلح الأول: هذه المرأة لي.. وأنا من اللحظة الأولى لدخولي هذا البيت.. ووضعي غطاء رأسي فوق رأسها.. حدقت في عينيها.. وشعرت بانجذاب كبير نحوها.. وبأنها صارت تخصني وحدي.. وعندما عرفت بأن زوجها من الشعراء المارقين شعرت باقتراب تحقق الحلم وقلت في نفسي.. ليس سوى الزواج من شاب مؤمن مثلي من يخلصها من مصيبتها ويعيدها للهداية وسواء السبيل.. وأنا مستعد أن أموت في سبيلها حتى، ولو كانت متهاونة في أمور الدين.

(المسلح الأول يرفع السلاح في وجه المسلح الثاني ويصرخ به)

المسلح الأول: فلا تحاول أن تنتزعها مني.

المسلح الثاني: احتفاظي بهذه المرأة.. أمر يقرره أمير الدعوة، وهو قريبي.. فلا تحاول أن تختبر غضبي.

(صوت انفجار قريب ومزلزل.. الجميع على الأرض يرتعشون من **الخوف.. الزوج ينهض قبل غيره ويهاجم المسلح الأول محاولاً تخليص سلاحه منه لمهاجمته.. تحصل معركة.. المسلح الثاني يرفع سلاحه مهدداً)**

المسلح الثاني: توقفا.. قلت توقفا.. توقفا وإلا أطلقت النار.

(المسلح الأول ينجح باستعادة سلاحه. ويلتفت للمسلح الثاني، ويطلق عليه النار بقصد التخلص منه.. المسلح الثاني ،وقد أصيب بصدره إصابة قاتلة يقع ثم ينهض)

المسلح الثاني: لماذا قتلتني ؟ لماذا ؟

المسلح الأول: أريد هذه المرأة لي وحدي.. وبقاؤك حياً.. يبعدها عني.

المسلح الثاني: **(يلقي بمسدسه للزوج قائلاً)**.. دافع عن حقك وعن امرأتك.. وإن نجحت، فاطلب من الله ان يغفر لي..

(المسلح الثاني يتهاوى ميتاً.. الزوج يتلقف المسدس بارتباك.. ويوجهه نحو المسلح الأول ويطلق عليه النار.. لا تخرج الطلقة يحاول ثانية.. لا تخرج الطلقة.. يلقي بالمسدس إلى جهة المسلح الأول يصيبه.. فيترنح ولكنه ينهض، ويوجه سلاحه إلى الزوج ويصرخ فيه)

المسلح الأول: الآن جاء دوري.

(يلقم مسدسه ليطلق النار.. الزوجة تهاجم المسلح.. تعضه من ذراعه.. يدفعها تسقط.. يصرخ بها..)

المسلح الأول: هذه حرب الرجال.. واقترابك من الحرب.. يدنسها..

(يطلق رصاصة في الهواء.. الرصاصة الثانية ستكون في صدرك.. مكان البقعة الحمراء التي أعدت نفسها طويلاً لاستقبال رصاصتي.. يرفع المسدس يسدد.. صوت إطلاق رصاصة.. يسقط المسدس من يد المسلح تتشكل على صدره بقعة حمراء).

المسلح الأول: **(بذهول)** هل أطلقت النار علي..

(يلامس صدره تعود يده غارقة بالدم..)

الزوج: لم أطلق عليك النار.. لكن نافذة الشرفة مفتوحة على الله.. يبدو أن قناصاً أو ملاكاً كانا واقفين على شرفة أخرى.. وأطلقا عليك النار.. ليدافعا عن السماء وعن زرقتها الفاتنة.

(المسلح الأول يسقط.. الزوجة تهرع لزوجها وتعانقه.. صوت موسيقا هادئة.. يتحركان بنعومة وكأنهما جسد واحد).

الزوجة: أنت لم تقل لي حتى الآن. هل أنت شاعر تكتب القصائد العمودية.. أم تكتب الشعر النثري.

(صوت سيارة الإسعاف من بعيد.. يعلو ويعلو)

تمت

حلب ... 2021/5/21

مسرحية

آخر ليلة.. أول يوم



جوان جان*



* كاتب وناقد مسرحي سوري .. يرأس تحرير مجلة الحياة المسرحية السورية الصادرة عن وزارة الثقافة السورية بدمشق له مؤلفات عديدة في النقد المسرحي ،و كتب لمسرح الكبار والاطفال نصوصا مسرحية منشورة ومتميزة أغلبها تمّ عرضه على خشبات المسرح السوري والعربي .. (راجع) .. النبذة مأخوذة عن النت بتصرف واختصار

المشهد الأول

المكان منزل متوسط المستوى من ناحية الأثاث.. في منتصف المكان هناك منضدة صفّت عليها أطباق مختلفة من الطعام.. يبدأ المشهد من صوت دقات ساعة الحائط تعلن تمام العاشرة.. الزوج والزوجة يجلسان كل في جهة وتبدو على ملامحهما خيبة الأمل.. صوت ريح شديدة من الخارج.. الحوار يدور الآن بلا اكتراث من الزوج والزوجة.

الزوج: (**يشير إلى ساعة الحائط**) هل أنتِ متأكدة من صحة توقيت هذه الساعة؟

الزوجة: بيغ بين.

الزوج: يبدو أن أحداً منهم لن يأتي.

الزوجة: مازال هناك متسع من الوقت.

الزوج: لو كانوا ينوون المجيء لوصلوا منذ أكثر من ساعة.

الزوجة: هل أنتَ متأكد من أنك دعوتَ جميع الذين كنتَ تريد دعوتهم؟

الزوج: طبعاً.. وأنتِ؟

الزوجة: دعوتُهم كلهم.

الزوج: ربما منعهم الجو السيئ من المجيء.

الزوجة: ربما.

الزوجة: ليس من عادتهم أن يتركونا نحتفل بعيد زواجنا وحدنا.

الزوج: ربما سئموا.. أربع سنوات وهم يحتفلون معنا بهذه المناسبة.. ألا يكفي هذا؟

الزوجة: (**بلهجة لا تخلو من العتب**) ربما يكفي (**يبدأ الزوج والزوجة بالتحرك في المكان.. بحيوية**) ستكون مفاجأة بالنسبة لهم عندما سيعلمون أن هذا الاحتفال سيكون آخر احتفال لنا بعيد زواجنا وأننا سنتوجه من الصباح الباكر إلى المحكمة كي نضع حدّاً لسنوات زواجنا وننهي كل شيء، الأمر الذي يسعدك بالتأكيد.

الزوج: بنفس القدر الذي يسعدك.

الزوجة: من يراك سعيداً هكذا سيعتقد أنك ستبدأ حياتك غداً ولن يدرك أنك ستنهيها غداً.

الزوج: **(باستغراب)** أنهيها؟! هل تعتقدين أن حياتي ستنتهي بمجرد انفصالنا عن بعضنا؟ أنتِ مخطئة جداً **(بتشفٍّ)** حياتكِ أنتِ قد تنتهي غداً، أما حياتي أنا فستبدأ.

الزوجة: **(تضحك ضحكة هستيرية.. بتوتر وقد أحست بجرح مسّ كرامتها)** معك حق في أن تقول هذا الكلام.. كان يجب أن أقبل الزواج بأول رجل تقدم لخطبتي قبلك.. لو فعلتُ ذلك لكنتُ الآن أسعد نساء الأرض قاطبة .

الزوج: **(يقترب منها)** كم تعشقين المكابرة يا منى.

الزوجة: **(باستغراب)** المكابرة؟! لستُ مضطرة للمكابرة.. فتاة طموحة مثلي وعندها مواهب في الكتابة ما الذي ستتأمله من طبيب حياته محصورة بين المشافي وأكياس السيروم؟

الزوج: هل تتوقعين مني أن أترك عملي في المشفى وأجلس إلى جانبك وأتأملكِ وأنتِ تكتبين تمثيليات؟ **(يستدرك)** عفواً.. وأنتِ تحاولين إقناع نفسك أنكِ تكتبين تمثيليات؟

الزوجة: **(مستنكرة ومستفزة)** أقنع نفسي؟ **(محاولة استعادة كبريائها)** فقط لو تسمع ماذا قال المخرجون والفنانون عن كتاباتي.. أقل تعبير قالوه: رائعة.

الزوج: **(ساخراً)** بدليل مسلسلاتك التي تتدفق من شاشة التلفزيون وتملأ أرض البيت.. أزيحي مسلسلاتك جانباً بدل أن تتبعثر هكذا على أرض البيت ونتعثّر بها.

الزوجة: **(تغالب دموعها من قسوة كلام الزوج)** لو وجدوا أن هناك زوجاً يقف إلى جانبي لكانت نظرتهم لي أكثر احتراماً.. امرأة جميلة ووحيدة مثلي ستكون هدفاً لأطماعهم بالتأكيد ولن يهتموا بمستوى كتاباتي.

الزوج: لـذلك كـان رأيـي منـذ البدايـة أنـكِ بغنـى عـن هـذه الأجـواء الـتي لا تناسبنا وأن الاعتناء ببيتك وزوجك أولى من هذه الترهات.

الزوجة: لكنكَ قبل الزواج وعدتَني أن تقف إلى جانبي.

الزوج: صحيح أنني وعدتُكِ أن أقف إلى جانبكِ ولكن ليس إلى درجة أن أركض خلفكِ من مخرج إلى مخرج ومن شركة إنتاج إلى شركة إنتاج.

الزوجة: أنتَ وعدتَني أن تقف إلى جانبي حتى النهاية.

الزوج: أنا الذي سأصل إلى نهايتي قبل أن نصل إلى أية نهاية (**برقّة.. يقترب منها ويضع يديه على كتفيها**) حبيبتي (**تذوب خجلاً وتضع عينيها في الأرض كمراهقة**) كبّري عقلك وكوني مثل كل النساء الطبيعيات.

الزوجة: (**تنتفض غاضبة وترمي يديه عنها**) تقصد أن أصغّر عقلي وأدفن نفسي وأنا على قيد الحياة مثل النساء الغبيات.. أنتم الرجال تريدون أن تكون النساء مثل العبيد بين أياديكم وتابعات لكم.

الزوج: ما أعظم قدرتك على تزوير الكلام.. دائماً تفهمين الكلام حسب مزاجك.. تظنين أنّ الدنيا يجب أن تسير حسب مشيئتك.

الزوجة: عندما أسمعكَ تتحدث عني بهذه الطريقة أشعر أنك تتحدث عن نفسك.

الزوج: لا شك أن تدركين أن الكلام معكِ لا فائدة منه.. لو لم يكن الجو سيئاً في الخارج لكنتُ خرجتُ في الحال.

الزوجة: هذا هو الشيء الوحيد الذي تجيده.. عندما تجد نفسَك وقد حُشِرتَ في الزاوية تسارع إلى الهروب.

الزوج: هل تعتقدين أن الرجل يخرج من بيته في أنصاف الليالي بإرادته أو رغبته؟ إنه يخرج هارباً من النكد.

الزوجة: من يسمعكَ يظن أن زوجتك تذيقك سوء العذاب وتنغص عليك حياتك.. تمنيتُ مرة واحدة أن أناقشكَ في موضوع ما دون أن تقمعني أو تقلل من قيمة كلامي.

الزوج: وأنــا تمنيــتُ مــرة وحــدة أن تناقشــيني في موضــوع ذي قيمــة.. كــل أحاديثك عن السيناريوهات والمخرجين والممثلين وهذه التفاهات.

الزوجة: أفضل من أحاديثك التي تفوح منها روائح الكحول والمعقّمات.

الزوج: **(مهدداً)** مني.. إلزمي حدودك.

الزوجة: هذه هي عادتك.. عندما تصل وتوصلني معك إلى طريق مسدود تبدأ بتوجيه التهديدات.

الزوج: لم نصل مرة إلى طريق مسدود إلا وكنتِ أنتِ السبب.

الزوجة: ذكّرني ولو بمرة واحدة كنتُ فيها أنا السبب.

الزوج: الأمثلة أكثر من أن تحصى.

الزوجة: أنتَ هكذا دائماً.. تتهم دون أن تبرهن على صحة كلامك.

الزوج: **(ساخراً)** أبرهن؟ وهل نحن في محكمة؟

الزوجة: **(بضجر)** كرمى لله وسام لم أعد أريد أن أسمع شيئاً.

(صوت العاصفة يشتد.. تتوجه الزوجة نحو جهاز التسجيل وتشغله فتنطلق أغنية حبيتك بالصيف لفيروز وتستمر لمدة نصف دقيقة يتبادل خلالها الزوجان النظرات المعبّرة.. الزوجة تسارع إلى إغلاق الجهاز)

الزوج: لماذا أغلقتِ جهاز التسجيل؟ الأغنيّة جميلة.

الزوجة: **(بعصبية)** لا أحد يسمع فيروز في الساعة العاشرة ليلاً.

الزوج: الصوت الجميل والأغنية الحلوة يُسمعان في كل وقت.

الزوجة: **(عاتبة)** الآن أصبحتَ تحب أغاني فيروز؟ هل تذكر؟ بعد أن تزوجنا بأسبوع واحد أهديتكَ شريطاً لفيروز فرميتَه جانباً ولم يخطر ببالك أن تسمعه إلا بعد ستة أيام.

الزوج: **(مصححاً)** خمسة أيام.

الزوجة: خمسة أو ستة.. النتيجة واحدة.

الزوج: **(بغيظ)** تمتلكين ذاكرة عجيبة.. تتذكرين ما يناسبك وتنسين ما لا يناسبك.. تتذكرين أنكِ أهديتِني شريطاً ولم أسمعه وتنسين أننا

في نفس اليوم نقلنا أمي إلى المشفى بحالة إسعاف.. هل كنتِ تتوقعين مني أن أترك أمي في المستشفى وأجلس في البيت كي أستمع إلى الأغاني؟

الزوجة: يبدو أننا لن نتفق أبداً.

الزوج: وهذا رأيي أيضاً، لذلك غداً منذ الصباح الباكر... (**صوت الرياح يشتد ويقطع كلام الزوج**).

الزوجة: (**تعليقاً على صوت الرياح**) يا لطيف.. ما الذي يجري؟

(**فترة صمت**)

الزوج: ماذا كنا نقول؟

الزوجة: كنا نقول أننا لن نتمكن من التفاهم.

الزوج: ألستِ أنتِ السبب في ذلك؟

الزوجة: (**مستنكرة**) أنا؟! ولماذا لا تكون أنت السبب يا دكتور يا محترم؟

الزوج: (**مدهوشاً**) أنا؟! أنا لم أتدخل يوماً بشؤونك وأتركك تفعلين ما تشائين.

الزوجة: ومتى قلتُ لكَ إنني أريد أن أفعل ما أشاء؟

الزوج: (**بنفاد صبر**) احترتُ بأمرك.. إذا لم أتركك على حريتك تقولين إنني أخنقكِ، وإذا تركتكِ على حريتك تتبرمين (**بعصبية يقترب منها ويكاد أن يضربها**) أنتِ ماذا تريدين؟ ماذا تريدين؟

الزوجة: (**بإصرار وصوت عال**) أريد الطلاق.. الطلاق.

الزوج: إذن أنتِ... (**يكاد أن يقول أنت طالق**) ستقضين عليّ يوماً.

الزوجة: أريد أن أعرف الآن وفي هذه اللحظة لماذا تزوجتَني؟

الزوج: غلطة وهذه نتائجها.

الزوجة: ماذا كنتَ ستخسر لو تركتَني في حضن أمي وأبي وإخوتي؟

الزوج: (**ساخراً**) في ذاك البيت المسنود بعمود في منتصفه كي لا يقع فوق رؤوسكم؟

الزوجة: صحيح أن بيتنا كان مسنوداً بعمود لكنه لا يمكن أن يقع لأنه كان عامراً بالحب (**ساخرة**) قصر يلدز الذي تُسكنني فيه الآن لم أعد أريده.. انتهت الحكاية.. كسرْنا الدفّ وتوقفنا عن الغناء.

الزوج: دكتور متخرج منذ خمس سنوات فقط أين تريدينه أن يسكنك؟

الزوجة: هذه ليست مسؤوليتي.. لو كنتَ استطعتَ توفير شيء من النقود لما كان هذا حالنا.

الزوج: والله يا سيدتي ما أعلمه أن موضوع التوفير هو من اختصاص سيدة البيت.

الزوجة: هذا الكلام صحيح، ولكن عندما يبعثر (**ساخرة**) سيد البيت نقوده يميناً وشمالاً غير مكترث بشيء ماذا بإمكان سيدة البيت أن تفعل؟

الزوج: أتوسل إليكِ أخبريني أين أبعثر نقودي.. أين؟

الزوجة: اسأل نفسك.

الزوج: سألت نفسي ولم تعرف نفسي أن تجيب على هذا السؤال.

الزوجة: لا يليق بك أن تتجاهل الشيء الذي تعرفه جيداً.

الزوج: عدتِ لتعزفي نفس المعزوفة؟ أنتِ ألا تريدين أن تنسي؟

الزوجة: وهل يُنسى هكذا أمر؟ أكثر من خمسة ملايين ليرة أرسلها لك أخوك من كندا عندما تخرجتَ كي تبني نفسك، وأنتَ بدل أن تستفيد منها بمشروع يجعلنا نخرج إلى الحياة ضيّعتَها مثل الـ... لا أعرف ماذا أقول.

الزوج: قولي ولا تهتمي.. أضعتُ النقود في مشروع تجاري فاشل.. ضحكوا عليّ.. هل هذا يكفيكِ؟ ها أنا أعترف أمامكِ للمرة المليون أنني خُدِعت.. هل تريدين أن أبث لك خبر خداعي على شاشة التلفزيون؟ انتهت القصة منذ خمس سنوات وأنتِ لا تريدين أن تنسي.. كم هو قلبك حقود.

الزوجة: صحيح أن القصة انتهت منذ خمس سنوات، لكنها تؤثّر على حياتنا حتى الآن.. هل تذكر كم توسلتُ إليك ألا تغامر تلك المغامرة؟ هل

تذكر كم قلتُ لك أن بيتنا سينهار بسبب هذا المشروع؟ وأنتَ رفضتَ أن تسمع مني كلمة واحدة وكأن الموضوع يعنيك وحدك.

الزوج: غلطة مثل كل الأغلاط التي يرتكبها الناس.

الزوجة: والنتيجة خسارتنا لخمسة ملايين ليرة بأسبوع واحد.

الزوج: (**مصححاً**) بأسبوعين.

الزوجة: ليكونوا شهرين.. ما الفرق؟ لم نخسر فقط النقود بل خسرنا دعم أهلك لنا ووقوفهم إلى جانبنا بعد أن لمسوا استهتارنا وقلة وعينا.. هل هذا هو الهدف الذي كنتَ تريد تحقيقه يا دكتور؟

الزوج: هل تعرفين أنني من أول يوم زواج بيننا أدركتُ أن نهاية علاقتنا ستكون هكذا!؟

الزوجة: وهل تعرف يا دكتور وسام أنني ليس فقط منذ اليوم الأول من زواجنا بل منذ اللحظة التي خطبتَني فيها عرفتُ أن هذه ستكون نهايتنا.

الزوج: (**ببرود أعصاب**) كاذبة.

الزوجة: (**بغضب**) كاذبة؟ أنا لا أسمح لك.

الزوج: بل أكثر من كاذبة.. لو كنتِ تعرفين أنّ هذه ستكون نهايتنا لما كنتِ رميتِ نفسك عليّ.

الزوجة: وقتها كنتُ صغيرة ولا أفهم بهكذا أمور.

الزوج: أنتِ لا تفهمين بهكذا أمور؟ بل تفهمين بها أكثر من مئة امرأة.

الزوجة: ألا تشعر أنكَ تهينني بهذا الكلام؟

الزوج: (**مرتبكاً**) وهل تقصّرين أنتِ؟

الزوجة: أنا لم أنطق بكلمة تؤذيك.

الزوج: ليس من الضروري أن تنطقي.. أنتِ تفعلين.

الزوجة: ذكّرني بمرة واحدة أخطأتُ فيها بحقك.

الزوج: هل لي أن أعرف لماذا لا تريديننا أن ننجب أطفالاً؟

الزوجة: أعتقد أننا تحدثنا مئة مرة بهذا الموضوع.

الزوج: ليصبحوا مئة مرة ومرة.. عندما لا تريد المرأة إنجاب طفل من زوجها فهذا يعني أن في رأسها موّالاً تريد أن تغنّيه.

الزوجة: عندما يكون هناك موّال في رأس الزوجة تريد أن تغنّيه فبإمكانها أن تفعل ذلك سواء أكان عندها أطفال أم لم يكن.. ثم على أي أساس تريد إنجاب أبناء؟ ما هو الشيء الذي ستقدمه لهم غير هذا البيت المستأجَر بغرفته الوحيدة؟

الزوج: الله كريم.

الزوجة: أحياناً وأنا أتحدث معك أشعر أنني أتحدث مع جدّتي.

الزوج: أعدنا إلى إطالة اللسان؟

الزوجة: دائماً تعتبر الحقيقة إطالة لسان.

الزوج: **(يحار بما يجيب فيحاول تغيير الموضوع باتجاه موضوع يمكن أن ينتصر فيه.. بعصبية)** خمس سنوات وأنا أقول لكِ إنني لا أحبّ الضوء الأصفر بل أحب الضوء الأبيض.. الضوء الأصفر يؤلم عينيّ وأنتِ تعرفين هذا الأمر جيداً ولكنكِ تصرّين على إطفاء الضوء الأبيض وإنارة الضوء الأصفر.

الزوجة: هل نسيتَ أنك لا تعيش في البيت وحدك؟ هناك بشر يعيشون معك ويحق لهم أن ينيروا الضوء الذي يريدونه.

الزوج: هؤلاء البشر الذين تتحدثين عنهم يفعلون المستحيل وهم يبحثون عن كل ما يضايقني ويفعلونه لأن الموضوع ليس موضوع ضوء أصفر وضوء أحمر.. الموضوع موضوع نكاية لا أكثر.

الزوجة: **(بعصبية)** لو أشعلتُ لكَ أصابعي العشرة كالشمع لما رضيت.

الزوج: **(بهدوء وود.. يقترب منها)** يا مجنونة، لا أريد أن تشعلي لي أصابعك كي أرضى.. أنتِ تعلمين أن كلمة حلوة واحدة منكِ تكفيني.

الزوجة: **(بانكسار)** من أين ستأتي الكلمة الحلوة والقلب مجروح؟

(فترة صمت حرجة)

الزوج: كأن الجوّ أصبح حارّاً.. سأفتح النافذة قليلاً (**يتجه نحو النافذة**).

الزوجة: (**توقفه.. باستنكار**) هل جُننت؟ أتريد أن تفتح النافذة كي يمتلئ البيت بالغبار؟ طبعاً.. عندك خادمة تمسح وتنظف.

الزوج: (**باستنكار**) إذا فتحتُ النافذة لخمس دقائق سيتحول البيت إلى مزبلة؟ صحيح أنك بلا عقل.

الزوجة: أنت شخص أنانيّ ولا تهتم إلا بنفسك ولا تفترض أنني قد أكون بردانة.. ثم هل يوجد شخص عاقل يفتح النافذة في هذا الجوّ؟

الزوج: وهل من يعيش معكِ يمكن أن يبقى له عقل؟

الزوجة: رحمك الله يا أمي.. دائماً كانت تقول لي: الدنيا حظوظ.

الزوج: هذه هي الكلمة الوحيدة الصحيحة التي كانت تقولها رحمها الله (**بحرقة قلب**) الدنيا حظوظ.. لو كان حظي جيداً لكنتُ قبلتُ بفرصة السفر التي عُرِضَت عليّ قبل خمس سنوات إلى فرنسا.. ولكن ماذا سأقول؟ أغواني الشيطان ورفضت.

الزوجة: هيا ، اتهمني بأنني أنا السبب.

الزوج: طبعاً أنتِ.. ألا تتذكرين عندما قلتِ لي: إما أنا أو فرنسا؟

الزوجة: كنتَ تستطيع أن تختار فرنسا.. ثم هل كنتَ تريدني أن أنتظرك سنوات وسنوات كي تعود؟ هذا إذا عدت.

الزوج: وها قد بقيتُ هنا.. سعيدة هكذا؟

الزوجة: (**تحاول أن تغيظه**) الآن لا.. لكن غداً في مثل هذا الوقت سأكون سعيدة جداً.

الزوج: لئيمة.

الزوجة: حقود.

الزوج: عنيدة ورأسك قاسٍ كالحجر.

الزوجة: ليس أقسى من رأسك.

الزوج: (**بغيظ**) ماذا أفعل بنفسي؟ هل أضرب رأسي بالجدار؟

الزوجة: لا.. إحذر.. جدارنا متهاوٍ وسينهار من أول ضربة رأس.

الزوج: أتمنى لو أستطيع قتلك.

الزوجة: وأنا أتمنى لو أستطيع خنقك.

(يرن جرس موبايل الزوج ثم يتوقف.. الزوج يتفحص رقم المتصل)

الزوجة: **(بتوتر)** هي؟

الزوج: ليس من شأنك.. ألم تقولي أنكِ غداً ستكونين سعيدة؟

الزوجة: طبعاً.. وأعرف أنني منذ الغد لن يعنيني شأنك، لكن الغد لم يأتِ بعد ومن حقي أن أعرف الآن إذا كانت هي التي اتصلت أم لا.

الزوج: **(يحاول إغاظتها)** اطمئنّي.. هي.

الزوجة: **(بتوتر)** هذه الساقطة ألا تريد أن تريحنا منها؟

الزوج: قصدك تريحني أنا لا تريحنا نحن.. ثم هي بماذا تضايقك؟

الزوجة: **(تحاول أن تبدو صادقة)** لا تضايقني بشيء، لكنها تسيء إلى سمعتك.

الزوج: **(بسخرية)** تهمك سمعتي كثيراً.

الزوجة: بل تهمني كرامتي.

الزوج: لم يسئ أحد إلى كرامتك.

الزوجة: **(تقترب منه)** عندما تظهر علناً مع واحدة من هذا النوع ويراكم الناس معاً ألا يكون ذلك أكبر إهانة لي؟

الزوج: تعرفين جيداً أنها مريضة وبحاجة لمن يكون معها.

الزوجة: **(ساخرة ومستفزة)** وهي لم تجد أحداً سواك في هذا العالم كي يكون معها؟

الزوج: أنا طبيبها.

الزوجة: **(بتشكيك)** طبيبها أم شيء آخر؟

الزوج: **(بعصبية)** لماذا تصرّين أن تحرمينا بغيرتك التي لا مبرر لها من كل

لحظة يمكن أن نعيش فيها بسعادة؟ لو كنتُ لا أثق بك كما لا تثقين بي لكانت حياتنا لا تُطاق.

الزوجة: لا أثق بك لأنك في كل يوم لك قصة جديدة ومشكلة جديدة وفضيحة جديدة (**بغيظ**) إذا لم تكن تهتم بسمعتك فاهتم بصحتك (**بمرارة وتكاد الدموع تطفر من عينيها**) اهتم بكرامة زوجتك التي تتمرغ كل يوم بالأرض مئة مرة مع كل كلمة أسمعها عنك وعن مغامراتك.. حتى الساقطات ما تركتهنّ.. هل تتذكر عندما جئتَني مرة بعد منتصف الليل وكان الدم يغطّيك ووجهك متورّم؟ هل تذكر السبب الذي اخترعتَه وكذبتَ به عليّ؟

الزوج: خلاف سياسي.

الزوجة: خلاف سياسي أم خلاف مع القوّادين؟ لم تكن تمتلك ذرة من حياء عندما قلتَ لي عندما كُشِف أمرك: (**تقلده**) كلّه سياسة (**بعصبية هستيرية**) ماذا تريد؟ أتريد أن ألاحقك من شارع إلى شارع ومن كازينو إلى كازينو مثل الكلاب؟ أتريد أن أركض وراءك كلما عرفتُ أنّكَ مقبور في حضن هذه أو تحت أقدام تلك؟ ألهذه الدرجة تعتقد أنني لا أمتلك كرامة؟

الزوج: كل الرجال يحبون أن يشعروا أن زوجاتهنّ تغار عليهم.. ربما كي يتأكدوا أن لهم قيمة بنظر نسائهن.

الزوجة: ليس من الضروري أن تكون دائماً غيرة المرأة على زوجها غيرة حب.. مرات كثيرة تكون غيرة احتقار.. والرجال مساكين يظنّون أنّ نساءهم تغار عليهم لأنهن يحبونهن، لذلك يبالغون أحياناً ويخترعون أموراً لا أصل لها.

الزوج: (**مجسداً دوره ودور الرجل بالمعنى العام.. إلى زوجته لإغاظتها**) تُرى هل بقي شيء من أحمر الشفاه على خدّي؟ اليوم صافحتني واحدة أعرفها منذ زمن بعيد وقبّلتني (**يشم يديه بإعجاب**) الله.. لمدة أسبوع.. بل لمدة أسبوعين لن أغسل يديّ كي تبقى رائحة عطرها متغلغلة فيهما (**ينتهي التجسيد**) وليس هذا فقط.. أحب أن أضيف إلى معلوماتك أنّنا أحياناً نتعمّد أن نكتب على دفاتر الهواتف الخاصة بنا

أرقاماً دون أسماء كي نشعركم أننا ما زلنا مرغوبين كرجال.. وهكذا نكون قد وصلنا لما نريد دون أن تهتز فينا شعرة واحدة.

الزوجة: أما عندما تكون الأمور جديّة فتحاولون بكل الوسائل أن تمحوا آثار جرائمكم.. تدخلون إلى البيت كالهاربين من السجن أو من مشفى المجانين.. تركضون إلى الحمّام كي تغسلوا أيديكم ووجوهكم بحجة أنكم تريدون قضاء حاجتكم.. وعندما تجلسون إلى مائدة الطعام لتأكلوا (**مصححة**) لتتسمموا تجلسون مثل الجالس على شوك أو زجاج.. يرنّ جرس الهاتف فتجفلون لخوفكم من تبعات أفعالكم.. وعندما ننظر في عيونكم نرى الرعب فيها ونعرف كل شيء.. للأسف فإن لحظة الصمت هذه تفرط بها النساء بكل بساطة عندما تبدأن بسؤالكم عن كل كبيرة وصغيرة دون أن يدركن أنهن لو بقينَ ساكتات فستتلفنَ أعصاب رجالهن وتجعلهن في رعب دائم.

الزوج: (مجسداً الحالة التي تتحدث عنها الزوجة.. بخوف) تُرى هل تعرف شيئاً؟ هل سمعت عني شيئاً؟

الزوجة: (**بحرقة**) كل مرة كنت أقول: هذه آخر مرة.. آخر فرصة.. لكن دون فائدة.. لا يصلح العطار ما أفسده الدهر.. ذنَب الكلب...

الزوج: (**مقاطعاً**) لا تتعبي نفسك.. حفظتُ غيباً هذه الأمثال من كثرة ترديدك لها.. لا يصلح العطار ما أفسده الدهر.. ذنب الكلب أعوج ولو وضعوه في قالب.. عادت حليمة إلى عادتها القديمة.. يا مؤمّنة للرجال كالمؤمّنة للماء في الغربال.

الزوجة: (**بسخرية مبطنة**) يا أخي أنت رجل عظيم.. تستطيع أن تعيش حياتك بوجهين.. وجه إلى الخارج ووجه إلى الداخل.. مع الآخرين جنتلمان وديمقراطي ومتفهّم ومتحرر.. ومعي وحش وديكتاتور ومتخلف.

الزوج: منكم نستفيد.. أنتم السابقون ونحن اللاحقون.

الزوجة: ماذا تقصد؟

الزوج: أقصد إذا كنتُ أعيش بوجهين كما تقولين فأنتِ تعيشين بمئة وجه.

الزوجة: (**باستنكار**) أنا؟!

الزوج: نعم أنتِ.. من منّا يدمن التنظير في الحرية والتحرر والحريات العامة والحريات الخاصة وهو يسجن نفسه وتفكيره داخل قفص دون أن يحاول الخروج منه؟

الزوجة: (**بدهشة**) أنا أحبس نفسي داخل قفص؟

الزوج: نعم أنتِ.. في قفص من تَنَك.

الزوجة: يبدو أنكَ بدأتَ تخرّف ولم تعد تعرف بماذا تتحدث.. لا يوجد من هو أكثر مني يتحدث عن الحرية ويطالب بها.

الزوج: ربما لا يوجد من يتحدث أكثر منكِ عن الحرية، ولكن العمل على تحقيق الحرية الحقيقية هو أبعد ما يكون عن تفكيرك.. الحرية التي تطالبين بها هي الحرية التي تسمح لكِ أن تفعلي ما تشائين دون أن تهتمي برأي أحد وكأنّك تعيشين وحيدة في هذا العالم دون وجود من يشاركك أفكارك ويتأثر بتصرفاتك.. فهمك الخاطئ للحرية هو القفص الذي تسجنين نفسك فيه دون أن تتمكني من الخروج منه.

الزوجة: (**تصفق بسخرية**) أحسنت.. أحسنت.. أشكرك على هذه المحاضرة القيّمة، ولكن أحب أن أقول لك أن من لا يؤمن بالحرية لن يتمكن من تقدير قيمتها.

الزوج: وأنتِ قدّرْتِ قيمتها؟

(الزوجة تحاول الإجابة لكن الزوج يتابع كلامه)

الزوج: هل تريدين أن أقول لكِ ما هي الحرية التي تقدّرينها وتؤمنين بها؟ الحرية التي تقدّرينها وتؤمنين بها هي حرية الانحلال والتفكّك الأسريّ.. باختصار هي حرية أنّ تعيشي كما تشتهين وأن تقمعي الآخرين حسب مزاجك.

الزوجة: (**باستنكار**) أنا أفكر هكذا؟!

الزوج: هل تستطيعين إنكار ذلك؟ ألستِ أنتِ من يقول دائماً أن مفهوم الحياة الزوجية مفهوم فاشل ولا يناسب إلا المجتمعات المتخلفة؟ ألستِ

أنتِ من يقول دائماً أن مؤسسة الحياة الزوجية مؤسسة مبنية على الكذب والنفاق والخداع والغش؟

الزوجة: صحيح.. لكن لا تنسَ أنني بكلامي هذا أقصد الجانب النظري من الموضوع وليس الجانب العملي وأنني أطلق أحكاماً عامة ليس بالضرورة أن تكون صالحة للتنفيذ، في مجتمعنا على الأقل، ودليل هذا أنّني قبلتُ أن أتزوجك مع أنّ كل من كان يعرف أنّني سأتزوجك كان يحذرني من سلوكك المتفلّت مع النساء.

الزوج: **(يقترب منها كثيراً.. بانفعال)** مني.. لقد تجاوزتِ حدودك.

(أصبحا الآن في منتصف المكان وجهاً لوجه)

الزوجة: لو لم تكن أخلاقك كأخلاق النساء اللواتي تطاردهن لما كنتَ انسجمتَ معهن.

(خلال ثوان يجري ما يلي: الزوج يصفع الزوجة.. صوت ريح شديدة مفاجئة.. الزوجة تشعر بالذعر من صوت الريح فترمي بنفسها على صدر الزوج الذي يتلقفها بحنان غامر ويعانقها.. يبقيان على نفس الوضع بضع لحظات ثم فجأة نسمع أصوات مجموعة من الأشخاص آتية من خارج المنزل.. الأصوات خفيضة لكنها مسموعة)

صوت 1 : هل أنتَ متأكد أنّ هذا هو باب البيت الذي نريده؟

صوت 2 : طبعاً متأكد.. هيا بسرعة قبل أن يشعر بنا أحد.

صوت 1 : هل أنتَ متأكد أن هذا هو البيت؟

صوت 2 : قلتُ لك متأكد، وهذه نسخة من المفتاح، وأهل البيت مسافرون منذ أكثر من أسبوع ولن يعودوا إلا في الأسبوع القادم.

(صوت فتح باب وإغلاقه بهدوء)

الزوجة: **(بذهول)** هل سمعتَ ما سمعتُه؟

الزوج: **(بذهول)** سمعت.. هذا باب بيت جيراننا.

الزوجة: **(بخوف)** بيت جيراننا يُسرَق.

الزوج: نعم يُسرق.. كلامك صحيح.

الزوجة: (**باستنكار**) أهذه هي ردّة فعلك؟ ألا تريد أن ترى ماذا يجري؟

الزوج: (**باستنكار**) أرى ماذا يجري؟ هل نحن في سينما؟ نحن لا علاقة لنا بالموضوع.

الزوجة: (**باستنكار**) هل من المعقول أن يُسرَق بيت جيراننا أمام عينيك دون أن تحرك ساكناً؟

الزوج: وماذا بإمكاني أن أفعل؟

الزوجة: (**باستنكار**) ما هذا الكلام؟! اذهب وامنعهم.

الزوج: (**بدهشة**) أمنعهم؟! وهل تعتقدين أنني مستغنٍ عن حياتي؟ أم أنكِ تريدين التخلص مني؟

الزوجة: ولماذا ستستغني عن حياتك؟ هل سيأكلونك؟

الزوج: لا ، بل سيقتلوني دون أن يأكلوني.. هل سمعتِ في حياتك عن لصوص غير مسلحين؟

الزوجة: حتى لو كانوا مسلحين فسيهربون بمجرد سماعهم صوت أحد.

الزوج: (**باستنكار**) وهذا الأحد هو أنا؟

الزوجة: (**بانفعال**) تحرك يا رجل.. أما زلتَ واقفاً في مكانك؟

الزوج: (**بانفعال**) هل تريدين أن تجنّنيني؟ هل من أحد يرمي بنفسه إلى الموت بهذا الشكل؟

الزوجة: كُن رجلاً مرة واحدة.

الزوج: (**وقد أثارته الجملة.. بانفعال شديد**) أنا رجل رغماً عنك.

الزوجة: وأين هي هذه الرجولة؟

الزوج: أتتحديني يا منى؟ طيّب (**يتجه بسرعة نحو باب البيت ينوي الخروج**).

الزوجة: (**بخوف**) لحظة.

الزوج: (**بعصبية**) ماذا تريدين؟

الزوجة: **(تبدأ بالتراجع عن موقفها بعد أن شاهدت أن زوجها سيخرج بالفعل.. بتردد)** هل قلتَ لي أنهم من الممكن أن يكونوا مسلحين؟

الزوج: هم مسلحون بالتأكيد.

الزوجة: أليس من الأفضل أن نبلغ الشرطة بدل أن نخاطر بأنفسنا؟

الزوج: (يتراجع كمن نزلت عليه رحمة السماء.. يعود من عند الباب) هذا كان كلامنا منذ البداية **(يرفع سمّاعة الهاتف)** يا للحظ.. الحرارة المقطوعة.

الزوجة: اتصل بالموبايل.

الزوج: **(يتناول الموبايل)** ومن أين لي رقم الشرطة؟

الزوجة: والعمل؟

الزوج: **(يفكر لبرهة)** هناك حلّ واحد.. سأفتح باب بيتنا قليلاً وأصرخ وأعود لإغلاقه.

الزوجة: جرّب.

الزوج: **(يتوجه بحذر نحو الباب ويفتحه بسرعة البرق ويصرخ)** عندك **(يغلق الباب بخوف وبسرعة كبيرة.. أصوات أقدام اللصوص تركض هاربة)**.

الزوج: **(مزهواً بنفسه ونافشاً نفسه كالديك)** أرأيتِ؟ من صوت واحد هربوا مثل الأرانب، فكيف لو كنتُ واجهتُهم بشكل مباشر؟

الزوجة: **(ساخرة)** رأيناكَ فوق ورأيناكَ تحت.

الزوج: أهذه نظرتك؟ هل تعرفين أنهم لو عرفوا أننا اكتشفنا أمرهم لدخلوا علينا وقتلونا؟

الزوجة: **(باستهتار)** ما أشطركَ بتضخيم الأمور.

الزوج: **(مهدداً)** هل أناديهم من جديد؟

الزوجة: **(توقفه)** مجنون ولا أستغرب أن تفعلها.. تُرى ماذا سرقوا؟

الزوج: لا أعتقد أنهم تمكنوا من سرقة شيء.

(الزوجة ترفع سماعة الهاتف)

الزوجة: ما زالت الحرارة مقطوعة.

الزوج: ربما هناك شريط مقطوع.

الزوجة: وهل سننتظر حتى الغد؟

الزوج: وما الذي ينقصنا؟ لن يتصل بنا أحد ولا ننوي الاتصال بأحد.. احمدي ربّك أن هذه الرياح قطعت الهاتف فقط ولم تقطع الكهرباء.

(تنقطع الكهرباء)

الزوجة: **(بعصبية)** هذا ما كان ينقصنا ليكتمل الحفل.

الزوج: **(ببرود أعصاب.. يخرج من جيبه قداحة لكنه لا يشعلها بل يكتفي بتأملها)** بالعكس.. هكذا سيكون الجو رومانسياً.

الزوجة: **(بعصبية)** ما هذه البلادة؟ بدل أن تتحدث عن الرومانسية ابحث عن شمعة وأشعلها.

(الزوج يتحرك فيدوس على قدم الزوجة)

الزوجة: **(تتألم)** آي.. ألا ترى أمامك؟

الزوج: **(يصل إلى الشمعة ويمسكها بيده دون أن يشعلها.. ببرود أعصاب متعمد أقرب إلى ثقل الظل)** إذا لم أركِ بعيوني رأيتُكِ بروحي.

الزوجة: ستخرج روحي بسبب بلادتك.

الزوج: هل من الضروري أن تفقدي أعصابك هكذا كلما انقطع التيار الكهربائي؟

الزوجة: أنتَ تعرف أنّ لا شيء يفقدني أعصابي أكثر من انقطاع التيار الكهربائي، إذ أشعر أنني سأخرج من جلدي، ورغم ذلك تتعمد مضايقتي واستفزازي.

(تعود الكهرباء فتكتشف الزوجة أن الزوج يحمل بيده الشمعة دون أن يشعلها)

الزوجة: **(بعصبية)** الشمعة بيدك ولم تشعلها؟

الزوج: أحببتُ أن أستمتع بعصبيتك للمرة الأخيرة.

الزوجة: وهل استمتعت؟

الزوج: ليس بعد.

الزوجة: ماذا تريد أكثر من ذلك؟ دهستَ قدمي أولاً ولم تشعل الشمعة ثانياً.. ماذا تريد أن تفعل أيضاً؟

الزوج: دهستُ قدمك أم أنتِ التي مددتِها كي أتعثر بها وأقع؟ منى، أعرفكِ وأحفظكِ عن ظهر قلب.

الزوجة: لم تعرفني يوماً ولم تعرف ما أريد.

الزوج: وأنتِ لم تفهميني يوماً ولا حاولتِ أن تفهميني.

الزوجة: ربما فات أوان هذا الكلام.

الزوج: أحياناً أسأل نفسي: لو لم أتعرف عليكِ كيف كانت ستكون حياتي؟ بالتأكيد أفضل بكثير.

الزوجة: ليست أحسن من حياتي لو لم أعرفك.

الزوج: **(ساخراً)** حياتك؟

الزوجة: طبعاً حياتي.. وهل أنتَ فقط من يحق له أن يعيش حياته؟ مثلما عندك أحلام وطموحات أنا أيضاً عندي أحلام وطموحات.

الزوج: **(ساخراً)** أن تصبحي كاتبة تلفزيونية؟

الزوجة: وهذا الشيء يزعجك، أليس كذلك؟

الزوج: يزعجني؟ وهل ترينني كاتباً وأخاف أن ينافسني أحد؟

الزوجة: لا، ولكن أنت بقرارة نفسك لا تحب أن تكون زوجتك معروفة ومحبوبة.

الزوج: **(ساخراً)** جميلة هذه "قرارة نفسك".. هل أصبحتِ محللة نفسية؟

الزوجة: خمس سنين عشتُها معك وصرتُ أفهمكَ أكثر من فهمك لنفسك.. أنت شخص أنانيّ ومغرور ولا تحب إلا نفسك.. أمي هي الوحيدة التي كانت تعرفك على حقيقتك وكان يجب عليّ أن أصدقها عندما قالت إنكَ لم تُخلَق لي وإنني لم أُخلَق لك.. كانت تقول إنك لن تدع

شيئاً لن تسرقه مني، وأول شيء فعلته أنك سرقتَ أحلامي، سرقتَ طموحي بأن أصبح كاتبة مشهورة.

الزوج: (**مقاطعاً بسخرية**) وتمشين في الشارع ويشير الناس إليكِ بالبنان ولا يتركك الصحفيون لحظة واحدة بحالك.. لقاءات.. تلفزيونات.. (**بجدية**) أنسيتِ يا منى كيف كنتُ أجلب لك الأقلام بالعشرات والحبر بأفخر أنواعه؟ هل تتكرين ذلك؟

الزوجة: كنتَ تمثّل أنّك تشجعني، وأنت تعرف أنه لا الأقلام تفيد إذا هذا (**تشير إلى دماغها**) شُلّ عن التفكير، ولا الحبر يفيد إذا كان القلب جافاً والروح مكسورة.

(**تنزل نقاط ماء من السقف**)

الزوج: عاد السقف إلى الدلف.

الزوجة: (**بعصبية**) كم مرة قلتُ لك اصعد إلى الجيران وأخبرهم أن يحلّوا لنا المشكلة.

الزوج: (ساخراً) أنهيتُ كل أشغالي وأعمالي ولم يبق عندي عمل سوى أن أقرع أبواب الجيران.

الزوجة: وهل تريدني أن أصعد أنا وأقرع أبواب الجيران؟

الزوج: ولم لا؟ أنتِ معظم الوقت عند الجيران.. الآن أصبحتِ لا تريدين الذهاب إلى عندهم؟

الزوجة: منذ البداية قلتُ لك إننا لا نريد هذا البيت المتداعي.

الزوج: (**ساخراً**) وفي أية منطقة تريدين أن تسكني سيادتك؟

الزوجة: لعن الله حظي.. لو كنتُ قبلتُ بصديق أخي مؤيَّد لما كان حالي هذا الحال.. سيارته وحدها كانت أكبر من هذا البيت.

الزوج: (**مستفَزاً**) لم يفت الأوان.. منذ الصباح الباكر بإمكانك تدارك هذا الخطأ بأن تذهبي وتركبي في سيارة صديق أخيكِ مؤيد.

الزوجة: (**بمرارة**) وهل سينتظرني حتى الآن؟ من المؤكد أنه تزوج وأصبح عنده أولاد.

الزوج: لو كان يحبك بصدق فلن يتزوج.

الزوجة: **(بغيظ)** كأن الأمر لا يعنيك.

الزوج: هل أنا من يطرح نظريات زواج صديق أخيكِ مؤيد أم أنتِ؟.. منى، أنا أعرف ما الذي يدور برأسك أكثر مما تعرفين.

الزوجة: **(ساخرة)** هل أصبحتَ محللاً نفسياً **(متحدية)** هل تستطيع أن تقول لي بماذا أفكر في هذه اللحظة؟

الزوج: **(بثقة)** طبعاً.. أنتِ تتمنين في هذه اللحظة أن يأتي الصباح مسرعاً لينتهي كل شيء.

الزوجة: **(وقد توقعت منه إجابة مختلفة، تكاد تبكي وتحاول أن ترسم ابتسامة على وجهها)** هذا صحيح **(بسخرية مريرة)** أنتَ تستطيع أن تقرأ أفكاري بالفعل.

الزوج: بالتأكيد.. آن أوان أن أفهم.. لستُ غبياً إلى هذه الدرجة.

الزوجة: **(بانزعاج)** لماذا تتحدث عن نفسك بهذه الطريقة؟

الزوج: **(مرتبكاً)** لا أعرف **(يتحرك في المكان دون أن يدري ماذا يريد أن يفعل)** أشعر بملل فظيع.

الزوجة: **(بإحساس بجرح الكرامة)** معك حق.. أنا أصبحتُ مملّة.. تفضل.. هذا باب البيت.. الرياح هدأت قليلاً وتستطيع أن تذهب إلى حيث تشاء.

الزوج: **(بغيظ وعناد طفولي)** بل أريد أن أبقى **(يجلس ويتربع.. الزوجة تضحك ضحكة تحاول كبحها)** أتضحكين؟ هل ترينني أضحوكة أمامك؟

الزوجة: **(بصفاء قلب وود)** على سلامتك.

الزوج: **(بودّ)** وأنتِ أيضاً.

الزوجة: ماذا تعني بعبارة "وأنتِ أيضاً"؟ كلمة "على سلامتك" لا يُردّ عليها بعبارة "وأنتِ أيضاً".

الزوج: (**يتحرك من مكانه مستفَزاً**) أتَرين كيف أنكِ تختلقين المشاكل؟

الزوجة: (**تحاول أن تدافع عن نفسها**) أنا...

الزوج: (**مقاطعاً باستنكار**) أنتِ من ستعلمينني كيف أتكلم؟

الزوجة: (**ساخرة**) أستغفر الله.. دكتور وتريدني أن أعلّمك كيف تتكلم؟

الزوج: (**بغضب**) أنا المخطئ.. كان يجب ألا أنتشلكِ من بيت أهلك لأرى من سينظر إليكِ.

الزوجة: ليتكَ تركتني في بيت أهلي.. أريكة واحدة في بيت أهلي بأثاث هذا البيت كله.

الزوج: طبعاً، بسلامة أبيكِ (**يقلّد**) غسالات برادات تلفزيونات ماكينات للبيييييييع.

الزوجة: (**بكبرياء**) العمل ليس عيباً.. ثم إن أبي الذي لا يعجبك استطاع أن يربّينا أحسن تربية.. أخي مهندس، وأخي الثاني محامٍ وأختي تدرس في كلية التجارة وأنا...

الزوج: (**مقاطعاً وبسرعة**) بلهاء.

الزوجة: (**مستفَزة**) بلهاء لأنني استغنيتُ عن جامعتي وقبلت بك زوجاً.

الزوج: (**بهدوء أعصاب**) قلتُ لك بلهاء فلم تصدقي.

الزوجة: زواجي منكَ كان فألَ سوء عليّ.. لو لم أتزوجك لكنتُ الآن أدرس الأدب العربي وأكتب مسلسلات للتلفزيون، وربما كتبتُ روايات وأصدرتُ دواوين شعر.

الزوج: (**ساخراً**) وألّفتِ مسرحيات ورسمتِ لوحات، ومن غير المستبعد أن تصبحي مخرجة سينمائية أيضاً.

الزوجة: حينها كنتَ قد جئتَ وقبّلتَ يدي لا لكي أتزوجك بل لكي أنظر إليكَ مجرد نظرة.

الزوج: ألا تلاحظين كم هو خيالك واسع؟

الزوجة: من غيظك.

الزوج: غيظي؟ تتكلمين وكأنكِ أصبحتِ نجمة حقيقية.

الزوجة: أنت من يقف عقبة في طريقي.

الزوج: غداً في مثل هذا الوقت لن أكون واقفاً في طريقك.

الزوجة: كم تمنيتُ أن نشقّ طريقنا معاً.

الزوج: أنتِ التي كنتِ ترفضين ذلك.

الزوجة: لم تشجعني يوماً ولم تقف إلى جانبي.

الزوج: ما أعرفه هو أن الزوجة هي من ينبغي عليها أن تساعد زوجها وتقف إلى جانبه.

الزوجة: وأنا لم أقصّر معك.

الزوج: وطموحاتك التي لا حدود لها ألا تعتبرينها تقصيراً؟

الزوجة: لماذا تعتبر طموحاتي تقصيراً؟ لماذا لا تحاول أن تساعدني؟

الزوج: دعيني أولاً أساعد نفسي ثم أساعدك.

الزوجة: لماذا لا نتعاون معاً؟

الزوج: لم تعد هناك فائدة من الكلام.

(فترة صمت)

الزوج: **(يحاول أن يوجد جواً إيجابياً)** ألم تجوعي؟

الزوجة: إذا كنتَ جائعاً فكُل.. أنا لستُ جائعة.

الزوج: **(باستنكار)** أتريدينني أن آكل وحدي؟ **(بودّ)** أنتِ تعرفين أنكِ إن لم تشاركيني الطعام فلن آكل بشهية.

الزوجة: **(تجلس إلى مائدة الطعام.. بود وابتسامة صغيرة)** من أجلك فقط.

(يجلس الزوج إلى مائدة الطعام مسرعاً وسعيداً كالأطفال ويبدأ بتناول الطعام بشهية)

الزوجة: كيف وجدتَ الطعام؟

الزوج: بصراحة.. لا يوجد طعام أطيب من طعامك (**يتابع تناول الطعام بشهية**).

الزوجة: حتى تعرف.

الزوج: ومن قال لكِ إنني لا أعرف؟ لا أحد مثلك.

(الزوجة تشعر بسعادة)

الزوج: (**لإغاظتها بشكل ودي**) على صعيد الطعام فقط.

الزوجة: (**تبتعد عن مائدة الطعام غاضبة**) ما كان يجب أن أشفق عليك وأجلس معك إلى مائدة الطعام كي تُفتَح شهيتك.

الزوج: (**مبتعداً هو الآخر عن المائدة**) لستُ بحاجة إلى شفقتك.

الزوجة: لنرى كيف ستأكل وحدك غداً.

الزوج: أخرجي منها وسيكون كل شيء على ما يرام.

الزوجة: مع صاحبتك؟

الزوج: كلامك سوقيّ.

الزوجة: (**بسخرية**) يا مؤدّب يا مهذّب.

الزوج: ألا تستطيعين أن تبقي دقيقة واحدة دون شجار؟

الزوجة: أنت الذي تبادر إلى الشجار.

الزوج: سأغلق فمي (**يضع يده على فمه**).

الزوجة: ذلك أفضل.

الزوج: (**يرفع يده عن فمه**) لا ليس أفضل.. أريد أن أتكلم وأتكلم.

الزوجة: (**بلا مبالاة**) تكلم.. من يمنعك؟

الزوج: أتعنين أنني إن تكلمتُ وإن سكتتُ فالأمر سيان؟

الزوجة: (**بعصبية**) كرمى للّه وسام، يكفي.. أتعبتَ لي قلبي (**بحزن**) للأسف، الأشياء التي نريدها لا تأتي بسرعة.

الزوج: (**يقصدها**) والأشياء التي تأتينا وتلتصق بنا لا نريدها.

الزوجة: (**بغيظ**) لأول مرة تقول شيئاً صحيحاً.

الزوج: أول وآخر مرة.

الزوجة: هل هي مصادفة؟

الزوج: ما أكثر ما تحبين الجدل (**يضع يده على رأسه**) آه يا رأسي.

الزوجة: أصبح حديثي موجعاً لرأسك، أليس كذلك؟

الزوج: ومتى كان كلامك لا يوجع رأسي؟

الزوجة: في أيام الخطبة كنتَ تقول لي (**تقلّده**) كلامك شِعر، وصوتك موسيقا.

الزوج: وهل تصدقين كل ما أقوله؟

الزوجة: إذاً فأنتَ تعرف نفسك بأنك كاذب؟

الزوج: (**مستفزاً ومهدداً**) منى.. أنا لا أسمح لك.

الزوجة: أنتَ الذي ألمحتَ إلى كذب كلامك ولستُ أنا.

الزوج: أنا أتحدث عن نفسي كما أشاء.

الزوجة: (**تقترب من الزوج بهدوء وتبتسم له.. بإعجاب**) يعجبني شكلك (**الزوج يشعر بالزهو**) عندما تنفش نفسك مثل الديك.

الزوج: (**غاضباً**) ديك؟! كلامك دائماً يفتقد للّباقة.

الزوجة: (**ساخرة**) ما ألطف كلامك وأرقّه.. هل تعتقد أنه يوجد رجل في العالم ينسى عيد ميلاد شريكة حياته؟

الزوج: مرة واحدة نسيتُه.. هل كفرت؟

الزوجة: أنا لم أنسَ مرة عيدَ ميلادك.

الزوج: أنتِ ولا شك تتذكرين الظرف الذي كنتُ أمرّ به في ذلك اليوم.

الزوجة: أي شخص معرّض لأي ظرف في أي وقت، لكن هذا لا يعني أن ينسى المرء عيد ميلاد شريكة حياته.

الزوج: كرمى للّه توقفي عن القول "شريكة حياته".. أنتِ لو كنتِ تعرفين معنى الشراكة الحقيقية لما كنتِ تحدثتِ بهذه الطريقة.. الشراكة الحقيقية أن تشعري بإحساس زوجك، أن تعرفي ما الذي يسعده وما الذي يغضبه، متى يكون متضايقاً ومتى يكون مرتاحاً.

الزوجة: إحكِ هذا الكلام لنفسك.. لم تشعرني يوماً أنكَ تهتم بمشاعري.. منذ ثلاثة أشهر وأنت تقاطعني لأنني يوماً واحداً رفضت مشاركتك الفراش (**باستنكار**) وأنا في حضنك ناديتني باسم امرأة أخرى ولا تريدني أن أتضايق؟ كيف تريدني... (**تبحث عن كلمة مناسبة فلا تجد، لكننا يجب أن نفهم أنها تريد أن تقول: كيف تريدنا أن نمارس الجنس وأنت تفكر بواحدة أخرى؟**) وأنت عقلك في مكان آخر؟

الزوج: يا منى يا حبيبتي.. ألم تسأمي من هذا الكلام؟ أنا سئمتُ ولم يعد بإمكاني التحمّل.

(صوت ريح قوية.. النافذة تُفتَح بقوة ويسقط زجاجها وينكسر)

الزوجة: (**بعصبية**) يا إلهي.. ما هذه الليلة؟ ينقصنا كسر الزجاج (**تتجه نحو خارج المسرح**).

الزوج: إلى أين؟

الزوجة: سأجلب شيئاً ألمُ به الزجاج المكسور (**تخرج**).

(الزوج يتقدم نحو الزجاج ويحاول أن يمسك قطعة منه بيده.. تدخل الزوجة)

الزوجة: (**فجأة وبخوف.. محذرة**) انتبه.

الزوج: (**مذعوراً**) ماذا دهاكِ؟

الزوجة: تمسك الزجاج بيديك؟! هل جننت؟

الزوج: (**باستهتار**) قطعة زجاج صغيرة (**وقد انتبه إلى أن منى خافت عليه**) منى، أنت تخافين عليّ؟!

الزوجة: (**متهربة من الإجابة.. تبدأ بلم الزجاج**) لو كنتَ قد أغلقتَ النافذة جيداً لما كان الزجاج قد انكسر.

(الزوج يوقف زوجته عن لم الزجاج ويرفعها عن الأرض باتجاهه برفق وحنان فيقع الزجاج من يدها على الأرض مرة ثانية)

الزوجة: **(غاضبة)** هكذا؟

الزوج: **(يمسكها من كتفيها)** مني.. أنتِ خفتِ عليّ؟!

الزوجة: **(بكبرياء)** نعم.. خفتُ عليك.. وماذا في ذلك؟

الزوج: هل هذا يعني أنكِ ما زلتِ تحبينني؟

الزوجة: كرمى لله، ليس وقت هذا الكلام.. دعني ألمّ الزجاج قبل أن يجرح أحداً.

الزوج: قبل أن يجرح أحداً الآن أو فيما بعد؟

الزوجة: وما الفرق؟

الزوج: أنتِ لن تكوني هنا فعلى من تخافين؟

الزوجة: **(ترمي الزجاج من يدها.. بحزن مشوب بإحساس بالكبرياء)** صحيح.. أنا بلهاء.. لماذا أتعب نفسي؟

الزوج: ولكن أنا قد أُجرَح به.

الزوجة: **(تحاول أن تداري مشاعرها الحقيقية.. لحظة تردد)** ستستطيع أن تتدبر أمر نفسك.

الزوج: قلبك قاسٍ.

الزوجة: ليس أقسى من قلبك.

الزوج: لم تكوني هكذا في الماضي.

الزوجة: ولا أنت.

الزوج: أنا لا أتغير.. أنتِ التي تتغيرين يومياً.

الزوجة: حتى لو كان كلامك صحيحاً هل من الضروري أن تفعل مثلي؟

الزوج: **(باستخفاف)** أنا أفعل مثلكِ؟ لم يبقَ إلا أن تقولي إنني أتخذكِ قدوة.

الزوجة: ولم لا؟

الزوج: ماذا تقصدين؟! هل انقلب الزمان وأصبحت واحدة مثلكِ قدوة لواحد

مثلي؟

الزوجة: (**وقد استُفزّت بشكل كبير**) أنت لا تدرك ما تقول.

الزوج: بل أدرك تماماً.. الزوجة القدوة يا سيدتي لا تخفي عن زوجها أنها كانت مخطوبة قبل أن تتعرف عليه.. أتظنين أنني لا أعرف أنكِ كنتِ مخطوبة لشخص أفّاق محتال لا يساوي قرشاً؟

الزوجة: عن ماذا تبحث أنت؟ قصة انتهت منذ سنوات ولم تستمر أكثر من شهر واحد، والآن تريد أن تتحدث عنها؟ ولماذا تسكت عنها حتى الآن؟

الزوج: أنتِ لا شأن لك.. أسكت متى أشاء وأتكلم متى أشاء.

الزوجة: قل إنّك تبحث عن المشاكل.. ثم فلتعلم أنني لستُ أنا من أقبل الارتباط بشخص أفّاق محتال.. الشخص الذي كنتُ خطيبته هو الآن ممثل شهير.. وإذا كنتَ تريد الصراحة فأنا الآن نادمة جداً لأنني تركتُه من أجلك (**الزوج يُصدَم**) قلت لنفسي هذا طبيب واعٍ وسيقف إلى جانبكِ ويساعدكِ بينما ذاك عندما سيصبح ممثلاً مشهوراً سيتركك ويقول لكِ مع السلامة.

الزوج: (**بغضب**) أنا من سيقول لك مع السلامة.

الزوجة: (**بغضب**) أنا راحلة قبل أن تطردني، لكن أريدك أن تعلم شيئاً واحداً فقط هو أنك غيور وحسود، تغار من كل إنسان ناجح، وتريد أن يكون كل الناس فاشلين مثلك.

الزوج: (**مستفزاً بشكل كبير**) هكذا إذن؟ (**بتصميم**) في هذه اللحظة إذهبي واحزمي حقائبك ومباشرة إلى بيت أهلك.. الحياة معكِ لم تعد تطاق.

الزوجة: (**بغضب**) ومن قال لك إن الحياة معكَ تُطاق (تخرج إلى خارج المسرح.. الزوج في حالة متوترة جداً ولا يدري ماذا يفعل.. يتناول شيئاً ما قابلاً للكسر ويلقيه على الأرض.. تعود الزوجة وهي تحمل حقيبتها) حقيبتي جاهزة منذ زمن لأنني أترقب تلك اللحظة التي سأتخلص فيها من العيش مع واحد مثلك يعتقد نفسه إنساناً واعياً وهو...

الزوج: **(مقاطعاً.. بغضب)** إنقلعي من هنا.

(إظلام مع صوت أغنية فيروز حبّيتك بالصيف)

المشهد الثاني

المكان نفس المشهد السابق مع تعديلات طفيفة في الديكور.. مائدة الطعام مليئة بالأطعمة.. الزوج والزوجة يجلس كل منهما في جهة.. صوت مطر شديد آتٍ من الخارج.. دقات الساعة تشير إلى تمام العاشرة.

الزوج: هل أنتِ متأكدة من صحة توقيت هذه الساعة؟

الزوجة: بيغ بين.

الزوج: يبدو أن أحداً منهم لن يأتي.

الزوجة: مازال هناك متسع من الوقت.

الزوج: لو كانوا ينوون المجيء لوصلوا منذ أكثر من ساعة.

الزوجة: هل أنتَ متأكد من أنك دعوتَ جميع الذين كنتَ تريد دعوتهم؟

الزوج: طبعاً.. وأنتِ؟

الزوجة: دعوتُهم كلهم.

الزوج: ربما منعتهم هذه الأمطار من المجيء.

الزوجة: ربما.

الزوج الزوجة: **(ينظر في ساعة الحائط وفي ساعة يده)** لو كانوا يريدون المجيء لكانوا وصلوا منذ زمن.

(بتودد) وسام.. أريد أن أبوح لك بسرّ.

الزوج: خيراً؟

الزوجة: هل تذكر العام الماضي عندما كنا نحتفل بعيد زواجنا الخامس وكانت هناك عاصفة قوية في الخارج وكنا ننتظر ضيوفاً وقلنا حينها أنهم ربما لم يأتوا بسبب العاصفة؟

الزوج: طبعاً أذكر.

الزوجة: (**بتردد وود**) بصراحة ، أنا لم أدعُ حينها أحداً.. كنتُ أودُّ أن نحتفل أنا وأنت وحدنا.

الزوج: (**بودّ**) لنفس السبب أنا أيضاً لم أكن قد دعوتُ أحداً.. كنت أريد أن تكون تلك الليلة لنا وحدنا.

الزوجة: (**بحب**) يا حبيبي يا وسام (**ممازحة**) كنتَ تريد أن تكون تلك الليلة لنا وحدنا أم كنتَ تريد الانفراد بي؟

الزوج: أنفرد بكِ؟ (**ساخراً**) مسكينة أنتِ.. القط يأكل عشاءكِ.

الزوجة: كنتَ تستحق امرأة قوية وفاجرة كي تريكَ نجوم الظهر.

الزوج: نجوم الظهر من صناعتكِ أنتِ وحدكِ.

الزوجة: (**محذرة**) وسام.. أعدتَ إلى الكلام الفارغ كعادتك؟

الزوج: (**مستفزاً**) إذا كان كلامي فارغاً ماذا تسمّين كلامكِ الذي كل كلمة منه بوزن قنبلة؟

الزوجة: ليت القنبلة تسقط عليّ وتريحني من هذه الحياة.

الزوج: لا تعجبك هذه الحياة؟ وهل الحياة في بيت أهلكِ أفضل؟

الزوجة: (**مستفَزة**) وسام، أنا لا أسمح لك أن تتحدث عن أهلي بهذه الطريقة.. أتفهم؟

الزوج: لا ، لم أفهم.. وماذا بإمكانكِ أن تفعلي؟

الزوجة: (**مهددة**) بإمكاني فعل الكثير.

الزوج: أنتِ امرأة تافهة.

الزوجة: وأنت رجل متخلّف.

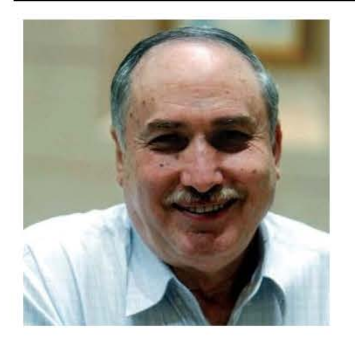
الزوج: رأسك بحاجة إلى تكسير.

الزوجة: (**متحدية**) جرّب إن استطعت.

(يستمران بالشجار بينما تتلاشى الإضاءة وينخفض صوتهما شيئاً فشيئاً ويحل بدلاً منه صوت المطر)

انتهت

أخرج هذه المسرحية المخرج بسام نمرود في العام 2008 والمخرج بسام مطر في العام 2016 والمخرج نضال عديرة في العام 2018 .



مسرحية

شهيق الحل

هيثم يحيى الخواجة*

الشخصيات

قحطان، عدنان، محمود: العمر متقارب والملامح متشابهة.

حفصة: فتاة في الثلاثين.

عامر: في الخمسين.

سهير: جمالها واضح / في العشرين.

رجل1:

رجل2:

البائع: طاعن في السن يميزه عرجه.

سلطان: في الأربعين.. له نصف لحية.

المشهد الأول

(تبدأ المسرحية بأصوات سياط مع إنارة متعددة تشكل بقعاً غير ثابتة في كل الأمكنة والاتجاهات، وعندما تقوى أصوات السياط تزداد الإضاءة.. وفجأة يهدأ كل شيء إلى درجة الصمت المطبق.. تطفأ الأنوار جميعها، ثم تسلط بقعة ضوء في مقدمة المسرح ووسطه.. يظهر قحطان وعدنان وقد لبسا قناعين للتمويه)

* كاتب وناقد وباحث مسرحي سوري.. له عدد كبير من المؤلفات في النقد والبحث. . كتب النص المسرحي للكبار والصغار وعرضت أغلبها على منصات المسرح السوري والعربي. . عضو لجان تحكيم مهرجانات سورية وعربية ودولية. . عضو اتحاد الكتاب العرب وعضو اتحاد كتاب الامارات. . (راجع)، النبذة مأخوذة عن النت باختصار شديد. . مقيم بالأمارات العربية المتحدة.

قحطان: إما أن تُجب عن أسئلتي أو أتصرف معك تصرفاً لا يليق بك.

عدنان: أية أسئلة هذه؟ ثم لماذا تهددني ؟!

قحطان: قل لي من كان وراء حزني وقلقي؟

عدنان: ما هذا السؤال الغريب؟ ولماذا توجهه إليّ بالذات؟

قحطان: أنت شاهد من هذا العصر.

عدنان: كثيرون مثلي.

قحطان: أنت على دراية بواقعي الشخصي.. من تسبب في عدم زواجي؟

عدنان: (**ساخراً**) أنا.

قحطان: لا تسخر.. من أدخلني السجن؟

عدنان: لا أعرف.

قحطان: من قتل حبي؟

عدنان: لا أعرف.

قحطان: من حطم آمالي؟

عدنان: لا أعرف.. لا أعرف. فهمت.. لا أعرف.

قحطان: لا تعرف! خذ إذن (**يطعنه بسكين عدة طعنات، ويهرب**).

عدنان: آه قتلتني.. أخطأت الهدف.. لماذا فعلت ذلك؟

صوت 1: امسكوه.. لا تدعوا المجرم يهرب.

صوت 2: أسرعوا.

صوت 3: طوقوا المكان

صوت 1: هل قبضتم عليه؟

صوت 2: لا أدري !

صوت 3: من يدري إذن!

صوت 2: لم نتابع المسرحية بعد.

صوت 3: هيا نتابع.

صوت 1: هيا (**إطفاء**).

المشهد الثاني

(يظهر عامر متوسداً الأرض وبقربه قربة ماء).

حفصة: أبي.. أبي

عامر: (يغطّ في نوم عميق).

حفصة: استيقظ يا أبي أرجوك

عامر: ما الأمر؟ ماذا تريدين يا بنيتي؟

حفصة: في الحي اثنان من أحفادك يقتتلان.

عامر: أعرفك حليمة عاقلة؟!

حفصة: الأمر فيه جريمة! ماذا سيقال عنك إذا وقعت جريمة بين أحفادك وأنت عامر بن الظرب الذي ذاع صيته بقضائه العادل؟!

عامر: **(بعد أن فرك عينيه)** أشكر لك لهفتك يا بنيتي وخوفك على أحفادي، وأعتقد أن الأمر لن يصل إلى هذا الحد.

حفصة: رأيت أحدهما يخنق الآخر.

عامر: لا عليك يا حفصة، لن يحدث إلا الخير.

حفصة: أتظن أحفادك صورة مطابقة عن صورتك؟ ألا توافقني على أثر الزمن والظروف والأفكار الطارئة و..

عامر: **(مقاطعاً)** لا تذهبي بعيداً.. لا أريد أن أشوّه مخيلتي وأفكاري.

حفصة: **(منزعجة)** لا فائدة **(تهمّ بالخروج)**.

عامر: إلى أين؟

حفصة: لا بد أن أتدخل لإيقاف الجريمة حتى لا يقع ما نحن في غنى عنه.

عامر: لن تقدري.

حفصة: هذا يعني.

عامر: **(مقاطعاً)** دعيني أتابع نومي فلم أعد أطيق التفكير.

حفصة: ما وراء الأفق أقسى وأشد يا أبي.

عامر: أطفئي الضوء يا حفصة واتركيني أعانق أحلامي.

حفصة: **(غاضبة)** حاضر **(لنفسها)** لم أعد أفهم ما يحدث **(تطفئ النور، وتخرج)**.

المشهد الثالث

(المسرح معتم بشكل كامل.. بقعة ضوء في طرف المسرح.. يقف عدنان ومحمود في داخلها.. بقعة ضوء أخرى تظهر آلة غريبة المظهر..).

عدنان: **(وقد أمسك بتلابيب محمود)** اتركني يا محمود، لا أحب المزاح.

محمود: ومن قال إنني أمزح يا عدنان؟

عدنان: لماذا تصرّ إذن على دخولي إلى هنا.. دعنا نتنزه بعيداً عن الناس.

محمود: محبتك للعزلة غريبة!

عدنان: لا عزلة، ولا غرابة **(يفلت محمود)**.

محمود: أتعرف لماذا أتيت بك إلى هنا؟

عدنان: لا.

محمود: لأريك بعض مخترعات العصر.. انظر إلى هذه الآلة.

عدنان: ما بها ؟

محمود: إنها آلة خاصة بالرجل والمرأة على السواء.

عدنان: لم أفهم.

محمود: يدخل الرجل إلى داخل الآلة، ويغمض عينيه إذا أراد.

عدنان: إذا أراد؟

محمود: نعم إذا أراد.

عدنان: وبعد ذلك؟

محمود: وبثانية واحدة، ثانيتن، تحلق له رأسه، وتنظف ثيابه، وتكويها، وتجهزه للذهاب إلى.. قل موعداً مهماً، أو زيارة رسمية، أو حفلة **(سواريه)**.

عدنان: بثانية واحدة تفعل كل ذلك؟!

محمود: ثانية أو ثانيتين على الأكثر.

عدنان: لفّها يا محمود.

محمود: أو تظن أنني أمزح. طيّب، سأعرفك عليها أكثر.. هل تعلم أنها تحلق الشعر الزائد في الرأس والمنخرين والشاربين والذقن وتحت الأبطين؟

عدنان: وأسفل البطن؟

محمود: **(بإصرار)** وأسفل البطن، وتغسل الشعر والجسد، وتقدم أجمل العطور.

عدنان: للرجل والمرأة؟

محمود: للرجل والمرأة.. جرّب وستتأكد بنفسك.. تعال اقترب (**يشده باتجاه الآلة**).

عدنان: اتركني يا محمود.. لا أريد أن أسلّم نفسي لمثل هذه الآلة.

محمود: لا تخف.. كبار الشخصيات يسلّمون أنفسهم لها.

عدنان: ما أكبر أسرارها!

محمود: والمريح أنها لا تشي، ولا تفشي سراً.. تعال، تعال جرّب (**يشده**).

عدنان: لن أقبل مهما أغريتني.

محمود: أنت لا تحب الحداثة والمعاصرة.

عدنان: أية حداثة شكلية هذه.. الإنسان أحاسيس ومشاعر، ورغبته جامحة في تلمس ذلك بأفعاله.

محمود: هذه الآلة من أجل خدمة الإنسان.

عدنان: أنت لا تربط بين الشكل والمضمون.

محمود: أحترم فلسفتك.. المهم اقترب، وجرّب، وبعدها نتناقش.

عدنان: لا أريد.. دعني من هذه الخزعبلات.. ما حكّ جلدك مثل ظفرك.

محمود: كما تريد، ولكنك ستحتاج إليها في يوم من الأيام شئت أم أبيت (**يحلم بالخروج**).

عدنان: إلى أين؟

محمود: مشوار صغير وأعود.

عدنان: سأذهب معك.

محمود: شريطة أن أشرب القهوة عندك..

عدنان: أهلاً بك.

محمود: هيا (**يخرجان**).

(إطفاء متدرج.. أصوات غير واضحة تعبر عن الألم، والضجيج، والفوضى، والمغالاة في الضحك، والسخرية، والاحتجاج.. تغيب الأصوات، وينفر صوت سياط، سرعان ما ينقطع فجأة..)

المشهد الرابع

(غرفة في منزل بلا ملامح.. الإضاءة خفيفة.. لوحة سريالية عُلّقت على جدار تُعبر عن الضياع.. في الجهة اليسرى يجلس عدنان على مقعد يشرب القهوة، ويقوم بحركات تدل على قلقة.. أما محمود الذي يجلس بقربة فيبدو أكثر توازناً.. يراقب حركات عدنان وتصرفاته.. يسلط الضوء على ملامح رجل يقف في مركز دائرة مغلقة وقد ظهر ظله بشكل واضح.. عندما يتحدث محمود يغيب ضوء الدائرة، وعندما يتحدث عدنان يعود ضوء الدائرة).

عدنان: آه مللت.. لم أعد أطيق أحداً.. أحس أنني عاجز عن مقابلة الناس (**محمود**) هل هذا نقص في طبيعتي أم ذلك؟! (لنفسه) كل شيء جائز.. المهم أن طالعي نكد.

محمود: (**بثقة**) لكل شيء سبب.. لم لا تنظر إلى أسلوبي في الحياة: ابتسم دائماً، ولا تهتم بما يحدث.. كن معهم لا عليهم.. وبهذا أعيش دون قلق.. (**لعدنان**) أليست فلسفة حياتية ذكية؟

عدنان: (**ينظر إليه بازدراء**).

محمود: تحدّث.. أخبرني عن وجهة ونظرك، لا تخف.

عدنان: لا أخاف من شيء.

محمود: ما دمت كذلك لماذا لا تتكلم وتبوح لي بما في داخلك؟

عدنان: أحس أن كل ما حولي مغلق، حتى أنت.. الجميع لا يقول الحقيقة.

محمود: الحقيقة أننا في عصر الفضاء.. عصر المخترعات ، ، والهروب من هذا العصر يعني الموت.

عدنان: أسلوبك، واستسلامك، ولا مبالاتك.. كل هذا لا يعني الموت؟! أين محمود الذي نشأ على حب المعرفة وخوض الصعاب.. أين محمود الذي..

محمود: (**مقاطعاً**) أنسيت ما جرى لي (**يسير مُظهراً عرجه**)؟!

عدنان: سجنك من أجل قول الحق مفخرة لك ولنا جميعاً.

محمود: لم أسجن فقط.. عذّبت حتى عطبت ساقي **(يتقدم باتجاه محمود)** ألا ترى كيف أسير؟!

عدنان: كان ذلك خطأ.

محمود: وما ذنبي في ذلك!

عدنان: اعتبر ذلك تضحية من التضحيات.

محمود: أخذت نصيبي، ولا هدف لي الآن سوى أن أعيش هكذا، أما حقدي الذي يقبع في داخلي فلا أدري إلى أي مدى سيظل ناغراً.

عدنان: هذا عين الضياع.

محمود: ليكن ذلك.

عدنان: لكن الضياع موت قبل الموت.

محمود: لماذا تصرّ على إدخالي في دائرة الضياع معك؟

عدنان: لست ضائعاً يا محمود.

محمود: يبدو أننا لن نتفاهم.

عدنان: **(يضع عدنان يده على صدره متألماً).**

محمود: ما بك يا عدنان؟

عدنان: أحس بضيق في صدري.. كأن آلاف الشياطين تأكل أعصابي.

محمود: اسمع مني، وأرح نفسك.

عدنان: ليتني أستطيع.

محمود: إرادتك كفيلة بإزالة أوهامك ومخاوفك.

عدنان: هذا يعني فصلي من كل شيء.. **(يحدث نفسه)** كان أبي مُعلماً وقادراً وفاعلاً وقد تمثلته في مواقف عديدة.

محمود: **(وقد سمع حديثة لنفسه)** هذا عظيم.. لكن والدك غير عدنان.

عدنان: ماذا تقصد؟

محمود: كان قدوة في عصره.

عدنان: ومازال.. لم يتغير شيء. نحن نتوهم التغيير.

محمود: مُخطئ يا عدنان.

عدنان: لم أخطئ.. لست سوى رقم في قارات تسابق المدى.

محمود: تروّ، وأقصر يا عدنان

عدنان: ما أقسى أن يشعر الرأس أنه يفكر بين حوافر ما؟!

محمود: **(يهز رأسه حائراً).**

عدنان: لماذا تصمت؟ جدلية جديدة في عصر الجدليات.

محمود: ستزول جدليات كثيرة عندما تنخرط في دورة زمنك.. تشتم روائح الحضارة.. تغوص في عصرك راضياً بكل ما فيه.

عدنان: لا تنكأ جراحي أرجوك.

محمود: أية جراح هذه يا عدنان.. لا تكن كالطفل المدلل.

عدنان: جراح النفس أقسى من جراح الجسد.

محمود: متى صار التلاؤم ضياعاً، وقبول الواقع غياباً ؟!

عدنان: كيف سأشعر بالسعادة إذا نسيت ذاتي؟ منذ مدة وأنا أرى أحلامي بشكل مقلوب.

محمود: كيف؟

عدنان: أشاهد بومة عوراء بدل البلبل، والمستنقع الآمن بدل الحديقة.. وهكذا..

محمود: فيك العجب العجاب!

عدنان: باختصار.. الوهم يغلف ذاتي بألوان قاتمة.

محمود: أين؟

عدنان: هل رأيت عجوزاً بجناحي غراب؟

محمود: استرنا يا رب.

عدنان: هل شاهدت رجلاً تسقط ملايين الفئران من بطنه؟

محمود: لا.. لا.. كفى، أرجوك.

عدنان: اقتنعت الآن أن ذاتي مهترئة.

محمود: **(غاضباً)** كل ما تقوله هراء.. بعد قليل تقول لي: هل رأيت السماء تمطر خنازير؟

عدنان: أي والله.. كنت سأقول لك هذا.

محمود: **(يضرب بكفيه)** خيالك المهترئ وليس ذاتك.

عدنان: أنت لم تفهمني بعد.

محمود: لك رأيك.. أما رأيي بك فيتلخص بعدم قدرتك على التكيف مع عصرك.. ولو لم تكن كذلك، لمارست انطلاقاتك وفاعليتك دون وجل أو خوف.

عدنان: لا تنظّر كثيراً يا محمود.

محمود: هذا ليس تنظيراً.. أراهنك على صحة أقوالي.

عدنان: وأنا قبلت الرهان.

محمود: عظيم.. لابد أن نلتقي ثانية.. أما الآن فأستودعك الله.

عدنان: إلى اللقاء **(يخرج محمود)**.

(يضع عدنان يده على جبينه، يدور حول نفسه، ويجلس متهالكاً)
ابتعدي عني أيتها الوساوس.. لست قادراً على التحمّل.. يا رياح الغد.. احمليني إلى حيث الزهر الذي لا يذبل، لأتفيأ بظله مستقراً، وأسعد بعطره متفائلاً.

(يسمع حركة في مقدمة ويمين المسرح. بقعة ضوء تستقر في المكان ويظهر قحطان من داخلها)

عدنان: من أنت؟ وماذا تريد؟!

قحطان: أنا قحطان ألا تعرفني!

عدنان: هربت من الناس والاختلاط بهم، ولم أستفد شيئاً!

قحطان: أنت لم تهرب من الناس، ولكن حبست نفسك بحثاً عن ذاتك.

عدنان: (**مستغرباً**) وتعلل سبب تعبي أيضاً!

قحطان: ألسنا صديقين؟

عدنان: منذ متى؟

قحطان: أشعر أنك قريب مني، ولكني لا أذكر أنني التقيت بك من قبل. (**يربط أزرار قميصه المفتوح**).

عدنان: (**يقترب من قتيبة مندهشاً.. ينظر إلى قسمات وجهه كأنه يقيسها.. يتأمله باستغراب**).

قحطان: ما لك يا صديقي؟

عدنان: أحقاً أنت صديقي!

قحطان: ولم لا؟

عدنان: أنت نسخة مني أم أنا نسخة منك؟

قحطان: لا فرق.. كلنا أبناء آدم.

عدنان: ما اسمك الكامل؟ ومن أنت؟ وكيف وصلت إلى هنا؟ أخبرني عن دخيلتك.

قحطان: كما تريد.. اسمي قحطان مسعود.

عدنان: وأنا عدنان مسعود.

قحطان: أترى.. صداقة وقرابة في وقت واحد!

عدنان: ما أغرب ما يحدث!

قحطان: حقاً!!

قحطان: حظي كبير.. سعادتي أكبر بلقائك.

عدنان: وراءك سر كبير.

قحطان: أنا ابن هذه الأرض. ما يقلقني هو البحث الدائب عن المجهول.

عدنان: أفهمك ولا أفهمك.

قحطان: ما أقوله هو الحقيقية.

عدنان: وما حقيقتك؟

قحطان: أنت كثير الأسئلة، عميق الشك بالآخرين.

عدنان: ظنّ السوء أضمن للسلامة.

قحطان: نظرية تقوم على الريب وعدم الثقة.

عدنان: لا تذهب بعيداً يا صديقي.. أنا أستقي أفكاري من واقع الحياة.

قحطان: لكنك تبالغ مرة، وتقارب الصواب مرة أخرى.

عدنان: تخطئ كثيراً إذا وصفتني بذلك.. **(يقترب منه كثيراً)** قل لي هل تقبل أن تُصرّح لي بأفكارك، وأنت لا تعرفني كثيراً؟

قحطان: حديثك يورّطني.

عدنان: لماذا؟

قحطان: لأنك تُثير كثيراً من الشبهات.

عدنان: لعل ذلك بسبب عدم استقرار أفكاري.

قحطان: إضافة إلى أمور أخرى.

عدنان: لا تهزأ بي أرجوك.. نفسي لا تحتمل سخريتك، فقد يقودني ذلك إلى تأديبك.

قحطان: لا تغلط يا عدنان.. معاذ الله أن أفعل ذلك، حديثي معك تعبير عن مودتي.

عدنان: ولهذا تستدرجني.

قحطان: في عصرنا أشياء لم يرها من عاش قبلنا.

عدنان: ألم أقل لك؟

قحطان: لا تقل شيئاً.. كل ما في الأمر أننا نزيل الغموض من أنفسنا، أو قل نتجاوز القلق، أو فسّر ما شئت. المهم..

عدنان: **(مقاطعاً)** كأننا نتبادل الأدوار، هل أرسلك أحد لهدف ما؟

قحطان: قحطان مسعود ينشد الحياة الواسعة، ولعل دراساته العليا بعلم الآثار فتحت له نوافذ ضوء جديدة لعشق الجمال واحترام الإنسان.. هل ارتحت الآن؟

عدنان: لكن..

قحطان: إذا لم تصدق فستتعب، لأنك لن تجد عندي غير ذلك.

عدنان: كل ما فعلته أنك أضفت لغزاً جديداً.

قحطان: غريب أمرك؟!

عدنان: هل تحمل ما يُثبت شخصيتك؟

قحطان: لا. قل لماذا؟

عدنان: أنت تتحدث عن صفاتي باسمك.. لم يبق إلا أن تحلم بما أحلم.

قحطان: أحب الحلم شريطة ألا أبتعد عن واقعي.

عدنان: ومن قال إني غير ذلك!

قحطان: **(عال)** اتفقنا.

عدنان: لكن عصر الذرة يحتاج إلى من يجسّد الحلم حقيقة.

قحطان: ولذلك ترى تغييراً طرأ على طبيعتنا وحياتنا.. لو تخلّصنا من الذرة عشنا براحة واطمئنان.

عدنان: لا تُخرّف يا قحطان.

قحطان: المثل يقول: (**النافذة التي تأتي منها الريح سدّها واستريح.**)

عدنان: هل تساعدني؟

قحطان: أنا مستعد لكل ما تطلبه.

عدنان: تقبل بشراكتي في السراء والضراء ؟

قحطان: أفكر.

عدنان: المهمة صعبة.

قحطان: أفكر.

عدنان: هل أحببت؟

قحطان: وما زلت.

عدنان: موفق.

قحطان: لكن تعقيدات الحياة مخيفة، فقد تحرم الإنسان من إنسانيته..

عدنان: ولهذا أدعوك إلى توحيد نقطة ارتكازية ننطلق منها.

قحطان: أفكر بالقبول.

عدنان: ريثما تفكر دعني أتأكد أنك من نسيجي.

(يجلب وعاء أشبه بالبرميل ويضعه في منتصف المسرح).

قحطان: ماذا تفعل؟ وما الذي يحويه هذا البرميل ؟

عدنان: لا شيء فيه سوى الحليب.. اخلع ملابسك وانزل فيه.. يجب أن تغرق فيه حتى شحمة أذنيك.

قحطان: ولماذا الحليب بالذات ؟!

عدنان: إذا لم يلوثه جسدك فأنت مني وأنا منك. هكذا تقول الأسطورة.. اخلع ثيابك بسرعة.

قحطان: أنت مجنون!

عدنان: لست مجنوناً إذا تأكدت من حقيقتك (**يجبره على خلع ثيابه**).

قحطان: ابتعد عني.. توقف.. حقاً أنت مجنون!

عدنان: **(ينزل قحطان في وعاء الحليب).**

قحطان: آه ما هذه البرودة؟ إنني أرتجف.

عدنان: صحيح هي برودة قاسية (يشعر بالبرودة أيضاً).

قحطان: انظر هل تلوّث الحليب؟

عدنان: **(ينظر إلى الحليب مرتاحاً).**

قحطان: ارتحت.. آه.. أخبرني هل وصلت إلى نتيجة؟

عدنان: وصلت.. الآن يحق لك أن تخرج.. لكن إياك أن تغتسل قبل ساعتين، حتى يدخل الحليب إلى أعمق مساماتك.

قحطان: حاضر كما تريد (**ينشف جسده، ويرتدي لباسه**).

عدنان: أيها الصديق لقد تجاوزت الامتحان بنجاح.

قحطان: (**مقاطعاً**) والآن جاء دوري.. ما رأيك؟

عدنان: كما تريد.. أنا مستعد.

قحطان: تخيل نفسك وقد خرجت تواً من منجم فحم، ويجب أن تصل المطار بعد خمس دقائق، وتريد أن تغتسل، وتحلق ذقنك، وتكوي ثيابك عدا مسافة الطريق، ماذا تفعل؟

عدنان: مستحيل!

قحطان: لا. ليس مستحيلاً. هناك آلة حديثة تجعلك جاهزاً بدقائق.. وسيارة تجعلك داخل المطار بلمح البصر.

عدنان: تقابل امتحاني بامتحان آخر.

قحطان: هي حقيقة عصر أكثر مما هو امتحان.

عدنان: لست سهلاً.

قحطان: (**يضحك**).

عدنان: أنا أعني ما أقول.

قحطان: والآن أستودعك الله.

عدنان: إلى أين. هل أزعجتك طقوسي؟

قحطان: لا.. مهمة صغيرة وأعود إليك.

عدنان: ستجدني في انتظارك.

قحطان: (**مازحاً**) من أجل امتحان آخر؟

عدنان: غادرت الوساوس مخيلتي أيها الصديق.

قحطان: وداعاً.

عدنان: إلى اللقاء.

المشهد الخامس

(يظهر عامر في مقدمة المسرح)

عامر: من واجبي أن أخبركم أن "محمود" أحد أطراف الجريمة ساعد عليها أو اشترك فيها أو حرّض.. لا يهم...

حفصة: **(داخلة)** لا تتسرع يا والدي.. عُرفت قاضياً عادلاً لا يشقّ له غبار.

عامر: وما زلت يا بنيتي

حفصة: لماذا تحكم بهذه السرعة إذن؟!

عامر: حيثيات القضية تدفعني إلى ذلك، فالألم يسكن عروقه وفكره.

حفصة: ألا تقرّ معي بوجود أسباب أخرى؟!

عامر: يبدو لي أن الأسباب التي تفكرين بها لا علاقة لها بالجريمة.

حفصة: ما أراه أنها من أهم الأسباب.

عامر: لا تجادلي كثيراً يا حفصة.

حفصة: حفصة بنت عامر بن الظرب واحدة من حكيمات العرب، وجدلها يستند إلى أدلة.

عامر: أفتخر بك يا حفصة لكن..

حفصة: أرجوك يا والدي تمهل في حكمك واستمع إلى الأسباب التي سأوردها لك.. فالأخبار تُثير الكوامن.

عامر: حاضر سأستمع. تفضلي.

حفصة: محمود يعرف عدنان وقحطان.

عامر: وماذا أيضاً؟

حفصة: لكن عدنان **(تصمت.. تطفأ الأنوار)**.

عامر: تابعي.

حفصة: المسرحية ستبرهن لك على صحة رأيي.

المشهد السادس

(يتجول عدنان في غرفته مُفكراً حائراً ضجراً.. يشعل التلفاز فيظهر المذيع وهو يقرأ نشرة الأخبار).

المذيع: مرحباً بكم، إليكم نشرة الأخبار لهذا اليوم.

انفجر مختبر نووي تسبب في موت أكثر من مليون شخص منهم مئة ألف طفل. ضرب زلزال مدينة في جنوب شرق أفريقيا فقتل الآلاف. اعتدت دولة سمولا على دولة عبولا ، وفرضت عقوبة رادعة عليها ، لأنها لم ترض بالاعتداء والاحتلال.

احترقت طائرة فاخرة الصنع في السماء، ولما لم يعرف سبب الاحتراق كتب تقرير من مئة صفحة يفيد بأن الاحتراق كان سببه الإرهاب.

اجتاحت المياه عشرات القرى في بلاد ما قبل خط الصفر.. والمحزن في الأمر أن أحداً من السكان لم يعد يسمع خريرها.

(يُغلق عدنان أذنيه ثم يخفض الصوت).

عدنان: آه.. أحس بحريق يلتهم فرحي.. أشعر بضيق حاد (يفتح النافذة) أيتها النسائم العليلة.. احملي لي رياح الراحة والسعادة.. احمليني إلى كوخ بعيد تُظلله موسيقا هادئة وتُزينة عطور وخضرة.. هيا.. أسرعي.. هيا.. هيا

(ينهــار).

المشهد السابع

(يدخل عدنان عالم الحلم، فيظهر عامر يرتدي لباساً ملوناً بالرمادي والأحمر.. يضع كوفية على رأسه، ويحمل قفصاً صغيراً، يجلس عصفور صغير وراء أسلاكه).

عامر: يا أهل العصر
وجند العصر
قوموا للجني وقهر القهر
هذا عصفورٌ مكتئب
أقفاص لا ترضى الجهر
إيقاع يتلو إيقاعاً
والطمي المُخصِبُ يتمادى
يتحدى الدهر
(يستيقظ عدنان ويراقب الرجل مدهوشاً)
يا أهل العصر وجند العصر
خطوات الكون تؤرقني
وقصيدة من عقد الجمر
ونيازكُ قادمة تبلى
أحزمةٌ من كونٍ
وحجارٌ من فحمٍ
ألويةٌ من نارٍ
ودماءٌ من خمر
ورؤوس يانعة
في أقصى الجذر

عدنان: من أنت؟ وماذا تريد؟

عامر: **(لا يأبه لسواله).**

يا أهل العصر أعينوني
مفتاح ضاع يؤرقني
عصف.. أجنحة
ريح تغلي
وجه مسكوب
إغواء مجنون
للمطر الملحي الطائف
وشظايا من وشم مدفون
وبقايا روح

عدنان: أتصمت أو أكسر رأسك بعصاك هذه؟

عامر: **(متابعاً)**

يا أهل العصر
وجند العصر
ضاع المفتاح، وضاع الدرب
نبع الأشعار بأشلائي
يتحدى السرب
لكني جسد من حطب
وحقيقة دهر
لكني جسد من حطب
وشريحة عمر **(يبدأ بالخروج)**.

عدنان: قف مكانك.. لا ترحل

(يقف وقد أدار ظهره)

عدنان: لي معك ألف سؤال.. اقترب

(يقترب عامر دون أن يكترث لكلام عدنان)

عدنان: من أنت؟ ولماذا أتيت؟ ناولني القفص.. خذ ثمنه، وأطلق العصفور.. لا ترحل.. اقترب.

المشهد الثامن

(المنظر نفسه.. عدنان يقرأ في كتاب ما.. يتوقف فجأة.. يفكر قليلاً).

عدنان: أين ذهب قحطان؟ بي شوق لمعرفة أموره.. بت أعتقد أن ما حدث بيني وبينه كان محض خيال.. جاءتني فكرة.. يجب أن أبحث عنه حالاً.

(يعقد ربطة عنقه استعداداً للخروج.. موسيقا.. بقعة ضوء في أحد الأطراف.. يظهر قحطان من داخلها).

عدنان: وأخيراً حضرت! أجهّز نفسي كي أبحث عنك.

قحطان: مرحباً أيها الصديق.

عدنان: لماذا تأخرت كل هذا الوقت؟

قحطان: **(مازحاً)** التأخير من أصول المواعيد.

عدنان: صدقت.

قحطان: **(متابعاً)** ظروف خاصة حالت دون وصولي في الوقت المحدد.

عدنان: وكيف قضيت فترة غيابك عني؟

قحطان: لن أتحدث قبل أن تغلق الأبواب والنوافذ.

عدنان: **(مدهوشاً)** نعم.. لماذا؟

قحطان: مئة أم تبكي ولا أمي.. أما سمعت بهذا المثل الشعبي؟

عدنان: إلى هذه الدرجة!

قحطان: أغلق الأبواب والنوافذ بسرعة، وسأتأكد بنفسي من عدم وجود جهاز لاقط في هذا المكان.

عدنان: أنت رهيب وخبير.

قحطان: عندما تبغي السلامة فما عليك إلا أن تحرص كثيراً خاصة وأن عصرنا عصر المخترعات.. ألم تقرأ عن الزوج الذي تجسس على زوجته ووضع لها جهازاً في المطبخ بحجم حبة العدس داخل قطرميز المخلل.

عدنان: معقول!!

قحطان: (**متابعاً**) وذلك السياسي الذي ركب له طبيب الأسنان ضرساً في فمه يسجل أقواله في كل مكان.

عدنان: (**يبلع ريقه ويتحسس أسنانه**) لا تبالغ يا قحطان!

قحطان: ابحث، واقرأ.. وستجد أن ما أقوله جدّ صحيح.

عدنان: على كل حال تأكد بأن بيتي آمن، ولا يوجد فيه ما يخيف، فليس عندي مخلل، ولا زيتون، ولا طعام، ولا شراب.

قحطان: أتعلم أنني منذ قرأت خبر ذلك السياسي اتخذت قراراً بعدم مراجعة أي طبيب أسنان.

عدنان: وإذا اضطررت؟

قحطان: أسافر إلى أية دولة خارج البلاد.

عدنان: لن تستفيد.. إذا كنت مقصوداً فستقع في الفخ أينما ذهبت.

قحطان: أحاول الاتقاء.

عدنان: زيادة الحذر توجه الأفكار نحوك.. (يغير الحديث) دعنا من هذا الحديث وأخبرني بما رأيت.

قحطان: رأيت مخترعات تبرهن على قدرة العقل البشري في صياغة حضارة هائلة.. أعجبت بها كثيراً.. لكني (**يتوقف**).

عدنان: أكمل.. أكمل لا تخف.

قحطان: لكني رأيت مخترعات تُجرّد الإنسان من قيمة وسلوكه الإنساني.

عدنان: مثل ماذا مثلاً؟

قحطان: لو أردت أن أعدد لك لما انتهيت.. جهاز صغير تضعه في جيبك، وتستطيع من خلاله رؤية ما يجري في منزلك.

عدنان: فقط في منزلك؟

قحطان: من يدري إذا تطور الجهاز، و...

عدنان: (**مقاطعاً**) مصيبة حقاً! وماذا أيضاً؟

قحطان: كمبيوتر يسجل حديثك، ويطبعه دون أن تلمسه.

عدنان: أحسن! وماذا أيضاً؟

قحطان: تلفزيون يريك قنوات فضائية غريبة عجيبة.

عدنان: لا تدع للغموض طريقاً إلى حديثك.. أفصح يا قحطان.

قحطان: كبسة زر واحدة ترى المرأة بنوع من اللباس، وكبسة أخرى تراها بلباس آخر، وكبسة أخرى تراها بالمايوه، وأخرى تراها عارية.

عدنان: لا تكذب.

قحطان: معاذ الله يا عدنان.

عدنان: طيب، والرجل هل كبسة الزر تطاله أيضاً؟

قحطان: تماماً.

عدنان: **(بعد أن يلامس ثيابه بيديه)** لعنة الله على هذا الجهاز، ما هذه المصيبة!

قحطان: هذا عن الإنترنت، والهاتف التلفاز، والألعاب العجيبة، والاستنساخ، لكن الذي أثارني أكثر مخترعات الحروب التي تقضي على الإنسان بلحظة واحدة.. أدوات التعذيب وتطورها.. عالم مليء بالتناقض.

عدنان: ما قصدك؟

قحطان: فسّر لي كيف؟ مازال بعض الناس يركب عربة خشبية يقودها حصان من الدرجة الثالثة، والآخر يقود طيارة تسبق الضوء أو على الأقل سيارة متطورة؟

عدنان: أنت تفتح بوابة الهم الإنساني.

قحطان: ماذا سأرى بعد ما رأيت.. غابة من النفاق والكذب.. بطوناً منتفخة، وعقولاً فارغة.. رأيت من يجهل تاريخه، ويحفظ تاريخ غيره.. رأيت مقلدين لا مبتكرين.. خائنين وضائعين.. رأيت من يحفظ أسماء التافهين، ولا يعرف شيئاً عن الأبطال والعظماء والعلماء والمفكرين..

عدنان: يكفي يا قحطان.

قحطان: دعني يا عدنان.. رأيت من ينظر أكثر مما يفعل.. رأيت من لا يعرف من الحياة سوى اللهو.. ورأيت أبنية ضخمة تسع آلاف الناس، وعندها توقفت قليلاً، أتعرف لماذا؟

عدنان: لماذا؟

قحطان: فكرت كم زوجاً يغازل زوجته فيها؟

عدنان: أنت لا تفكر إلا بذلك!

قحطان: (**يُكمل**) كم طفلاً ينتظر وجبة طعامه، وكم حلماً يحلم به سكانها، وكم آهة تخرج من صدر ساكنيها، كم دعوة، كم صرخة، كم دمعة؟

عدنان: توقف يا أخي، حتى كمبيوتر هذا العصر لا يستطيع إحصاء ما تطلب.

قحطان: لكن مشاعري وعقلي يدركان ذلك دون إحصاء.

عدنان: أكرر قولي.. ستكتشف أكثر.. تعال نشرب الشاي.

قحطان: لا أريد. دعني أحدثك عن موضوع شخصي يفرحك.

عدنان: خير.

قحطان: سأتزوج عما قريب.

عدنان: متى حصل هذا؟

قحطان: غلبني الحب فاستسلمت له راضياً

عدنان: ما أسرع قراراتك!

قحطان: أريدك أن تقف بجانبي.

عدنان: لكن الزواج يحتاج إلى إمكانيات!

قحطان: أعرف ذلك.. ما يهمني أنها رضيت بي، ورضيت بها، وهي عاقلة راشدة

عدنان: برأيي هذا لا يكفي.

قحطان: لا تخفني أرجوك.

عدنان: الزواج بحاجة إلى ألماس وبلاتين وذهب ومنزل خاص وسيارة و...

قحطان: يكفي ذلك.. بعد قليل تطلب مني أن أبني لها بيتاً على سطح القمر.

عدنان: ويفضل أن يكون في المريخ.

قحطان: الحب يحتاج إلى تضحية.

عدنان: مضى عصر المثاليات يا صديقي.

قحطان: لا يخلو عصر من ضوء يستنير به من أحبوا الحياة.

عدنان: من هي صاحبة الحظ السعيد؟

قحطان: فتاة جميلة مال قلبي إليها.

عدنان: خطواتك سريعة وجريئة.

قحطان: **(مازحاً)** اضرب الحديد حامياً.. لا نفع فيه إن برد. ألم يرتبط قلبك بأحد؟

عدنان: قلبي ريفي.. صادق في خفقاته.. خفت عليه من ضجيج المدينة ومشاكلها، فحافظت عليه حتى أشتم نفحات الريف الجميلة بشكل دائم.

قحطان: ألا تحنّ لإحداهن هناك؟ أليست لك ذكريات؟

عدنان: لو ماتت ذكرياتي فقدت روحي.

المشهد التاسع

(امرأة فارعة القوام. مشرقة الوجه.. عيناها وهاجتان.. ترتدي لباساً جميلاً)

سهير: مرحباً.

قحطان: أهلاً وسهلاً.

عدنان: أهلاً بك يا آنسة سهير **(ينظر إلى قحطان مستأذناً)** أعتذر عن عدم بقائي معكم فلديّ عمل ضروري **(يخرج)**.

قحطان: كنت أعدّ اللحظات لمجيئك.

سهير: شيء ما يشدني إليك.. إحساس غريب يربطني بك.

قحطان: أنت عطر حياتي يا سهير.

سهير: جئت أكتشف مدى حبك لي.

قحطان: بعد كل هذا التعبير !! على كل حال هذا كرم منك.

سهير: (**لتلطيف الموقف**) لا تحزن.. سعادتي لا توصف بوجودي معك.

(تشعر بألم في رأسها فتخرج علبة دواء من حقيبتها وتشرب حبة)

قحطان: ما هذا يا سهير؟!

سهير: لا تخف. وعكة وتزول يا قحطان.

قحطان: ما أروع هذا النداء!. ما زلت أطمع أن يجمعنا سقف واحد.

سهير: لنقيد عواطفنا قليلاً، ريثما نتجاوز العقبات (**تطرق رأسها**).

قحطان: القناعة تُقرب رغباتنا.

سهير: والحقيقة نور الأذكياء.

قحطان: صدقت.

سهير: ولهذا أرجو أن تُترجم النظرية إلى عمل.

(تُخرج مرآة من حقيبتها وتنظر إلى ملامح وجهها).

قحطان: كيف؟

سهير: ما الذي انتويته من أجل مستقبلنا؟

قحطان: أمارس عملي باختصاصي من أجل متطلبات حياتنا.. أسعى بكل ما أستطيع لبناء بيت الزوجية.

سهير: لكن هذا يحتاج إلى وقت طويل.

قحطان: ما يهمني أنني أحببتك من بين نساء العالم.

سهير: وهل هذا يكفي؟! الحياة معقدة، وهناك أمور لابد من إنجازها حتى نصل إلى ما نريد.

قحطان: قحطان مسعود إنسان بسيط، وصورة إخلاصه واضحة ألا يكفيك هذا؟!

سهير: لقد ولى عصر المثاليات.

قحطان: ولكني متمسك بها.. والدي كان كذلك، نجح في حياته.. أحبّه الجميع، واحترمه القاصي والداني..

سهير: ليس المهم أنت. المهم المجتمع.. من نتعامل معهم في هذه القضية.. الناس تغيرت والعصر أيضاً.. أخ. نسيت أن أقدم لك هذه الزهرة (تقدم له الزهرة) رائحتها رائعة ومنظرها يعجبني.. اخترتها لك من مئات الزهرات.

قحطان: (**بعد أن يأخذ الزهرة ويشتمها**) شكراً لهذا الاختيار (**يعود إلى الحديث السابق**) ما قصدك مما قلت؟

سهير: (**يتعلثم**) قصدي أن والدي يحب الذوق، وقد عوّد أسرته (**الإتيكيت**)، وهو يعرف واجبه تجاه أولاده، وأقربائي وجميع الناس.. وما عليك إلا أن ترضى بطلباته.. من أجلي أولاً، ولأنك لن تخسر ثانياً.

قحطان: (**منزعجاً**) أوضحي أكثر.

سهير: بقدر ما تقدم لي من مهر جيد، تكرمني، وترضي أهلي.. ألا تثق بأن حبي لك لا يعادله حب؟ أسرع يا قحطان واستجب لطلبات أهلي.. ألا أستحق الألماس والبلاتين؟

قحطان: هل المهم عندكم العريس أم ما يدفعه العريس؟ ألا تؤمنين أن أموراً كثيرة أهم من المظاهر.. كلامك هذا يفقدك جمالك وسحرك.

سهير: ماذا نفعل إذا كان مجتمعنا يعشق المظاهر، والخروج عن عاداته مشكلة المشاكل.. ثم إن الشهادات العالية لم تعد تغري طبقتنا كثيراً.

قحطان: لكن هذا خطأ، ومهمتنا عدم تكريسه.. أخ.. أشعر بتنين يأكل تلافيف مخّي.

سهير: لا تتعب نفسك بالقلق والتفكير. من الصعب أن يتجاوز الإنسان عصره.

قحطان: ليس صعباً، لأنني على يقين أن ما تبحثين عنه يبدو في ظاهره ضروري، لكنه الجحيم بعينه.

سهير: يجب أن تعلم أنني لا أستطيع إغضاب أهلي وأصير نافرة عن تقاليد مجتمعي.

قحطان: لا أطالب بإغضابهم وإنما بتعريفهم على الحقيقة، والتفريق بين الشكل والمضمون. صحيح أننا نسكن بحيّ متواضع لكن سمعتنا طيبة وأفعالنا تعكس أخلاقنا.

سهير: لكن أهلي يصرون على موقفهم، ومن شبّ على شيء شاب عليه، ثم إن جميع أفراد المجتمع يمارسون هذه الأمور.

قحطان: الوعي الحقيقي يدفع الإنسان إلى أن يغير العادات كلها والمفاهيم البالية أيضاً.

سهير: أرجوك.. أتوسل إليك.. اقبل بما يريد أهلي.

قحطان: مستحيل.

سهير: أرجوك.. أرجوك.

قحطان: مستحيل.. مستحيل.. مستحيل.

سهير: تتخلى عني بهذه البساطة؟!

قحطان: لن أتخلى، ولن أغيّر ما آمنت به. منبتي وأفكاري مثالية وليس عندي تنازلات.. عرفت رأيي الآن؟

سهير: يؤسفني أن أخسر حبك، ولتعذرني إذا قلت إنني لا أستطيع أن أكون جاحدة لأهلي (**صوت سياط يرتفع قليلاً قليلاً**).

قحطان: ثقتي كبيرة أنك ستقدرين موقفي.

سهير: ضاع كل شيء.

قحطان: وهذا ما يحزّ في نفسي.

سهير: (**لنفسها**) سأنتظرك أيها الغد بفارغ الصبر (وداعاً).

قحطان: سهير (**تلتفت نحوه.. ثم تخرج مسرعة**).

المشهد العاشر

(يدخل عدنان وكأنه سمع حديث قحطان مع سهير)

عدنان: ما هذا يا قحطان! أيعقل أن تتخلى عن حبها بهذه البساطة؟

قحطان: هذا ما جرى.

عدنان: هو امتحان لحبكما لا أكثر.

قحطان: لكنها جادة فيما طرحته.. عالم غريب، وأحداث أغرب!

عدنان: ألم أقل لك لا مجال للعواطف بعد الآن.

قحطان: نحن بشر يا عدنان.

عدنان: بل أرقام يا قحطان.

قحطان: هي الحضارة والتقدم.

عدنان: فسّر كما تشاء.. المهم أننا أرقام.

قحطان: لكنها أحبتني، وأحببتها.

عدنان: وما الضير في ذلك؟.. غداً تحب غيرها، وتحب هي غيرك.

قحطان: لا تسخر أرجوك.

عدنان: ليست سخرية.. هي الحقيقة.. المادة نبراس العصر، والقلة القليلة لم تؤمن بذلك.

قحطان: أنا رجل عصامي.

عدنان: لا يهم.

قحطان: لكن هذا لا يمكن.

عدنان: ستغيرك الأيام.. تعال ارتح، وحاول أن تنسى.

قحطان: لن يشغلني سوى عملي.

عدنان: هرباً من المواجهة.

قحطان: بل لأن في العمل حياة ووجوداً وموقفاً ومواجهة.

عدنان: سيأتي اليوم الذي أراك فيه قد تغيرت.

قحطان: لن أمتثل لكل ما هو خُلبي وزائف.. وداعاً.

عدنان: أتمنى ذلك.. مع السلامة.

المشهد الحادي عشر

(يعود صوت السياط.. عدنان يتألم وكأن أحداً يجلده)

محمود: **(يدخل متوكئاً على عكازه)** ما بك يا عدنان.. لِمَ تتألم؟

عدنان: أتعذّب يا محمود.

محمود: اصبر يا عدنان.

عدنان: لم أعد أحتمل.

محمود: تخاذلك يفقدك حياتك.

عدنان: ليكن.

محمود: أحمق وخانع.

عدنان: **(وقد أمسك بتلابيب محمود)** إذا قسوت عليّ أكثر فسأقتلك.

محمود: وماذا تستفيد؟

عدنان: أُخلِّص العالم من مداهن.

محمود: لن تستفيد شيئاً.

عدنان: بل سأستفيد أيها..

محمود: نحن نتكاثر بالآلاف في كل يوم.

عدنان: أيها الوغد !

محمود: صديق الوغد وغد.. لو حدث لك ما حدث لي لتغيرت كثيراً. هل أعيد لك قصتي؟

عدنان: اخرس.. لست صديقك، ولا أعرفك.

محمود: كما تريد.

عدنان: لك طريقك، ولي طريقي.

محمود: كما تريد.

عدنان: اغرب عن وجهي قبل أن أمزّق جسدك بسكيني هذه.

محمود : سألبي كل طلباتك، ولكني لن أنسى أنني أُهنت.

عدنان: بلِّط البحر.

محمود : ومن يدري، قد أفعل يوماً ما.. وداعاً.

عدنان: إلى لا لقاء.

(يستلقي عدنان.. موسيقا.. إطفاء وإثارة إشارة على توالي الأيام)

المشهد الثاني عشر

(يُمكن استخدام خيال الظل في هذا المشهد)

محمود : سهير.. سهير.. مرحباً

سهير: من أنت وماذا تريد؟

محمود : أنا محمود صديق قحطان.

سهير: صحيح؟

محمود : تأكدي مما أقول.

سهير: ولكن كيف عرفتني، وماذا تريد؟

محمود : كلمة واحدة فقط.

سهير: تفضل.

محمود : لا تفكري به كثيراً، فأنت من نسيج غير نسيجه، وواقعه غير واقعك.

سهير: ماذا تقول؟

محمود : ابحثي عن خطيب يرضي أهلك ويسعدك. يعني يملك قصراً ومالاً وسيارة.

سهير: كفى أيها الصديق الوفي!

محمود : هذا من أجل سعادتك.

سهير: دع نصيحتك لنفسك.. وداعاً.

محمود: اسمعيني يا سهير.. هل تقبلين خطيباً؟ أرجوك. عندي رصيد جيد في البنك.

سهير: **(تغيب دون أن تجيب).**

المشهد الثالث عشر

(المنظر بيت قديم.. عمل قحطان يوحي بجدية متناهية.. مطرقة.. إزميل.. أدوات تتعلق بالتنقيب والحفر ودراسة الآثار).

سهير: **(لاهثة)** ما هذا المكان؟ **(تنظر إلى المكان الأثري بإمعان، ثم تتوقف أمام ضوء فانوس)** أين أنت يا قحطان.. أيها الضوء الغائب الحاضر.. ألم يحن الوقت لكي تسأل عن حبك الضائع ؟! أيها الضوء الذي يشع من أجل الإبصار أطالبك بالاستمرار والتوقد.

قحطان: **(يدخل مقاطعاً)** سهير.. هذا غير معقول **(موسيقا قوية)**.

سهير: اختنقت بعاصفة الغبار فجئتك راضية.

قحطان: لا أصدق يا سهير.

سهير: عدت على حصان أشقر لا أسرع منه، ولا أحلى!

قحطان: كنت متأكداً من ذلك.. لكن كيف عرفت مكاني؟

سهير: **(وقد تجاهلت السؤال)** ماذا تفعل هنا؟

قحطان: ما أروع أن يلتقي الإنسان بمن أحب؟

سهير: لم تجبني عن سؤالي.. ماذا تفعل هنا؟

قحطان: أعمل.. أمارس اختصاصي.. أبحث عن كنز ما.

سهير: تعمل بالآثار !! هذا نكوص إلى الماضي.

قحطان: لا يا سهير.. في تراثنا ما هو مهم من أجل حاضرنا ومستقبلنا.

سهير: ألا يشدنا إلى التخلف؟

قحطان: يجب ألا يشدنا كثيراً، ويجب أن نستغل فيه المقومات التي تدفع إلى التقدم.

سهير: ذكي وواع.

قحطان: تذكري يا سهير أن التراث يستخدم في الاستنهاض، وليس في التخلف.

سهير: أنت كبير يا قحطان.. أنت ودادي القديم الجديد. لم أر ملاكاً بألف جناح مثلك.. سأصنع لك فنجان قهوة لم تذقه من قبل.. أعرف أنك تحب القهوة كثيراً **(يتم صنع القهوة مع الحوار)**.

قحطان: تندى القلب بعودتك.

سهير: أبادلك المشاعر ذاتها.

قحطان: كيف عرفت مكاني، وهل تراجعت عن موقفك؟

سهير: المؤلم أن تراجعي لا يغير من الواقع شيئاً.

قحطان: أحببتك، وسعيت لأثبت لك صدقي.. كنت أستطيع أن أكذب وأزيف.. أستطيع أن أغيّر جلدي ولوني، ولو لفترة، لكن خيبة النفس أشد إيلاماً من أي شيء آخر.

سهير: وعندما تنتهي الفترة ينتهي بيننا كل شيء.

قحطان: ولهذا لم أفعل.

سهير: وها أنذا أعود إليك.. ألوّن أحلامي بفعل يرضيني.. أعلن عن رجلي الذي أحب دون خوف **(تقدم فنجان قهوة)**.

قحطان: ما أسعدني يا سهير! آمالي تتحقق تباعاً.

سهير: على الرغم من شجاعتي أحس بالخوف.. السياط المخيفة قد تقتل، أو تشوه على الأقل.

قحطان: لا أحب سماع مثل هذا الكلام.. لماذا هذا الخوف؟

سهير: لأننا نجابه العصر، ونواجه المجتمع.

قحطان: المهم قناعتك.. المهم أنت وحبك الذي دفعك لتتجاوزي أموراً كثيرة.. ها هو الحلم ينتصر، ويعانق حياتنا.

سهير: كنت أتمنى أن يحدث هذا دون قسر.

قحطان: كثر أولئك الذين يفهمون الزواج فض بكارة أو تسليم المرأة مفاتيح جسدها للرجل.

سهير: قل ذلك، وقل التقاليد والشكليات.

قحطان: المهم ما نقتنع به نحن.

سهير: حتى لو رفضه المجتمع؟

قحطان: حتى لو رفضه المجتمع.

سهير: آه ما أكثر همومي! أتعرف ما حدث معي في غيابك؟

قحطان: ماذا حدث؟

سهير: شيء لا يصدق!

قحطان: خير..

سهير: أجبرني والدي بعنفوانه على قبول الزواج من رجل لا أميل إليه.. كان غبياً تافهاً وجاهلاً، لكنه يملك الملايين.. دفع مهراً يعادل وزني من الذهب.. رفضت ورفضت فلم أفلح.. إلى أن أقسم والدي على زواجي من هذا الرجل أو أغادر مع والدتي المنزل.. قبلت مرغمة ومتخاذلة.. هدتني دموع والدتي المسكينة.

قحطان: وبعد ذلك؟

سهير: في يوم الزفاف شعرت بشيء ما ينفر في عروقي.. كان قلبي ينتقم مني فيخفق بسرعة مع كل أهزوجة أو هزة خصر.. رأيت الجحيم بوجهه فاندلقت من النافذة هاربة.

قحطان: ووالدتك؟

سهير: ثار طوفان من الغضب.. طلقت والدتي، وانطفأت الحياة في أسرتي.

قحطان: وبعدها؟

سهير: جئتك لأحقق ذاتي.. غامرت من أجل سعادتي وحريتي في الاختيار.

قحطان: قد يؤذيك هذا المأفون.

سهير: لست خائفة.. آه التعب ينهكني.

قحطان: **(بعد أن ينظر إلى ساعته)** تأخر الوقت الآن.. ادخلي لترتاحي.. وغداً نحتفل بزواجنا، وننسى كل ما فات.

سهير: كم كان جميلاً لمّ الشمل!

قحطان: لا عليك الآن.

سهير: تصبح على خير.

قحطان: وأنت بخير.

(تدخل سهير غرفة المنزل، بينما يجمع قحطان أدوات عمله، ويستلقي.. تخفت الإنارة قليلاً قليلاً).

المشهد الرابع عشر

(تنار الإضاءة بشكل تدريجي.. مقعد خشبي عتيق.. أجواء تراثية.. يدخل عامر بن الظرب العدواني متوكئاً على عكازه، وتمسك ابنته بيده، وهي من حكيمات العرب، وينزل عامر الفانوس المعلق على الجدار ويضعه على المنضده التي تقابل المقعد الخشبي.. يقوي شعلته.. يجلس، ثم تجلس بجانبه ابنته في الجهة اليمنى. يقف قحطان.. ينظر إلى مرآة معلقة بجانبه بين الفينة والأخرى).

عامر: **(لقحطان)** الضبط الذي أمامي يشير إلى أنك غرّرت بسهير بنت مُصدق.

قحطان: هذا غير صحيح يا سيدي القاضي.

عامر: اعترف، وأرحنا يا قحطان.

قحطان: سهير بالغة راشدة، وهي تحبني وأحبها.

عامر: وهل الحب يسوّغ التغرير بها؟

قحطان: لم أفعل يا سيدي.

عامر: لا بد أن أحكم عليك حكم قاسياً.

(تضرب بعكاز والدها على المنضدة).

عامر: **(بعد أن ينظر إلى ابنته)** طيب كيف عرفت أنها تحبك؟

قحطان: قلبي سمع خلاخيل قلبها وأنينه.

عامر: **(كأنه لم يفهم)** نعم !!

قحطان: من حوار صريح بيني وبينها.

عامر: متى حدث ذلك؟

قحطان: منذ فترة لا بأس بها.

عامر: هذا غير صحيح.

قحطان: بل صحيح يا سيدي، اسألها.

عامر: أنسيت أنني القاضي عامر بن الظرب، حكيم العرب وفارسها؟

قحطان: لك تقديري واحترامي يا سيدي.. لكنني أحبها وتحبني.

عامر: طيب قل لي كيف عرفت طريقها إلى قلبك؟

قحطان: لا أدري!

عامر: لا تثر أعصابي وإلا فحكمي سيصدر قاسياً.

حفصة: **(تقاطعه وتضرب العصا على المنضدة).**

عامر: هل دعوتها إلى حبك؟

قحطان: حبي وحبها تلاقيا.

عامر: مادمت لا تعرف عنوانك فمن دلها عليك؟

قحطان: قلبها.

عامر: **(لابنته)** اعصري رأسي بيديك.. هزّيني لعلي أصبحت ثقيل الفهم.

حفصة: **(تهـزّه)**

قحطان: **(متابعاً)** لتعلم يا سيدي أن المحبين يتواصلون بأساليب قد لا يدركها الآخرون.

عامر: هل جننت؟ أريد دليلاً دافعاً.

قحطان: ما قلته هو الدليل.

عامر: تضحك عليّ ؟! حكمت المحكمة...

حفصة: **(تضرب بالعكاز على المنضدة).**

(يخرج عامر من صدره كتاباً سميكاً.. يُقلب صفحاته ثم ينظر إلى ابنته وإلى قحطان)

عامر: اذهب.. عفونا عنك.

حفصة: **(تضرب بالعكاز).**

عامر: **(غاضباً)** تضربين بالعصا معه وضده!

حفصة: لا تنسَ أنني من حكيمات العرب.

عامر: كما ترغبين **(يضع الكتاب على المنضدة)** كيف استدلت على عنوانك؟ إن أجبت بصدق عفوت عنك.

قحطان: كنت أعمل في بيت جدي الأثري وإذ بها تدخل إليّ.. كيف وصلت؟ وكيف استدلت على مكان إقامتي.. لا أدري! لا أخفيك سراً، لقد فرحت بلقائها، وقدرت موقفها وإرادتها.

عامر: **(يخرج من جيبه لفافة ورقية كبيرة)** وهذا التقدير الذي يثبت إدانتك.. لو أخذت بما فيه من أقوال لحكمت بأقسى العقوبات.

حفصة: **(تضرب بالعكاز).**

عامر: **(يتابع)** علمت أنك غير قادر على تقديم المهر الذي فرضه أهلها.

سهير: (داخلة) لم يرفض يا سيدي وإنما طلب تخفيضه.

عامر: أنت!

سهير: سهير التي تحب قحطان. عرفتني أيها القاضي؟

عامر: أرحب بوجودك، وهي مناسبة لكي تخبريني عن الذي دلك على مكان قحطان، وعن سبب مغادرتك بيت والديك دون إذن منهما..

سهير: قلبي دلني عليه.. ألم تقرأ في الوثائق التي أمامك أنني بالغة راشدة،

ويحق لي أن أختار من يستحقني؟

عامر: إلا إذا كان سيئاً.

سهير: وهل عندك ما يثبت أن قحطان سيئ؟ أنتظر عدلك أيها القاضي.

عامر: (**لقحطان وسهير**) اقتربا إلى هنا (**تقترب سهير، ثم قحطان**) سأعد إلى الرقم ثلاثة، ومن يضع يده قبل الآخر فوق لهب هذا الفانوس لإطفائه يكون الصادق بينكما.. واحد.. اثنان..

حفصة: **(تضرب عدة ضربات ثم تهمّ بالخروج.. تطفأ الأنوار.. يخرج الجميع)**

قحطان: (**يستيقظ من نومه**) بريء.. احكم بالعدل.. أنت قاض معروف.. سهير زوجتي، ولن أتخلى عنها.

(إطفاء آخر.. بقعة ضوء في إحدى زوايا المسرح.. يظهر قحطان مكبلاً ثم يغيب).

المشهد الخامس عشر

(يجلس عدنان مع مجموعة شباب حول مائدة طعام يحتسون الجعة.. في مكان ظاهر من المسرح انتصبت صورة قرد بشكل كاريكاتيري).

رجل1: اشرب.. اشرب يا عدنان.

عدنان: تخدرت أعصابي، ولم أعد أستطيع أن أراك.. دعني أكتب لك عنواني فقد أغيب عن الدنيا، وأترككم تعانون من نار جهنم.

الجميع: (**يضحكون**).

رجل2: (**يعطيه حذاء، ليكتب العنوان**) خذ يا صديقي اكتب هنا.

عدنان: ابعد حذاءك عني وإلا..

رجل2: أنت رجل لا يحب التكريم.

رجل1: **(يبحث عن ورقة في جيبه فلا يجد.. يخلع قميصه ويقدمه لعدنان)** اكتب هنا.

عدنان: لا لن أكتب هنا.

رجل1 : لماذا؟

عدنان: سيصبح عنواني عرضة للنهب والسرقة.

رجل1 : لا ، لا تخف.. اكتب في الطرف الذي يختبئ تحت البنطال.. اكتب لا تخف.

عدنان: لا.. تحت البنطال مشكلة أيضاً ، أخاف أن.. ألا تعرف أن عنواني مقدس؟!

رجل2 : أنت مخدّر جداً.. لعلهم يرسلونك اليوم إلى..

عدنان: (مقاطعاً) قل إلى المقبرة.. لا تخف قل.

رجل1 : مشكلات العصر أكبر من الموت.

عدنان: ولهذا عجز الخمر عن تحقيق مهمته. وما عليكم إلا أن تسبّوا العصر من الأسفل إلى الأعلى ، ومن الأعلى إلى الأسفل. أنا شخصياً أحب أن أسبّ الأسفل.. ألست ذواقة؟!

الجميع : **(يضحك)**

عدنان: على كل حال وجود الخمر أفضل من عدم وجوده **(لرجل1)** اشرب ، فلن تنجلي إلا إذا باع آدم نفسه للشيطان. سأشرب ، وليكن ما يكون.. أنا ملاك وأنت الشياطين.

رجل1 : حتماً .

عدنان: يقول الشاعر : ومازال تشرابي الخمور ولذتي و.. **(ينسى)**.

رجل2 : أحسنت.. كنت سأتابع مثلك.. أنت أحسن شاعر عرفته.

رجل1 : قل أسوأ شاعر.

رجل2 : شكراً يا شلة السكر.

عدنان: **(وقد تعتعه السكر.. يقف على الكرسي)** أحس أنني أطير.. أطير.. أحلق.. وهناك لا توجد حرب ، ولا عداوة.. لا يشعر أحد ببرد ، ولا

بظلم، ولا بشقاء.. حياة جميلة ما رأيكم؟ لعنة الله عليكم ، لم لا تقولون رأيكم؟!

رجل1: تابع طيرانك، وسالحق بك على متن أقرب وأصغر حمار، هاهاها.

عدنان: (**بعد أن ينزل**) دعونا من الطيران الآن، وسأقص عليكم حكاية القرد.. ما رأيكم؟

رجل2: أحلى حكاية.

عدنان: قرر القرد أن يتزوج ثانية من قردة أكثر ثقافة وفهماً، فذهب إلى حديقة الحيوانات ليجد ضالته هناك.. وبينما كان الناس يتدافعون لرؤية القردة.. لمح قردة منزوية في جهة مظلمة، وتحدّث نفسها.. أصاخ السمع لما تقول فدهش دهشة كبيرة، وحملق بعينيه (**يُقلد القرد**) وفتح منخريه، وشنف أذنيه.. هل عرف أحدكم ماذا كانت تقول؟

الجميع: لا.

عدنان: سمعها تقول: إطاعة الزوج ضرورة، والدهاء ضرورة، والزواج ضرورة.

رجل2: والله إنها قردة.

رجل1: صدقت يا صديقي.

عدنان: سُرّ القرد، وأصدر أصوات استحسان (**يقلده**) وهزّ خصره هزتين، وفقش بيديه فقشتين، وشم شمتين، وقبّل قبلتين.

رجل2: وبعد ذلك.

عدنان: هرع وارتدى ملابسه الجديدة، وطلب من حضرتها الزواج.. أتعلمون ماذا حدث؟

الجميع: ماذا حدث؟

عدنان: أخذها بعيداً إلى الغابة، وهناك (**يشرب كأس النبيذ بشراهة**) هناك (**يملأ كأساً آخر ويشرب**) هناك، وبينما كان يستعد لليلة سعيدة طارت القردة على ظهر حصان أعجبت بفحولته. طارت وهي تقول: نتزوج أولاً.. أولاً نتزوج، نشرب.. أو لا نشرب، نكون.. أو لا نكون.

الجميع: (**يضحكون**) هاهاها.

رجل1 : قردة تعرف كيف تُدبر نفسها.

رجل2 : ذكية وملعونة.

عدنان: وفحلة أليس كذلك؟

رجل2 : الفحلة لا تحب إلا الفحول.

الجميع : **(يضحكون)** ههه. ههه..

عدنان: تضحكون عليّ! لن أحدثكم بشيء فأنتم مجانين لا تحبون معرفة شيء.

رجل1 : دعوه يكمل.. سامحكم الله.

عدنان: لا ، لن أكمل.. سأتربع على عرش خمرتي، ولا أهتم بأحد.

رجل2 : ولا بدائن؟

عدنان: ولا زوجة ولا ظالم.. لا أحتاج إلى أحد.. ألست عظيماً؟

رجل2 : عظيم فقط؟

رجل1 : ألم يحضر سلطان اليوم؟

رجل2 : ساعده الله.. ما حدث لسلطان شيء لا يصدق.

عدنان: وما حدث؟

رجل2 : انتقل إلى بيته الجديد.

رجل1 : أين؟

رجل2 : في القبر.

عدنان: وكيف حدث ذلك دون أن يخبرني؟

رجل2 : تعرف يا عدنان.. سلطان رجل فقير ويطمح أن يصبح مثل جاره غنياً وعنده منزل وسيارة وأربع زوجات.. يقضي إجازته في أوروبا.. وينام في أحسن الفنادق.

رجل1 : فقط!

رجل2 : فقط.

عدنان: ولماذا مات قبل أن يحقق رغباته كلها؟

رجل2 : أنت عجول يا عدنان.

المشهد السادس عشر

(صوت سياط.. أصوات متألمة.. موسيقا.. تهدأ الأصوات بالتدريج.. يظهر بائع اليانصيب، وتلاحقه إضاءة خاصة تتركز على يديه ووجهه).

البائع: يا نصيب.. يا نصيب.. مليار بهذه الورقة.. عش حياتك وخذ ورقة يا نصيب.. حسّن وضعك.. بورقة واحدة تتخلص من الفقر إلى الأبد.. اشتر قصراً في أفضل مصايف العالم... هيا.. من يريد ملياراً.. يانصيب.. يانصيب.

سلطان: هات ورقة.. أريد ملياراً.

البائع: خذ. تفضل.. يانصيب.. يانصيب.

المشهد السابع عشر

رجل1: كان يشتري، ولا يربح.. ثلاثون عاماً وهو يصرف راتبه على اليانصيب.

عدنان: وكيف كانت تعيش أسرته؟

رجل1: لم يتعلم أولاده.. كانوا يعملون ليصرفوا على أنفسهم.

عدنان: ماهذا الهوس الذي وصل إلى حد الجنون؟!

رجل1: إصراره على الربح يلفت النظر.

عدنان: ماذا حدث البارحة.

رجل1: بعد أن ودعنا.. وعندما كان عائداً إلى البيت.

المشهد الثامن عشر

(تعاد الإضاءة إلى الزاوية نفسها.. يظهر سلطان مترنحاً)

سلطان: لا راحة لسلطان إلا بالحصول على المليار.

البائع: يا نصيب.. يانصيب.. مليار يا ناس، أسرعوا قبل أن يهرب.. عندنا نتائج اليانصيب.. تعال خذ مليارك.

سلطان: تعال إلى هنا.. خذ هذه الورقة (**يعطيه ورقة يانصيب**) وهات المليار.

البائع: **(يقرأ رقم الورقة ، فتظهر عليه علامات الدهشة).**

سلطان: دقق بالأرقام الرابحة جيداً .

البائع: أنت ربحت المليار **(يرفع صوته)** أي والله أنت الرابح.

سلطان: مليار واحد فقط.

البائع: تريد أكثر.. هات الحلوان يارجل **(يُقبل البائع سلطان)**.

سلطان: **(يصحو قليلاً)** أمتأكد أنني ربحت ملياراً؟

البائع: نعم.. نعم.. ألا تثق بقولي.. اقرأ هنا.

سلطان: **(بعد أن يتأكد)** مليار.. ربحت ملياراً... هاهاها **(يسقط على الأرض)**.

البائع: يا لطيف.. ما بك.. استيقظ يا رجل (يتأكد من نبضه) مات الرجل حقاً.. استيقظ وخذ مليارك يا رجل.. خذ المليار يا غبي.. **(لنفسه)** سبحان الله ربح المليار، ومات.. يا نصيب.. يا نصيب.. يا نصيب **(يغيب الصوت)**.

المشهد التاسع عشر

عدنان: ما فائدة المليار بعد موته؟

رجل2 : لن يستفيد شيئاً.

عدنان: **(يشرب بشكل هيستيري)**

قحطان: **(داخلاً)** كنت أظن أنك ستفكر بأقوالي.

عدنان: قحطان هنا.

قحطان: قم.. قم يا عدنان.. الرجولة أن تعرف كيف تتصرف وتتلاءم، لا أن تنتحر.

عدنان: دعني أنسى يا قحطان.

قحطان: النسيان يماثل الموت.

عدنان: هو راحة وليس موتاً.

قحطان: المواجهة طريق الحياة. هيا.. هيا يا عدنان.

عدنان: إلى أين؟

قحطان: تعال معي، وبعدها تعرف إلى أين. (يشده من يده).

عدنان: اتركني.. أرجوك.

قحطان: هيا.. هيا

عدنان: اتركني دعني أشرب أكثر.. اتركني أرجوك (إطفاء).

المشهد العشرون

(يضاء المسرح وقحطان يتأمل ملامح عدنان، وكأنه استيقظ على صوته)

قحطان: ما بك يا عدنان؟ أيقظتني من نوم عميق؟

عدنان: أحلام تغضبني، وتثير أعصابي.. آخ، جسدي منهك.. كأن آلاف السياط نزلت على جسدي.

قحطان: من ينم كثيراً، ويحلم كثيراً، لابد أن يشعر بما تشعر.

الشرطي: **(داخلاً)** من منكما قحطان؟

عدنان: أنا.. خيراً إن شاء الله؟

الشرطي: تعال معي!

عدنان: توقف قليلاً! ألا تتحمل المزاح؟ ليس هذا قحطان.. أنا قحطان.

الشرطي: لا وقت لدي حتى تسخرا مني.

قحطان: ثق بأني قحطان.. نعم ماذا تريد؟

الشرطي: تفضل معي.

قحطان: إلى أين؟

الشرطي: مهمتي تنتهي عند وصولك إلى قسم الشرطة وهناك تعرف كل شيء؟!

قحطان: أذهب معك دون أن أعرف السبب ؟!

الشرطي: نفّذ دون اعتراض.

قحطان: ما هذا التصرف؟

الشرطي: أنت كثير الكلام.

قحطان: لم أقترف ذنباً، ولم أرتكب جريمة!

الشرطي: ولكن لسانك طويل.

قحطان: حتى ولو قال أحدنا الحقيقة.

الشرطي: تفضل معي بسرعة

قحطان: حاضر

عدنان: لا تذهب. وإن قررت فسأذهب معك.

قحطان: لست خائفاً. يجب أن أعرف ما المشكلة (**يخرجان**).

المشهد الحادي و العشرون

(زنزانة في السجن.. يجلس قحطان في زاوية مضيئة حليق الرأس.. مُقطب الحاجبين.. مربدّ الوجه.. قلقاً حائراً)

قحطان: ماذا أفعل؟ لا توجد إلا القراءة.. هي الفائدة الوحيدة التي أجنيها.. لا حكم، ولا محاكمة، ولسان منعقد، وتفكير متجمد.. أما عن سبب وجودي هنا فــلا يعرفه أحد.

عدنان: (**من خارج المسرح**) ما هذه الفوضى؟ لا يحقّ لكم سجنه، قحطان لم يفعل شيئاً.. هل الصراحة جريمة؟

قحطان: أحسنت يا عدنان يجب أن يصل صوتك إلى الآذان كلها.

عدنان: هل يجرم الإنسان إذا كان جريئاً، ويبحث عن الحقيقة ؟!

قحطان: (وقد شاهد عدنان) أحسنت يا عدنان .

عدنان: (**يزداد صوته ارتفاعاً**) تاريخنا مليء بالجرأة والعدل.. ومن حقنا كأحفاد أن نتبنى هذه القضية، ونتمثلها بسلوكنا.

قحطان: عظيم.. رائع.. رائع.

عدنان: لم ترفضون إخلاء سبيله؟ أليس مواطناً شريفاً! أليس من حقه أن يكون حراً؟

قحطان: أقسم إنني بريء.. وإذا كنتم ترفضون ما أقوم به فسأغير سلوكي.

عدنان: جبنت يا قحطان؟ أهددك أحد؟.. هل توجد ضغوط لا تستطيع ذكرها؟

قحطان: الموت أهون من المذلة.

عدنان: هذا لا يمكن.

قحطان: لا أستطيع العيش دون كرامتي.. يجب أن أتخلص من هذا السجن اللعين.. أين أنت أيها الشرطي؟ أين أنتم؟

عدنان: لن يستجيب أحد لندائك.

قحطان: لماذا؟

عدنان: أعرف طبيعتهم.

قحطان: بل لأنهم لا يملكون جواباً.

عدنان: عندهم أجوبة كثيرة.

قحطان: سكنت ظلال الفكر، وشربت عذب المفاهيم.. ولهذا فإن ثقتي بقدرتي على الإقناع كبيرة.

عدنان: الموضوع لا علاقة له بالإقناع.

قحطان: لا تخذلني يا عدنان.. أسمعني صوتك القوي ثانية. تكلم، لم لا تجيب؟!

عدنان: **(يطرق رأسه ولا يتكلم).**

قحطان: لا تريد أن تتكلم.. لم أعد أرغب بالخروج من هذا السجن.. ألا تردّ على أخيك وصنوك؟

عدنان: هل صرّحت تصريحات معادية؟

قحطان: لا وألف لا.

عدنان: ما الذي قلته بالضبط؟

قحطان: تحدثت عن واقع تداخل الأزمنة والمفاهيم في فكر المثقف، وأشرت إلى ضياع البعض في لجج الغرب، ولا مبالاة البعض الآخر.

عدنان: وماذا أيضاً؟

قحطان: رفضت اللا معقول في حياتنا.

عدنان: أين أمضيت حياتك؟

قحطان: هنا على هذه الأرض.. أكلت من ثمارها، واغتسلت بمياهها، وشربت من زلالها.

عدنان: مشكلتك عويصة.. أخشى أن تطول إقامتك.

قحطان: أريد أن أراك على انفراد.

عدنان: الحواجز سميكة.

قحطان: أوجد حلاً.

عدنان: سأحاول.

قحطان: لا تحزن.. من يدري.. قد يأتي يوم ينحتون فيه تمثالاً لك.

عدنان: من هؤلاء؟

قحطان: بعد أن أموت؟ أو بعد أن أهاجر.

عدنان: لا هجرة من الوطن. إذا هاجر الجسد فلن تهاجر الروح.

قحطان: لكن الهجرة داخل الوطن أشد وأقسى.

عدنان: إذا فعلت ستضيع كما ضاع غيرك.

قحطان: لن أضيع مادمت أسير في الطريق الصحيحة.

عدنان: وما أدراك؟

قحطان: **(بإصرار)** سأهجرها يا عدنان.

عدنان: تشبث بمواقعك يا قحطان.. أدرك الرابط بين ما تبصره، وما تفكر به.. كن قوياً، وارحل داخل المعقول.. عش حاضرك، وأسّس فيه ما استطعت.

قحطان: وهل يفيد التأسيس؟

عدنان: سيفيد.. نعم.. سيفيد.

قحطان: لست متفائلاً.

عدنان: ثق أنه سيفيد.. سأحاول لقاءك ثانية.. لن أتأخر كثيراً.. وداعاً.

(إطفاء، مع موسيقا حزينة وصوت تأوه قحطان ، إنارة متدرجة)

المشهد الثاني والعشرون

محمود: (**داخلاً**) إلى أين؟

عدنان: أنت ؟!

محمود: نعم أنا (**لقحطان**)، كيف أنت يا قحطان؟

قحطان: بخير.. وأنت؟

محمود: كما ترى، أستمتع بحياتي من جهاتها الأربع.

عدنان: ما قصدك؟

محمود: قصدي أن يتخلى قحطان عن مثاليته، وتتخلى أنت عن فلسفتك.

عدنان: لا ، هذا كثير.

محمود: ليس كثيراً إذا عرفتما معاً أنكما تسيئان لبعضكما فتتورطان معاً.

عدنان: خبيث ووغد.

قحطان: دعني بهمّي يا محمود.

محمود: فكر فيما أقول، وستدينان بعضكما فوراً.

قحطان: لم أثق يوماً بأفكارك.

عدنان: أقوالك تُجسد تلوث عقلك.

محمود: خير دليل على صحة أفكاري أنني أعيش كما أشاء، وأعرف متى أقدم، ومتى أحجم.

عدنان: وضميرك؟

قحطان: أي ضمير، وأي توجه؟!

محمود: عندما أقول لك ورّطك عدنان فأنا أعني ما أقول.. وداعاً.

عدنان: سيكون حسابي معك عسيراً.

محمود: افعل ما تشاء (**يخرج محمود**).

قحطان: ما أسخف هذا الرجل!

عدنان: إياك أن تفكر بأقواله، يريد أن يدس السم بالدسم.

قحطان: لم أعد أعرف كيف أفكر.

عدنان: سألقاك ثانية.. وداعاً.

قحطان: مع السلامة.

المشهد الثالث والعشرون

(إطفاء.. إضاءة متكررة.. يبدو قحطان حالماً)

سهير: قحطان.. أين أنت؟

قحطان: **(متنبهاً)** سهير.. كيف حالك؟.. لا أريد أن تريني هنا.

سهير: لا عليك يا عزيزي.. خذ ، هذا الطعام طازج.. أما اشتقت لطعامي؟

قحطان: لست مشتهياً.

سهير: يجب أن تأكل.. الجوع يضعف تفكيرك وجسدك.

قحطان: لست جائعاً.

سهير: لا بأس بعد قليل ستجوع حتماً.

قحطان: ما أخبارك؟

سهير: أتابع العمل في بيت جدك.

قحطان: وتستطيعين؟

سهير: سهير تعلمت منك كل شيء.

قحطان: رائعة يا سهير.

سهير: سيعود كل شيء كما كان.

قحطان: سراب يا حبيبتي.

سهير: لا تشوه أملي، وتقتل أحلامي.

قحطان: قراري ناتج عن حيثيات واقعية.

سهير: يا زوج المستقبل، لكل شيء نهاية.

قحطان: ما أخشاه أن تكون نهايتي محزنة.

سهير: لا.. لا يمكن.. سنحقق أحلامنا.. منذ الآن لن أغادر السجن حتى تخرج معي.

قحطان: ألا يكفي واحد؟

سهير: سأذهب، وأقيم الدنيا وأقعدها.. سأطرق أبواب المسؤولين كلهم.

قحطان: قد ينتقمون.

سهير: لن يحدث ذلك ما دمت على قيد الحياة.. وداعاً.

قحطان: لا تتأخري أرجوك.

سهير: لا تخف.. سأعود بسرعة **(تخرج)**.

المشهد الرابع والعشرون

(يمكن استخدام خيال الظل)

عامر: (**متفجراً**) أفّ. أكاد أجن. لم أعد أفهم شيئاً.. كل شيء قد تغير.

حفصة: على رِسْلك يا أبي.

عامر: لم أشعر بهذا النزق والضيق منذ أعوام.

حفصة: الأهم من ذلك الجريمة، وما ستجرّه من آلام.

عامر: كلما أمسكت الخيوط، وعزمت على الفصل ضاع خيط أو أكثر.

حفصة: هذا يعود إلى كثرة الأسباب والمنغصات.

عامر: أخبريني بصدق يا حفصة هل تتعاطفين مع قحطان؟

حفصة: الحكمة تدعوني إلى التريث والتمحيص في إعطاء الرأي.

عامر: وسهير؟

حفصة: الموقف لا يختلف يا والدي.. والآن أرجوك ساعدني لإيقاف الجريمة.

عامر: بي رغبة جامحة لكي أفعل شيئاً.. ولكن ما يحدث لا يتعلق بي فقط.

حفصة: صدقت يا أبي، لكن الألف ميل يبدأ بخطوة.

عامر: وهذه الخطوة تكون بفعل الوعي ومعرفة كل ما يدور حولي، وهذا لا أقدر عليه، فعصري غير عصرهم، وزمني غير زمنهم؟

حفصة: الجريمة خطيرة والعاقبة (**تتوجه إلى الجمهور**) أرجوكم ساعدوني.. تعالوا معي نفعل شيئاً.. تعالوا.. تحركوا أرجوكم.

(تصرخ، ثم تضع يدها على رأسها مُتألمة).

عامر: حفصة.. ابنتي ما بك.. أجيبي؟

(إطفـاء)

المشهد الخامس و العشرون

(إضاءة المسرح بكامله.. عودة إلى منزل عدنان).

قحطان: ما أسعدني يا عدنان!

عدنان: قحطان (يضمه إلى صدره) أنا سعيد لخروجك من السجن.. طال غيابك عني كثيراً.

قحطان: ها أنذا بين يديك.

عدنان: ما أرجوه أن تكون قد نسيت.

قحطان: قل تناسيت من أجل ما هو أهم.

عدنان: ما أخبارك؟ وما مشاريعك؟

قحطان: لو أخبرتك تشاركني؟

عدنان: هذا يرتبط بقناعاتي..

قحطان: لا بأس.. أين الشاي؟

عدنان: الشاي جاهز.. تفضل (**يصب له فنجان شاي**).

قحطان: (**يشعل سيجارة**).

عدنان: صرت مُدخناً.

قحطان: ولكنك معي في العمل من أجل المستقبل.

عدنان: سأساعدك إن أردت.

قحطان: أكون جد سعيد.

عدنان: سنعمل معاً لتحقيق ما نريد.

قحطان: ومن بداية البداية.

عدنان: المهم أن نبدأ.

قحطان: وعندها نحس بمشروعية حياتنا.

عدنان: تعال أضمك إلى صدري.

قحطان: لا.. ليس الآن.

عدنان: خذلتني يا صديقي.

قحطان: سامحني أرجوك.

عدنان: (**يطرق رأسه مفكراً**).

قحطان: عندما نبدأ العمل.. نحاول إزالة التكلس.. ولعلنا نحس بإشراقة شمس النهار.

عدنان: وتتخلص من الخوف والقلق.

قحطان: أرجو ذلك.

عدنان: أنبدأ العمل؟

قحطان: فوراً.

عدنان: كيف؟

قحطان: اخلع جلدك فلم يعد يناسب العصر.

عدنان: أيعقل ما تقول!

قحطان: البس جلد العصر.. تكيّف مع الواقع بحيث تتغلب عليه في النهاية.

عدنان: حاضر.. سأفعل.

قحطان: هذه ربطة عنق جديدة تناسب مظهرك الجديد.

عدنان: وربطة عنق أيضاً؟

قحطان: تتمة المظهر.

عدنان: لم أتعودها من قبل.

قحطان: ستتعود (**يضع قحطان الربطة في رقبة عدنان، ويشدها بقوة**).

عدنان: آه.. لقد خنقتني.. تمهل قليلاً.

قحطان: (**يشد الربطة أكثر**) لا تخف بعد قليل لن تشعر بهذا الألم.

عدنان: تمهل يا قحطان، أكاد أختنق (**يمسك عدنان بربطة عنق قحطان، ويشدها بقوة أيضاً.. ثم يسقط الاثنان مغمياً عليهما بينما يتعالى صوت السياط**). (**موسيقا.. تسليط قوي على عدنان الذي يقف متثاقلاً، وكأنه استيقظ من حلم طويل. يتنفس الصعداء.. ينظر إلى ساعته.. بقيت ساعة لبدء الدوام.. يستعد للخروج.. يرن جرس الهاتف**)

عدنان: ألو، من؟

محمود: صباح الخير.

عدنان: أهلاً محمود.

محمود: هل أنت مستعد؟

عدنان: بعد خمس دقائق أكون جاهزاً.. سأنتظرك، لا تتأخر.. مع السلامة.

(**موسيقا.. إطفاء**)

(**انتهت**)



مسرحية

بروفة جنرال

مصطفى صمودي*

(من مهام المؤرخ نقل الواقعة بحرفيتها للأمانة العلمية شكلاً وفحوى. لكن حين يأخذها الكاتب يحاول تقديمها بتصرف واعٍ يطال الشكل بغية وصوله إلى ما يبتغيه من غير أن يمسّ جوهرها).

الشخصيات:

مخرج / رسول / اسحق / زرياب / جوقة / ...

(الجوقة تعقب على بعض أقوال اسحق و زرياب . و حين تعقيبهما يصمتان وتتوقف حركتهما التي كانا عليها قبل التعقيب و كأن ريموت كونترول قد أوقفهما . وبعد تعقيب الجوقة يتحركان من جديد).

المكان والديكور: ما لدى المخرج من إمكانات كون العرض بروفة جنرال وبإمكان ممثل دور زرياب أن يكون أسمر أو أبيض لأن زرياب كان أسود اللون.

مشهد 1

المخرج: (**لفريق العمل**) أعتقد أن كل شيء قد صار جاهزاً . اسمعوا. صحيح أننا الآن في بروفة جنرال، وعرضنا على المسرح غداً. لكن أرجو أن يُظْهِر كلٌّ منكم ما لديه من قدرات أدائية و كأنّه يمثل أمام جمهورٍ غفير من الناس . هيا لنبدأ قبل أن يداهمنا الوقت الجميع حاضر (**يخرجون**)

* شاعر و وكاتب مسرحي وباحث .. له مؤلفات كثيرة في مختلف الاجناس الأدبية الإبداعية .. موسيقي يجيد العزف غلى اكثر من ألة موسيقية كما أخرج لمسرح الكبار والصغار عدداً من العروض المسرحية حيث حقق بعضها جوائز في مهرجانات مسرحية سورية .. كما فاز بجوائز عديدة في مسابقات ادبية للنص المسرحي وجوائز على مستوى التمثيل .. يراس فرع اتحاد الكتاب العرب في مدينة حماة ..

مشهد2

زرياب: (**في بيته بعد عزفه مقطوعة على عوده**)

الله الله !! فطرني الله على عشق الموسيقا ، لأنها تعبير عن اللامتناهي وتخاطب الجزء الخالد فينا . كان أفلاطون مُحِقاً عندما طالب الشباب بتعلُّم الرياضة والموسيقا . الرياضة لتقوية أبدانهم ، والموسيقا لصقل مشاعرهم.

(**يُدَق الباب**) .. أدخل.

رسول: (**يدخل**) صباحك فلُ يا سيدي.

زرياب: صباحك ورد. أهلاً برسول اسحق ، و بكل من يأتي من طرفه.

(**يدعوه للجلوس**) .. تفضّل

رسول : زاد الله فضلك.

زرياب : خيراً؟!

رسول: الخير فيما اختاره الله. أرسلني إليك سيدي اسحق، لأبلغك أنه يريدك حالاً.

زرياب: حالاً؟ ما السبب؟!

رسول: والله لا أعلم يا سيدي. ما على الرسول إلاّ البلاغ.

زرياب: حسناً. أبلغه تحياتي، سآتيه فوراً.

رسول: أمرك يا سيدي.

زرياب: الأمر لله. مع السلامة (**يتساءل زرياب**) يريدني حالاً؟! إذاً لا بد من أن يكون هناك أمرٌ هامٌ لا يحتمل التأجيل. سأنطلق إليه فوراً (**يخرج**)

مشهد 3

المخرج: **(يخاطب الجوقة التي ماتزال في الكواليس)**. ادخلوا و خذوا أماكنكم ريثما يصل زرياب إلى بيت اسحق

(بعد أخذ أماكنهم يأخذ المخرج أيضاً مكاناً في عمق المسرح. ويبدأ المشهد ..)

المخرج: لنبدأ بالمشهد الآخر.

مشهد 4

(المكان بيت اسحق. يستقبل زرياب من الباب)

اسحاق: أهلاً بالفنان الظريف ، وصاحب الحس الشّفيف . يا مرحباً بزرياب اللطيف الأليف ، وصاحب الدَّمِ الخفيف.

زرياب: أهلاً بك يا معلّمي اسحق . لقد أخجلتني

اسحق: الأوصاف التي ذكرتُها عنك ،أنت تستحقها . هي طبع متأصّل فيك . والطبع يغلب التطبّع

زرياب: شكراً على إطرائك يا معلمي . وأرجو أن أستحق بعضه.

اسحق: لا لا. هذا ليس إطراءً ولا مجاملة . إنه توصيف حقيقيّ لك وبشهادة الجميع. يا زرياب ما قصدتَ مجلساً ، إلاّ ومدحَ كلُّ من كان فيه فنَّك الرفيع، وذوقك البديع ، وحضورك السنيّ البهيّ، وعزفك وأداءك الرائعين اللّذَيْن قلّما يجتمعان في فنان. أنت بحق كما يقولون: مجموعة فنانين في واحد.

زرياب: هذا لطفٌ منك ومنهم . وكل ما أملكه من إمكانات كان بفضل والدك عليّ. وبفضلك أنت عليّ أيضاً.

اسحق: لا يا زرياب. التربة لا تخرج الثمرة من الشجرة . لكنها تؤمن للشجرة البيئة المناسبة لتظهر ما بداخلها. والمعلم أيضاً قد يُسارع في خلق موهبَةِ طالبه ويختصر له الزمن . لكنه لا يستطيع أن يخلق فيه الموهبة. الموهبة تُخلق مع الفنان بالفطرة منذ الولادة . تُخلَق ولا تُصنع ، ثم تصقل بالممارسة **(يغيّر الحديث)**.. لندخل في المهم . هل تعرف لِمَ أرسلت في طلبك؟!

زرياب: لا والله.

اسحق: قل لي. ما عندك من أخبار؟

زرياب: الأخبار عندك يا معلمي.

اسحق: إذاً. اضحك في عبّك.

زرياب: **(مستغرباً)** خيراً؟!

اسحق: اضحك أوّلاً. لقد أرسلت في طلبك لتضحك وتفرح . ولن أخبرك بالمفاجأة حتى اسمَع صوت ضحكاتك. اضحك يا زرياب . أتعلم أن اسمي اسحق مشتقّ من الضحك؟ "يتِسْحَق".. يعني اسحق. يعني يضحك واللفظ متقارب..

(يحاول إضحاكه بنديّة ووديّة) .. اضحك.

زرياب: **(يضحك و مع تشجيع اسحق له يضحك أكثر وأكثر حتى تصل ضحكته إلى القهقهة فيتلمّس خاصرتَيْه)**. أخ. والله أضحكتني من أعماق قلبي. هذه أوّل مرة أضحك ولا أعرف لماذا ، ولا على ماذا ! ولا من أجل ماذا!! صرت مثل الذي يضحك أولاً ، ثم سمع النكتة ثانياً.

الجوقة: **(كما نوّهنا يتسمّر الممثلان بالحركة التي كانا فيها حين تعقيب الجوقة حتى نهاية حديثها ثم يتحركان بعد تسمّرهما وانتهاء الجوقة من تعقيبها)**.

بداية مسرحيتنا ، شأن البدايات كلها. تبدأ بالوديّة والنديّة لانطلاقها من نقطة الصفر. و الصفر ينتمي إلى الوجود ، لأنه غياب الوجود.

اسحق: لك عندي مفاجأة كبرى. أتعرف ماهي؟

زرياب: لو كنت أعرفها . ما سألتك عنها.

اسحق: تهانينا يا زرياب.

زرياب: على أيّ شيء؟!

اسحق: لن أخبرك قبل أن أختبر حَدْسك. لأني أعرفك ذكيّاً لمّاحاً ألمعيّاً تلقطها على الطاير بل تلقطها قبل أن تطير. هذا هو عهدي بك منذ أن عرفتك.

زرياب: لو لَمْ أعرض عليك فكرة إضافتي وتراً خامساً للعود . لقلت : إنك أرسلت في طلبي لتهنئتي على هذا الاختراع الذي لم يسبقني إليه أحد.

اسحق: إذاً جهّز نفسك غداً.

زرياب: إيه! شوّقتني لمعرفة السبب!!

اسحق: **(كمقدمٍ عصريٍّ يقدم فناناً في حفلٍ فنيٍّ)** زرياب سيكون غداً ، عازفاً و مطرباً في قصر مولانا هارون الرشيد. الله الله !

(يصفّق فرحاً و تصفق الجوقة معه و يمكن استغلال الجوقة في كل مشهد إذا استدعى الأمر ذلك مثل يا سعده، يا هناه...)

زرياب: **(يفاجأ)** أنا يا معلمي؟!

اسحق: نعم أنت.

زرياب: **(فترة صمت)** وحدي؟!

اسحق: **(أكثر فرحاً)** لالا. سنكون معاً في هذا الحفل المَهيب **(لا يبدو على زرياب علائم الفرح الذي توقعه)** غريب أمرك يا زرياب. ردّة فعلك لا تتناسب و روعة ما أخبرتك به. لم تظهر الفرحةُ عليك، ولم تلامس البسمة شفتيك . توقعت أنك ستطير من الفرح، عندما أفاجئك بهذا الخبر السارّ، الذي يحلم به الكبير والصغير، والمغمور والشهير ..

الجوقة: انتبهوا إلى العدّ التصاعدي أو التنازلي. سمّوه ما شئتم. لن نختلف بشأن التسميات المهم التركيز على الواقعة. تابعوا معنا.

زرياب: و مولانا الخليفة مع من أرسل في طلبي؟

اسحق: معي أنا.

زرياب: ومن طرح اسمي عليه ؟!

اسحق: أيضاً أنا **(يظهر عليه عدم الرضا)** أتُحقق معي يا زرياب. ؟!

زرياب: أستغفر الله يا معلمي .

الجوقة: **(يتسمّر الاثنان)** بدأت تتعقد الأمور . وتغيب علامات الحبور والسرور

اسحق: (**يتحركان**) يا زرياب. الآلاف يتمنّون أن تطأ أقدامهم أعتاب قصر مولانا الخليفة. بل هم جاهزون لتقبيل أقدام من هم أقل منه شأناً ، و يَرْجونني أن أذكُرَهم وَ لَوْ عَرَضاً أمامه أو أمام وزرائه وأعيانه وحاشيته.

زرياب: لِكُلٍّ قناعته يا معلمي.

اسحق: فاجأني موقفك يا زرياب.

زرياب: هل يسمح لي معلمي أن أشرح له وجهة نظري؟

اسحق: (**بانزعاج**) تفضل واشرح.

زرياب: يا معلمي. أشدّ الناس حرصاً على كرامته ، أشدّهم حرصاً على كرامة سواه. والعظيم هو من تشعر بحضرته أنك عظيم.

اسحق: ما المعنى من قولك هذا؟!

زرياب: الخليفة على الرأس والعين. طلبه لا يُرَدّ ، وأمره لا يُعصى . وأنت معلمي، أنا خادمك ورهن إشارتك. ولك الفضل عَلَيّ ما دمتُ حيّاً . لكن يا معلمي أنا لا أرغب بالغناء في قصور الأمراء والوزراء. وعذراً منك على صراحتي.

اسحق: ما الذي جعلك تأخذ مثل هذا الموقف؟!

زرياب: يا معلمي. إن كانوا سعداء، عليّ أن أفرح من أجلهم ولو كنتُ حزيناً. و إن كانوا غير سعداء، عليَّ أن أحزن لحزنهم وأقتل فرحي في داخلي إرضاءً لهم. يعني دائماً هم الصوت ونحن الصدى. هم الأصل و نحن الظّل. هم الملوك ونحن البيادق.

اسحق: أف أف! هل صرت فيلسوفاً عليّ؟!

زرياب: أستغفر الله يا معلمي . كان من الواجب أن أكون مستمعاً لا متكلّماً أمام حضرتك. لكن شرحت لك وجهة نظري ليس إلاّ.

اسحق: (**مؤنباً**) التكبر قتّال يا زرياب.

زرياب: تكبّر؟! على من أتكبر؟! أعَلى مولانا الخليفة ؟حاشى لله. فأنا واحد من رعيته. لي ما لهم وعليّ ما عليهم. أَ أؤدّي أضعاف واجبي و أسامح بحقي. أ أتكبر عليه؟ أم – لا سمح الله - أتكبر على معلمي الذي له من الفضل عليّ ما يجعلني أكون مقصراً على ردّ جميله مهما قدمت له من أفضال حتى لو فديته بحياتي؟ العين لا تعلو على الحاجب.

اسحق: **(يتأفّف)** محيّرٌ أمرك.

زرياب: أنا يا معلمي؟

اسحق: **(ساخراً)** لا. أنا.

زرياب: عفواً يا معلمي. إن كان بالإمكان إعفائي من هذه المهمة ، فأنا شاكرٌ لك تفضلك عَليَّ . وإن لمْ يكنْ بالإمكان، فأنا شاكرٌ لك في الحالتين. ومستعدّ لتنفيذ كلّ ما تأمرني به لتكون راضياً عني.

اسحق: **(منزعجاً جداً)** الحق عليّ لا عليك . ولو كان بإمكاني التراجع بعد أن سمعت منك ما سمعت، لفعلت ذلك فوراً . لكني وعدت الخليفة بأن أسمِعَهُ فنّك شخصيّاً .. فما العمل؟

زرياب: لا تغضب يا معلمي. تلميذك رهن إشارتك. سأفعل كلّ ما تأمرني به. فصلّ وأنا ألبس.

اسحق: **(بانزعاج)** هات العود واسمعني بعض ما ستُغنّيه في حضرة مولانا الخليفة. عكّرت صَفْوَ مِزاجي يا زرياب.

مشهد 5

المخرج: **(يتدخّل)** جميل. لا داعي لسماع ما سيغنّيه زرياب في القصر . وسيُترك ذلك لإبداعاته التي تتناسب والجلسة . لنبدأ بالمشهد الذي يليه بعد أن استدعى اسحقُ زريابَ إلى بيته ثانية. وأعجب الخليفة بزرياب أيّما إعجاب. واحد اثنان ..

مشهد 6

زرياب: **(يدخل فرحاً ويقف عند الباب)** مرحباً يا معلمي **(اسحق لا يرد السلام. يلحظ زرياب انزعاجه فيعيد إلقاء السلام)** مرحباً يا معلمي **(اسحق لا يرد)** هل يسمح لي معلمي بالدخول؟

اسحق: **(بجلافة)** ادخل.

الجوقة: بدأ اشتعال الفتيل . ليغيب من بعده كلّ جميل .

زرياب: **(يقترب من معلمه مستفسراً)** خَيْراً ؟ أراك على غير عادتك ! استقبالك لي الآن لا يتناسب واستقبالك السابق!! هل حدث أمرٌ طارئ يا معلّمي؟!

اسحق: (**غاضباً**) نعم حَدَث.

زرياب: هل بإمْكان خادمك المتواضع مساعدتك؟

اسحق: كيف يساعدني، من كان هو السبب ؟!

زرياب: نعم؟! من كان هو السبب ؟! لم افهم مارمَيْت إليه !!

اسحق: أنت تعرف و تحرف.

زرياب: قسماً عظماً لا أعرف شيئاً . أرجوك . أوضح لي السبب (**خائفاً**) هل بدر مني وأنا في حضرة مولانا الخليفة أمرٌ لا يُرضيه؟!

اسحق: لا لا . أنت لم تُسِئ إلى الخليفة

زرياب: (**يرتاح قليلاً**) الحمد لله. طمّأنتني. خلصنا من أصعب الأمور وأخطر الشرور . كل شيء إلاّ هذا . طيب. هل قمت بتصرف لا يُرضِي حاشيته؟

اسحق: أنت لم تُسِىءْ إلى الخليفة . لكنك أمام الخليفة. طعنت معلّمَكَ في الصميم

زرياب: أنا يا مُعلّمي ؟!

اسحق: نعم أنت.

زرياب: أعوذ بالله !. لا يمكن أن أتصرف بشيء لا يُرضيك ولو أدّى بي ذلك إلى قطع هذه الرقبة. أي والله. ما هو الموقف الذي أخطأت به معك؟ .

اسحق: (**يقلده ساخراً**) من قال لمولانا الخليفة : هل تريد أنْ أُسْمِعك ماكنت تسمعه من غناء ؟ أم تريد أن أسْمِعك ما لَمْ تسمعه من قبل ؟ من قال له ذلك؟!

زرياب: (**ببراءة**) أنا يا معلمي .

اسحق: (بالسخرية نفسها) ومن قال له أيضاً : إذا أردت أن تسمع جَدِيداً في الموسيقا ، فاسمح لي يا مولاي بالعزف على عودي الخاص ؟!

زرياب: أيضاً أنا يا معلمي. أين يكمن الخطأ فيما قلت؟ أنت تعرف أن هناك حالة من الألفة بين الآلة والعازف. عودي صديقي ، تعوّدت عليه . وقولي هذا ليس بجديد. كثيراً ما كنت أقول. العود قطعة خشبيّة مصنوعة بطريقة فنية. الإبداع بداخله. لكنه بحاجة إلى عازف ماهر لإظهار ذلك

الإبداع . وجلستنا بحضرة مولانا الخليفة خير مثال على ذلك ، ولو أني كنت أعزف على غير عودي ما استطعت أن أسلطن . وأنت خير من يدرك ذلك. لم أترك مقاماً موسيقيّاً إلاّ و مررتُ عليه. آباءً و فروعاً . راست .. نهاوند .. سيكاه...إلخ مستعرضاً إمكاناتي في مقطوعة لا تتعدى بعض أبيات من الشعر. وكانت على ما أعتقد وصلة غنائية تليق بمقامكم ، و بمقام مولانا الخليفة وصحبه الأجلاّء. توقعت يا معلمي أنك ستشكرني على ما قدّمت من تميّزٍ سر به الخليفة و سرّ به أيضاً كل من حضر . وبخاصة عندما ختمتها بمقام النكريز.

اسحق: (**ساخراً**) أيوه. النكريز! لم يخطئ من سماه نكريز .. لأنه يُنَكْرِزْ . بالنكريز نكرزني أكثر يا زرياب

الجوقة: نحن لانفهم بالأنغام وبالمقامات التي ذكرها (للجمهور) مثل بعضكم. لكننا نستطيع أن نستشف من حديثه ، أن كل من كان حاضراً في الجلسة قد دُهش بإمكاناته عزفاً وأداءً.

اسحق: (**معاتباً ومذكّراً إياه بموقفه من الغناء في قصور الأمراء**) على أساس أنك متعفّف وترفض الغناء في قصر الخليفة و في قصور الأمراء والوزراء. كما كنت تتبجح!! ها قد ناقضت نفسك بنفسك بدليل أنك في الجلسة لم تتوقف عن الغناء حتى مطلع الفجر.

زرياب: هم طلبوا مني أن لا أتوقف يا معلمي.

اسحق: حجّة واهية .. كان لديك بذلك ثلثا الخاطر في ذلك. لو لم تكن لديك الرغبة لتوقفت واكتفيت بمقطوعتَيْن أو ثلاث. ولم تغن بكل حواسّك وجوارحك.

زرياب: اسمح لي أن أبين هنا نقطة من الأهمية بمكان . ما قلتَه عن لساني بشأن الغناء في قصور الأمراء. وهذا رأي من قبلُ ومن بعد . لكن يا معلمي ، حتى عندما يُوضعَ الفنان تحت أمرٍ واقع ، عليه أن لا يكون آلة تعزف على آلة. بل عليه أن يكون فناناً يعزف على آلة. ألم تسمع الثناءآت التي انهالت عليّ؟ (**يذكر ما قالوا**) الله الله يا زرياب، أداؤك رائعٌ يا زرياب. أسكرتنا من غير خمر يا زرياب. ورابع وخامس وعاشر. وهذه الثناءآت تعطي الفنان دفعاً آخر إضافة إلى إمكاناته ليزداد عطاؤه . ولو كنت

مكاني لفعلت ذلك مثلي. وهذا ما جعلني أمُرّ بحرفيّة فنيّة عاليةٍ حتى على كثير من المقامات الفرعية. والذي جعلني أقدم وصلتي بتلك الحرفيّة الفنية، هو قول الخليفة لي وكان بغاية السرور لقد سمعنا منك، أكثر مما سمعنا عنك.

اسحق: (**منفعلُ جداً**) لا تكمل. لا تكمل (**كالجريح**) أخ! لقد ذبحت معلمك من الوريد إلى الوريد

زرياب: ليَقطع الله لساني إن قصدت بذلك الإساءة إليك. حاشى لله. على كلٍّ، أعدك بأنّي لن أعيد مثل هذه الجلسة مرة أخرى.

اسحق: (**هازئاً**) لن تعيدها مرة أخرى؟! هِه!! قال مرة أخرى!! ليكن بعلمك أنك لن تحظى بجلسة مثلها حتى لو تعلقتَ بحبال الغيم. حلمك هذا ، حلم إبليس في الجنة . و حتى لو طلب مني الخليفة استدعاءك ثانية. فسأقدّم له كل الأعذار ولن أدع قدمك تطأ عتبة قصره ثانية. اسمع جيّداً ما سأقول و افهم مغزاه؟ المزرعة لا تحتمل ديكَيْن، و القلب لا يتّسع لاثنَيْن والقصر لا يمكن أن يضم فنانَيْن.

الجوقة: أووه!. احتدم الصراع . لكنه صراعٌ من طرف واحد .ألم تسمعوا تحذير قول إسحق؟ القصر لا يمكن أن يضم فنانَيْن. ولهذا القول أبعاده الخطيرة أجل الآن، قُلِبَتِ الوديّة والندية، إلى عداوة وكيديّة .

اسحق: هذا فراق بيني وبينك.

زرياب: (**وقد أدرك ما رمى اسحقُ إليه**) آآآآه. الآن فهمت سبب تغيّرك بشأني يا معلمي. ليتني بقيتُ مُصِرّاً على موقفي ولَمْ أذهب معك إلى قصر مولانا الخليفة . أصلاً أنا لمْ أذهب إلاّ حبّاً بك وبناء على رغبتك وإصرارك. أنا مستعدٌّ أن أخسر العالم كله من أجلك ولا أخسرك يا

اسحق: (**مقاطعاً**) خُطَّ الفصل واُلغي الوصل. ساعات معدودات لك في بغداد. بعدها. إن رأيتك فيها. سترى أشياءً لا تسرّك.. بل أشياء لا تتوقعها. وأنت تعرف أنه لي اليد الطولى في القصر وخارجه. وما أريده يكون. إن لم تبتعد عن بغداد طوعاً ، أتعرف ماذا سأفعل؟

زرياب: ماذا ؟!

اسحق: **(بحقد وتشفّي)** سأبعدك عنها قسراً. ولو احتاج الأمر إلى محوك وإزالتك عن الوجود.

زرياب: يا لطيف! ماذا أسمع؟! أإلى هذا الحد وصل بك الأمر يا معلمي؟! تلميذك المحب الوفي المخلص لك، تفعل ذلك معه من أجل جُنْحَةٍ لا جِناية تصورتها أنت وحدك؟!!

اسحق: **(مهدّداً)** كفى ثرثرة. إنذاري وسمعتَه . ساعاتٌ معدوداتٌ لك في بغداد. بعدها والله العظيم. وأُعِيْدُ اليمينَ ثانية ورابعة وخامسة وعاشرة. إن وجدتك فيها سأمحوك من خارطتها. هل بُلِّغت؟

زرياب: **(مستعطفاً)** أرجوك أن تقبل عذري يا معلمي. والله كل ما خطر ببالك، نِيَّتي غير ذلك. أرجوك يا معلمي.

اسحق: **(يقاطعه متوعّداً)** ولا كلمة **(يحاول زرياب الكلام للاعتذار فيمنعه اسحق)** ولا حرف **(مهدّداً)** نفذ ما أمرتك به فوراً وإلاّ **(صارخاً)** اخرج من بيتي. اخرج **(يخرج زرياب خائفاً حزيناً)**

الجوقة: دخل ابليس، وحَمِيَ الوطيس . وقضي الأمر الذي فيه تستفتيان.

مشهد 7

المخرج: **(يصفق)** عظيم **(يخاطب زرياب)** زرياب . تفضّل وأَدِّ المنلوج الذي تُفرِّج به عن مكنون ذاتك ، محتجّاً على الظلم الذي حاق بك ، وأجبرك على هجر وطنك

الجوقة: **(تغني)** / سكابا يا دموع العين سكابا / و / يا دنيا .. راحو الغوالي يا دنيا /

زرياب: **(بعد انتهاء الجوقة تسلط الإضاءة على زرياب حزيناً مُجْهَداً عَبْر صحراء جَرداء يحمل عوده)** ليتني قبل مغادرتي بغداد أخبرت مولانا الخليفة بما حصل معي بأي وسيلة كانت، لعله يجد لمشكلتي حلاً **(يراجع نفسه)** لا لا الأفضل عدم إخباره. أصلا لو كان يَهُمُّهُ أمري لسأل عني، ولم يسمح لي بترك بغداد. نعم عليه أن يسأل هو عني، لقد قال لي قبل وداعي إيّاه: ستكون مطرب قصرنا يا زرياب **(يتراجع)** ترى!! أليس من الممكن أن يكون قد سأل عني، واسحق سَوَّف له الموضوع ، وقدّم له على لساني أعذاراً كاذبة ما أنزل الله بها من سلطان؟ ممكن. لالا. ليس ممكناً بل

أكيد . اسحق قال ذلك. بعظمة لسانه إن يده طائلة في القصر وخارجه. وإنه سيجد للخليفة كل الأعذار لمنعي من لقائي بالخليفة ثانية. يعني لا يمكن أن تصل شكواي إليه مهما حاولت. على كلٍّ، حصل ما حصل وانتهى الأمر (**يتنهد و الجوقة تقوم بحركات صامته كالندب مع حديث زرياب**).

الجوقة: ليس هناك أقسى من هجر الإنسان وطنه قسراً (**تردد الجوقة لصوت خفيض سكابا مع حديث زرياب**).

زرياب: بغداد. أنا تركتك. لكن أنت لم تتركيني . ابتعدت عنك لكن لم تبتعدي عني. بل اقتربت مني أكثر. تركت فيك أحبة وأهلاً وصحباً. حملتك في ذاكرتي أينما رحت وحيثما حللت. طردني منك أعزّ إنسان لدي. تركتكِ مُكْرَهاً يا قرّة العين، يا سُرَّة الأرض. يا مهد الحضارات. يا دُرّة الفرات. يا درة الله يا بغداد. يا جنّة الله في أرضه. بغداد يا بغداد أوْدى بيَ الحساد. تاهت بيَ الأبعاد . أنت الهوى والزاد يا بغداد (**يغنّي على نغم الصّبا**) يا نبض القلب ونبض الروح. في الأرض يسوح، مظلوم مجروح، دمه مسفوح. بالحب يبوح، يبكي وينوح ي ب ك ك ي ي (**تختنق الكلمات في فمه و تطفأ عليه الإضاءة**).

مشهد8

المخرج: رائع يا زرياب (**يخاطب اسحق**) جاء دورك يا اسحق. ماذا ستقدّم لنا بعد أن فعلت بزرياب ما فعلت. وكن رائعاً في أدائك كروعة أداء صديقك

الجوقة: (**ممكن للمخرج أن يوزع الجمل على أفراد الجوقة**) كثيراً ما يحيق الظلم بأصحاب المواهب. و تعود على أصحابها بالضرر، بدل أن يُكرَّموا من أجلها. لا لشيء سوى أن الحقود الحسود الأقلّ إمكانية. يحاول ما أمكنه ايقاع الضرر بخصمه، ولو أدى به الأمر إلى إنهائه فنائه.

المخرج: (**متابعاً**) أسمعنا صوت نداء ضميرك بعد أن طَرَدْتَ من بغداد زرياب الذي أُعْجِبَ الخليفة بفنه أيّما إعجاب أدِّ الدور بحرفيّة كما أدّيت منذ فترة دور سعيد بن جبير قبل قتله على يد الحجاج، كان مشهداً رائعاً صفّق لك الجميع و قوفاً لأنك أبهرتهم بأدائك الصادق. عش حالة دورك من الداخل وابدأ.

مشهد 9

الجوقة: ترى!! هل هذه بداية النهاية. أم هي نهاية البداية. ننتظر إجابتك.

اسحق: (**الإضاءة تسلط على اسحق**) لو لم أطرد زرياب من بغداد، لَمَحاني من ذاكرة الخليفة وَحَلّ مَحَلي وصار مطربَ القصر الأول. و ربما الأوحد لروعة إمكاناته. لم يكن أمامي خيار غير ما فعلت. أجل. والذي زاد من غضبي أكثر، أنه في الجلسة. لم يطلب مني أحد ولا حتى الخليفة أن أسمعه شيئاً من غنائي، وكأني لست موجوداً. يعني كنت موجوداً بلا وجود. يعني كنت صفراً على الشمال!! أقسم بالله ساعتها تمنيت أن تبلعني الأرض ولا أحضر هذه الجلسة. أصابني الدوار. دار بي القصر. بل دارت بي الدنيا كلها. كدت أقع في غيبوبة ، لكني تمالكت و لم أشعر أحداً بما أعتراني. ساعتها جُنِنْتُ. انفلقت. انفجرت. كل نغم كان يؤديه زرياب بإتقان ، وكل سرور عبّر عنه الحاضرون يا لرضا ، كان خنجراً يطعنني في الصميم. هنا. هنا في القلب (**يظهر طيف زرياب على الشاشة وهو يغني بصوت خفيض ما غناه سابقا عن بغداد. يتأثر اسحق بغنائه فيناجيه مغيّراً لهجته. ولا يمنع من بقاء الأغنية بصوت منخفض بحيث لا يؤثر على المشهد**).

الجوقة: ها هو اسحق بين نارين. نار انتقامه ونار ندمه.

اسحق: زرياب. أعترف أني طردتك بغير ذنب . صدقني ، كلما تذكرت ما فعلته بك، يذبحني ضميري، ويأكلني الندم (**بحزن بالغ**) اعذرني أعرف أنّي أنا المخطئ لا أنت.

الجوقة: (**يمكن توزيع الحوار على أفراد الجوقة**) مشكلة الحاقد، أنه لا يستيقظ ضميره إلاّ بعد فوات الأوان. يا اسحق العتاب قبل العقاب. أنت ما حاورت زرياب بطريقة حوارية. ولم تعاقبه فقط. أنت انتقمت منه. نعم انتقمت. والفارق كبير بين العقوبة والانتقام (**تسأل الجمهور**) أيها السادة هل عرفتم من نحن؟ نحن ضميركم. نحن صدى لصوت الحق الساكن في داخلكم ردّدوا معنا. لله درّ الحسد ما أعدله؟ بدأ بصاحبه فقتله (**الجوقة تُهَمْهِم وتدور حول اسحق ويتسارع دورانها حوله تِباعاً حتى**

تسقطه).

اسحق: كثيراً ما حاولت نسيان إساءتي إليك فما استطعت. الغيرة قتّالة يا زرياب. تعمي البصر والبصيرة. ولتعلم بأنّي إن قتلتك مرّة واحدة ، فإن ضميري لِما فعلتُهُ بك يقتلني كلّ يوم ألف مرّة. يقتلني في النوم. في اليقظة. يلاحقني هنا. هناك. في كل مكان. لم تعد ترى عيناي غير شبحك. صار كابوساً حرمني سعادتي. حرمني هنائي وراحتي وطيب عيشي. سامحني يا زرياب (**ينهيار معانياً من آلآم شديده**) آه. آآآه. شبحك خنّاقٌ يحيط برقبتي، حبلٌ يلتف على عنقي يا زرياب آآآه لم أعد أحتمل آآآه. اتركني يا زرياب. ابتعد عني يا زرياب. آآه. ابتعد عني اترك رقبتي. اتركني اتركني. ا ت ر ك (**يخفت صوته**).

مشهد 10

نهاية المسرحية يستغلّ المخرج إمكانات اللّغات السمعية والبصرية كلها من إضاءة وموسيقا وأصوات ريح إضافة إلى همهمات الجوقة ودورانها الذي لا يتوقف حول المسرح. يظهر اسحق على شاشة كبيرة في عمق يسار المسرح منهاراً تلفُّهُ زوابع وكأنّ سيولاً تجرفه وتحيط به الدوائر الضوئية التي تبدأ ضيّقةً منه ثم تنفلش وتكبر كلما ابتعدت عنه بدَوَران ضوئيّ يخطف الأبصار وكأن المشهد صدى لنفسية اسحق. تخفت صورة اسحق قليلاً لتسلّط الإضاءة على يمين المسرح فنرى زرياب في أبهى حلله يغني على عوده أحد الموشحات في ربوع الأندلس . تتناوب الصورتان في الظهور بطيئاً. ثم سريعاً ثم تتداخلان بشكل أسرع حتى يُسدَل الستار.

المسرح في دمشق في النصف الأول من القرن العشرين



أحمد بوبس*

ثمة سؤال يطرح نفسه بقوة في أي حديث عن بدايات المسرح في دمشق.. كيف تعرفت دمشق إلى المسرح؟.. فإذا كان أبو خليل القباني رائد المسرح في دمشق وسورية، لم يبدع مسرحه من فراغ، بل إنه اطلع على المسرح من خلال الفرق المسرحية الزائرة لدمشق في مطلع شبابه، ومن ثم لجأ إلى محاكاتها أولاً، ثم أضاف من إبداعاته على عروضه المسرحية فيما بعد، فما هي تلك الفرق؟..

في مطلع شبابه أولع أبو خليل القباني بالغناء، وبدأ أولى خطواته الفنية فيه. وإلى جانب ذلك كان يتابع العروض المسرحية للفرق الزائرة إلى دمشق، والتي كان منها الفرق المسرحية التركية، وساعده في ذلك إتقانه للغة التركية، كما كان يتابع الفرق المسرحية الأوربية الزائرة إلى دمشق، كي يتعرف إلى الديكورات والاكسسوارات. ولكن الفائدة الأكبر جناها القباني من متابعته لفرقة الرائد المسرحي العربي مارون النقاش، الذي أسس فرقة مسرحية في بيروت عام 1848، وشاهد أبو خليل القباني عروض هذه المسرحية، إما من خلال زيارة الفرقة إلى دمشق أو أنه سافر إلى بيروت ليشاهدها.

ونرى أن القباني حقق الفائدة الأكبر من مشاهدته لمسرحيات مارون النقاش، لدرجة أنه في بداياته المسرحية قدم أول مسرحية ألفها وقدمها مارون النقاش وهي مسرحية (أبو حسن المغفل).

---

* شاعر وباحث سوري.

وثمة سؤال آخر...إذا لم يكن في دمشق مسارح...فأين كانت الفرق المسرحية الزائرة تقدم عروضها؟...

صحيح أنه لم يكن في دمشق حتى منتصف القرن التاسع عشر مسارح، ولكنها كانت زاخرة بالمقاهي. ولما بدأت الفرق المسرحية الأجنبية بالتوافد إلى دمشق، لجأ بعض أصحاب المقاهي إلى إنشاء خشبة مسرح في مقاهيهم، لتقدم عليها الفرق الزائرة عروضها. فكانت هذه المقاهي تستخدم في النهار مقاهٍ، وحينما يحين موعد العرض المسرحي يُعاد ترتيب الكراسي وصفها ليأخذ المقهى شكل المسرح. ومن هذه المقاهي التي تحولت إلى مسارح (مقهى قصر البللور) في باب توما و(مسرح الهبرا) في القصاع أيضاً، ثم (مسرح ومقهى زهرة دمشق) و(مسرح ومقهى العباسية) و(مقهى ومسرح الإصلاح خانة) و(مسرح القوتلي) وغيرها. بل إنه في بعض الأحيان كانت تقام في حديقة في القصاع خشبة مسرح مؤقتة تقدم عليها إحدى الفرق الزائرة عروضها حين يكون الطقس صيفاً.

وبعد انتقال أبي خليل القباني إلى القاهرة خمدت الحركة المسرحية في دمشق بسبب أجواء التزمت الديني، والتي كانت السبب في هجرة القباني. لكن مع بدايات القرن العشرين نشطت زيارات الفرق المسرحية ثانية إلى دمشق، ولكن في هذه المرة كانت في معظمها فرقاً عربية من مصر.

إرهاصات المسرح في دمشق

أول فرقة في دمشق :

وأول الفرق المسرحية الزائرة لدمشق في مطلع القرن العشرين كانت فرقة **سليمان القرداحي** عام 1905، حيث قدمت عروضها على خشبة مقهى ومسرح (**الإصلاح خانة**). تلتها فرقة سلامة حجازي التي زارت دمشق لأول مرة عام 1906، تلتها ثلاث زيارات أخرى في أعوام 1908 و1909 و1911، وقدمت عروضها على مسرح ومقهى (زهرة دمشق). ثم فرقة **أمين عطا الله** التي كان لها ثلاث زيارات لدمشق في أعوام 1908 و1912 و1924، وفرقة **رمسيس للفنان يوسف وهبي** عام 1929، لتتوالى بعدها زيارة الفرق المسرحية المصرية إلى دمشق.

هذه العروض المسرحية الزائرة شدّت إليها عدداً من الشباب المثقف، فحركت في نفوسهم لواعج الفن، وفكروا جدّياً في محاكاتها، وكان في مقدمتهم الشاب أحمد عبيد الذي أصبح فيما بعد أديباً وكاتباً كبيراً. فكتب نصاً مسرحياً، وجمع حوله عدداً من أصدقائه، فشكلوا فرقة مسرحية، منهم صالح الحلبي

وفوزي العظم وعبد الوهاب قنواتي وعبد الوهاب أبو السعود. وجمعوا مبلغاً من المال لشراء لوازم المسرح. وبعد إجراء التدريبات الكافية قدمت الفرقة عرضها المسرحي في منزل أسرة أحمد عبيد الدمشقي الطراز. واتخذت الفرقة من إيوان الدار خشبة للمسرح، وكانت أرضيته ترتفع عن أرضية باحة المنزل بنحو نصف متر، وصفت الكراسي في الباحة ليجلس عليها الجمهور، الذي كان في معظمه من أقارب الممثلين وأصدقائهم وجيرانهم. وعُرضت المسرحية أواخر عام 1907، وحققت نجاحاً كبيراً دفع أعضاء الفرقة إلى نقل عروضهم إلى مسرح القوتلي في السنجقدار. وهذا النجاح دفع شباناً آخرين إلى التفكير بتشكيل فرق مسرحية مماثلة.

وبذلك تكون هذه الفرقة أول فرقة مسرحية تشهدها دمشق بعد أبي خليل القباني. لكن لم يكتب لها الاستمرار، فقد انفرط عقدها بعد أن قرر مؤسسها أحمد عبيد أن ينصرف إلى الأدب، وأصبح بعد سنوات الكاتب والمؤرخ وصاحب المكتبة العربية التي كان موقعها في سوق الحميدية.

الفرقة الثانية :

بعد هذه التجربة المسرحية الرائدة سافر عبد الوهاب أبو السعود إلى القاهرة للدراسة الدينية في جامع الأزهر. لكن المسرح سرقه، فلازم الفنان جورج أبيض وفرقته المسرحية وشارك ببعض عروضها بأدوار ثانوية، وكان يراقب التدريبات والعروض وبشكل خاص حركات الفنان جورج أبيض بشغف. وبعد مضي عام عاد إلى دمشق حاملاً ذخيرة جيدة من الخبرة المسرحية والعديد من الاسطوانات عليها مقاطع من مسرحيات (**عطيل**) و(**هاملت**) و(**لويس الحادي عشر**) و(**ماكبث**) بصوت الفنان جورج أبيض وفرقته.

وبعد عودته من القاهرة بدأ عبد الوهاب أبو السعود الإعداد لتقديم عرض مسرحي جديد. فجمع حوله عدداً من رفاقه القدامى في العرض المسرحي الأول، وشكلوا فرقة مسرحية، وقدمت الفرقة مسرحية (**جزاء الشهامة**) تأليف الأديب السوري سليم الجندي على مسرح قصر البللور، ثم مسرحية (**شهداء الانتقام**) تأليف عبد الوهاب أبو السعود نفسه. وكان النجاح التام حليف المسرحيتين. وواجهت الفرقة مشكلة الأدوار النسائية، لكن المشكلة حُلت بالاستعانة بفتاتين من حارة اليهود.

الفرقة الثالثة :

الفرقة المسرحية الثالثة في دمشق ظهرت عام 1919، وحملت اسم مؤسسها عبد الرزاق الأتاسي. وكان عرضها الأول المسرحية الوطنية (**انتصار المجاهد عودة أبو تايه**)، ونضال أبو تايه هو مجاهد عربي. كان زعيم قبيلة الحويطات في الجزيرة العربية. شارك مع قبيلته في الثورة العربية الكبرى بقياد الشريف حسين. وطارد فلول القوات التركية في السلط وعجلون فيما كان يسمى (**شرق الأردن**). ثم قدمت الفرقة مسرحية (حاتم الطائي) على مسرح القوتلي ثم على مسرح قصر البللور في باب توما. وتتالت المسرحيات التي قدمتها الفرقة، وهي (**عواطف الزوجة**)، (**الممثل كين**)، (**لويس الرابع عشر**)، (**عطيل**) و(**صلاح الدين الأيوبي**). ومن أبرز الممثلين الذين شاركوا بالتمثيل في هذه المسرحيات عبد الرزاق الأتاسي وجودة خلقي وبشير الطرزي وعلاء الدين المسوتي وأكرم خلقي. وبعد هذه المسرحيات انفرط عقد الفرقة، وتوقفت عن تقديم المسرحيات.

عروض مستمرة :

واستمرت جهود تقديم العروض المسرحية في دمشق. ففي عام 1925 اندلعت الثورة السورية الكبرى ضد المستعمر الفرنسي، فاجتمع نفر من الشباب من محبي المسرح وعلى رأسهم عبد الوهاب أبو السعود، وقرروا تشكيل فرقة مسرحية يخصص ريع عروضها للمجاهدين، واختاروا مسرحية (هاملت) لشكسبير. وتولى عبد الوهاب أبو السعود تدريب الفرقة وإخراج المسرحية. وضمت الفرقة كلاً من الشاعر سليم الزركلي وناظم كروما ورياض الميداني وعرفان الجلاد وشهير الأيوبي. وعُرضت المسرحية على مسرح قصر البللور، وأرسل ريعها كاملاً إلى مجاهدي الثورة.

في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، اجتمع بعض الشبان المتحمسين للمسرح، في دار نور أيوب آغا في سوق الحرير بدمشق، واتفقوا على تقديم مسرحية (**السموءل ووفاء العرب**). ووزعت الأدوار على الممثلين، وهم جودة الآوي وخليل المرادي وغالب النقشبندي ونور أيوب آغا ومصطفى هلال. ومع بدء التحضيرات للمسرحية بدأت الصعوبات تتوالى. ففي المسرحية دور نسائي، ومن المستحيل إيجاد فتاة تقبل الظهور على المسرح خوفاً من تزمت المجتمع. فأسند الدور إلى شاب وسيم الطلعة، لكنه رفض أن يحلق شاربيه، واكتفى بوضع برقع على وجهه لإخفائهما. وما إن تم حل هذه المشكلة حتى واجهت الفرقة مشكلة أخرى. فالمسرحية

تاريخية، والممثلون بحاجة إلى كمية من الشعر لصنع الشوارب واللحى، ولا يوجد في دمشق دكان تبيع مثل هذه البضاعة. وجاء من أعلمهم بأن هناك عائلات يهودية تبيع ضفائر من الشعر الطبيعي، فحلت المشكلة.

ولكن... كيف سيتم الإعلان عن المسرحية، ولم يكن هناك صحافة ولا تلفزيون ولا إذاعة، فابتكروا وسيلة جديدة للإعلان عن مسرحيتهم. إذ امتطى الممثلون عربة حنطور يجرها حصان، وهم بملابس التمثيل ومدججون بسيوفهم وخناجرهم وعلى وجوههم الماكياج الكامل للمسرحية، وحمل أحدهم لوحة تتضمن اسم المسرحية وزمان ومكان العرض الذي هو مسرح الهبرا، وجالت في شوارع دمشق. وفي هذه المسرحية تمت أول عملية دوبلاج في سورية. إذ أن القائم بدور المطرب في المسرحية بشع الصوت، فكان يقف على طرف المسرح وكأنه يغني، بينما كان المطرب مصطفى هلال يغني حقيقة في الكواليس، ولم ينتبه أحد إلى هذه الحيلة، وانهالت على الفرقة رسائل الإعجاب بالمطرب المزيف وصوته!.

بدايات الأندية الفنية

هذه الإرهاصات الأولى للمسرح في دمشق قامت بجهود فردية، لكنها كانت الأساس في ازدهار الحركة المسرحية في دمشق خلال النصف الأول من القرن العشرين. فعلى أكتاف هذه الفرق وبجهود أعضائها، تشكلت في دمشق العديد من الأندية الفنية التي اعتنت بمختلف جوانب الفن من مسرح وموسيقا وفنون تشكيلية، لكنني سأقصر حديثي على الجانب المسرحي موضوع هذه الدراسة. وسأتوقف بالتفصيل مع أهم ناديين فنيين عنيا بالمسرح في دمشق، ولمحة موجزة عن الأندية الأخرى.

نادي الكشاف الرياضي:

تأسس نادي الكشاف الرياضي عام 1927. إذ بادرت مجموعة من الشباب المثقفين إلى تأسيس النادي بغية خلق حركة فنية مزدهرة في دمشق. وتم اختيار مقر للنادي منزلاً دمشقي الطراز له باحة واسعة. وكان موقعه في مكان يعرف اليوم بشارع خالد بن الوليد قرب مبنى الإطفائية (الآن مقر قيادة شرطة دمشق). إذ لم يكن هذا الشارع قد افتتح بعد. ولا أعرف لماذا أضيفت كلمة (الرياضي) مع أنه لم يكن فيه أي نشاط رياضي.

تألفت الهيئة الإدارية للنادي عند تأسيسه برئاسة لطفي عزيزية طبيب الأسنان، وضمت في عضويتها كلاً من الصحفي عمر الطيبي وسامي البكري والفنان عبد

الوهـاب أبـو السـعود والفنـان توفيـق العطـري وخليـل المـرادي والمصـور الفوتـوغرافي والسينمائي نور الدين رمضان وعادل السمان.

وكـان للمسـرح النصـيب الأكـبر مـن نشـاط النـادي. فتشـكلت فيـه فرقـة مسـرحية كبيرة ضـمت عبـد الوهـاب أبـو السـعود وتوفيـق العطـري وأديـب محيش وخليل المرادي وغالب النقشبندي والممثلة اللبنانية فيكتوريا حبيقة وآخـرين. واختير مكان العروض باحة مقر النادي الواسعة أولاً، ثم مسـارح (**قصـر البلـور**) و(**الهبرا**) وغيرهما.

وحرصـت إدارة النـادي علـى تقـديم العـروض المسـرحية الراقيـة والجـادة باللغـة العربية الفصيحة. وكانت (**هاملت**) أول مسرحية قدمتها الفرقة، ثم جاءت عـروض مسرحيات (**بطل غالية**) و(**لولا المحامي**) و(**صلاح الـدين الأيـوبي**) و(**عطيـل**) و(**تـاجر البندقية**) وغيرها. وكان الإقبال على العروض كبيراً، لدرجة أن تـذاكر الـدخول كانت تباع بكاملها قبل أيام من موعد العرض.

ورغم هذه النجاحات الكبيرة، فقد اضـطر النـادي إلى إغـلاق أبوابـه والتوقـف عن النشاط بعد نحو سنتين مـن تأسيسـه بسـبب عمليـة نصـب واحتيـال تعـرض لهـا، دفعته إلى الإفلاس.

نادي الفنون الجميلة :

يعدُّ نـادي الفنـون الجميلـة مـن أعـرق أنديـة دمشـق الفنيـة وأطولهـا عمـراً. فقـد تأسـس بتـاريخ 10 كـانون الثـاني 1930 وأغلـق أبوابـه بتـاريخ 15 كـانون الثـاني 1970. أي أنه عاش ثلاثين سنة وخمسة أيام.

ففي مطلع عام 1930 اتفق خمسة من المثقفين علـى تأسـيس نـادٍ جديـد يخلـف نـادي (**الكشـاف الرياضـي**)، وهـم رفعـت العنايـة وتوفيـق العطـري ووصـفي المـالح وإبراهيم نصر وإبراهيم التميمي. واتخذ النادي مقراً له في حـي سـوق سـاروجة حـارة سـتي زيتونـة. وضـم ثلاثـة فـروع للموسـيقا والرسـم والتمثيـل. وسـأقصـر حـديثي علـى الجانب المسرحي.

قـام توفيـق العطـري بتشـكيل الفرقـة المسـرحية في النـادي، فتألفـت مـن واحـد وأربعين ممثلاً محترفاً، مـن أبـرزهم وصـفي المـالح ومصـطفى هـلال وأكـرم خلقـي وتيسير السعدي وأنور المرابط وحكمت محسن وأنور البابا وفهد كعيكـاتي. ومـن الممـثلات فكتوريـا حبيقـة وألبيرتـا حـداد وفيبرونـا مـراد وتـاج بـاتوك وهيلـدا زخـم ونجوى صدقي وغيرهم، إضافة إلى فريق من الممثلين الهواة.

دأبت الفرقة المسرحية في نادي الفنون الجميلة على تقديم مسرحية جديدة كل شهر، على أن تكون هذه المسرحيات عربية أو عالمية باللغة الفصحى. وجميع المسرحيات العالمية التي قدمها النادي ترجمها توفيق العطري. ومن المسرحيات العالمية التي قدمتها (**المارشال مونمرانسي**) و(**هاملت**) و(**لويس الحادي عشر**) و(**تاجر البندقية**) و(**يوليوس قيصر**)، ومن المسرحيات العربية (**حمدان الأندلسي**) و(**طارق بن زياد**) و(**صلاح الدين الأيوبي**) وغيرها مسرحيات كثيرة.

في الخامس عشر من كانون الثاني 1970، شهد نادي الفنون الجميلة نهايته الحزينة حين اضطر إلى إغلاق أبوابه، منهياً ثلاثين سنة من النشاط الفني الراقي. لتنطوي بذلك مرحلة مهمة من مسيرة المسرح في دمشق. أما أسباب إغلاقه فكانت القرارات التعسفية التي اتخذتها وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل آنذاك، والتي وضعت بموجبها شروطاً قاسية على نشاطات الأندية الفنية، لا قبل لهذه الأندية بتحملها.

وإضافة إلى ناديي (**الكشاف الرياضي**) و(**الفنون الجميلة**)، ظهرت في دمشق عدة أندية فنية تهتم بالمسرح، لكنها لم تعمر سوى أشهر أو سنوات قليلة ثم تغلق أبوابها. ومن هذه الأندية:

دار الألحان والتمثيل:

أسسه عبد الوهاب أبو السعود عام 1931. ولكن النادي أغلق أبوابه سريعاً بعد أن تركه مؤسسه أبو السعود بعد سنة، مسافراً إلى أوربا لدراسة الرسم.

نادي إيزيس:

تأسس عام 1932 على يد سعيد الجزائري وجودة الركابي وممتاز الركابي وعبد اللطيف فتحي وآخرين. وقدم النادي مسرحية وحيدة هي (**الانتقام العادل**) المأخوذة عن مسرحية (**الاستعباد**) ليوسف وهبي، ثم انفرط عقده.

معهد الآداب والفنون:

تأسس عام 1948 على يد مصطفى هلال. وقدم عدة مسرحيات اجتماعية، من أهمها (**صرخة الشر**) تأليف مصطفى هلال. ولم يُعمر النادي طويلاً.

فرق مسرحية

وبعيداً عن الأندية تشكلت في دمشق العديد من الفرق المسرحية المستقلة، وكانت تقدم المسرحيات الشعبية باللهجة العامية، ومن نوع المسرحيات الغنائية التي تجمع بين التمثيل والغناء. وكانت جميع هذه الفرق تستخدم في حواراتها اللهجة

المصرية، متأثرة في ذلك بالفرق المسرحية المصرية الزائرة، حتى قام عبد اللطيف فتحي بتشويم المسرح الشعبي عام 1948 وأهم هذه الفرق:

فرقة حسن حمدان:

هي واحدة من أهم الفرق المسرحية التي شهدتها دمشق في النصف الأول من القرن العشرين. تأسست عام 1933، وحملت اسم صاحبها حسن حمدان الرياحي. ومن الممثلين في الفرقة محمد علي عبده وزين صيداوي وصبحي الطرابلسي وسامي الكسم وأحمد أيوب، والممثلات ماري وملفينا وعفيفة وطريفة، ثم انضم إليها حكمت محسن وعبد اللطيف فتحي.

وكانت عروض الفرقة تقليداً للفرق المصرية. واشتهرت بتقديم شخصية (**كشكش بك**)، وهي الشخصية التي اشتهر بها الفنان المصري نجيب الريحاني. واستمر نشاط هذه الفرقة لسنوات كثيرة قبل أن ينفرط عقدها. وقامت بجولات عربية عديدة.

فرقة ناديا العريس:

ناديا العريس مونولوجست مصرية شكلت مع زوجها علي العريس ثنائياً فنياً. ناديا العريس وجدت في دمشق البيئة الفنية المناسبة فشكلت فرقة مسرحية استعراضية كبيرة، زاد عدد أعضائها عن التسعين، وضمت ممثلين من سورية ولبنان. ومن ممثليها السوريين محمد علي عبده وشفيق المنفلوطي وأنور المرابط وعبد اللطيف فتحي الذي تولى بعد فترة من انتسابه إليها إدارة الفرقة. ومن أشهر ما قدمته الفرقة أوبريت (**هارون الرشيد**) تأليف محمد شفيق المنفلوطي، وقام عبد اللطيف فتحي بتلحين أغنيات الأوبريت وتصميم رقصاتها. وقامت الفرقة بجولات كثيرة في المحافظات السورية والبلدان العربية.

فرقة الكواكب:

في عام 1944 انسحب محمد علي عبده من فرقة ناديا العريس، وقام بتأسي فرقة خاصة به، أطلق عليها اسم (**فرقة الكواكب**). وكانت تضم إضافة إليه أنور المرابط وصبحي الطرابلسي وصبري عياد ونزار فؤاد وصباح العمري وتيسير عارف والمطربة العراقية إنصاف منير والممثلة ميليا شمعون التي عرفت بعد ذلك باسم ميليا فؤاد، وضمت أيضاً الممثل الكوميدي المصري عبد الحميد رشدي.

وتخصصت الفرقة في عروضها المسرحية بتقديم شخصية البربري (**عثمان الصفرجي**) التي أخذتها عن فرقة علي الكسار المصرية.

فرقة عبد اللطيف فتحي:

خلال عمله مع الفرق المسرحية لم يكن عبد اللطيف فتحي راضياً عما يقدمه معها، وبشكل خاص استخدام اللهجة المصرية في حوارات المسرحيات، لكنه كان مضطراً لمسايرتها. وعندما نضجت خبرته المسرحية، فكر جدياً بإنشاء فرقة مسرحية خاصة به، ينفذ من خلالها أفكاره، ومن أهمها استخدام اللهجة الشامية. ومرت عملية تشكيل فرقته المسرحية بمرحلتين:

ففي عام 1945 انفصل عن فرقة ناديا العريس. وقرر تشكيل فرقته الخاصة. وما إن حل عام 1946 حتى كانت هذه الفرقة قد ظهرت إلى الوجود، وحملت اسم (الفرقة الاستعراضية). ولم يتغير منهجه فيها عن الفرق السابقة، فقد كان يقدم المسرحية ذات الفصل الواحد والفواصل الفكاهية والمونولوجات الضاحكة. وكانت شخصية البربري (**عثمان الصفرجي**) هي الطاغية على مسرحياته. والمسرحيات التي كان يقدمها كانت باللهجة المصرية ولمؤلفين مصريين، ومنها (**شبيه الملك**) و(**ليلة بالنظارة**) و(**ممنوع الدين**).

المرحلة الثانية بدأت عام 1947. حين أعاد تشكيل فرقته المسرحية، وأطلق عليه اسم (**فرقة عبد اللطيف فتحي**). وأجرى تغييراً جذرياً على منهجه فيها، فألغى الفقرات الغنائية والفكاهية، واستبعد عن الفرقة العناصر التي تؤديها، وأدخل المسرحيات ذات الثلاثة فصول. ولكن التغيير الأهم كان استخدام اللهجة الشامية في حوارات مسرحياته. وبسرعة لحقت به الفرق المسرحية الأخرى، فلم يدخل عام 1948 حتى كانت اللهجة الشامية هي السائدة في لغة المسرح في دمشق. وبذلك يعتبر عبد اللطيف فتحي رائد تشويم المسرح الشعبي في سورية.

ومن الممثلين الذين ضمتهم الفرقة أحمد أيوب، سعد الدين بقدونس، صبحي الطرابلسي، أسعد مصطفى. ومن الممثلات كلير حداد، وفاتن أحمد وكلير وفريال. ثم انضم إلى الفرقة نزار فؤاد ومحمد شفيق المنفلوطي ورفيق السبيعي ونجاح المرادي وموسى العكرماوي.

وبذلك تبلورت الهوية الشامية للمسرح الشعبي في دمشق. هذا النهج الذي سارت عليه جميع الفرق المسرحية السورية، وما زال مستمراً حتى اليوم.

المراجع:

1 - موسوعة (أعلام الأدب والفن) – أدهم آل الجندي – إصدار المؤلف – دمشق 1954.

2 - كتاب (رواد المسرح السوري بين أواسط العشرينات وأواسط الستينات) – عدنان بن ذريل – منشورات وزارة الثقافة – دمشق 1993.

3 - كتاب (تاريخ المسرح السوري ومذكراتي) – وصفي المالح – إصدار ياسر المالح – دمشق 1984.

4 - كتاب (حكمت محسن رائد الدراما الإذاعية) – أحمد بوبس – الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق 2017.

5 - كتاب (عبد اللطيف فتحي رائد المسرح الشعبي) – أحمد بوبس – الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق 2019.

6 - كتاب (تاريخ المسرح في العالم العربي – القرن التاسع عشر) – سيد علي إسماعيل – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة 2012.

7 - دراسة (الحركة التمثيلية في دمشق قبل ثلاثين سنة) – مصطفى هلال – مجلة هنا دمشق (الإذاعة والتلفزيون) – عدد 265 – تاريخ 1 آب 1964.

مسرحية انتظار

ذات الفصل الواحد



محمد الحفري*

الشخصيات:

- **خالد**
- **شبح**
- **أحلام خالد:** * صخر - نابع - هدار - ساطع

المشهد الأول

المكان: (**البادية الواسعة**) مظلم قليلاً، وصوت ريح قوية تهدأ بالتدريج. مجموعة من الصخور يختبئ خالد خلفها.

الزمن: غير محدد.

صوت جماعي: من صمتنا، من تفرقنا، من ضعفنا، ينبع شكل الأعداء.

صوت خائف: اهربوا جميعاً، الأعداء قادمون لا يبقون على أحد، ذكراً أم أنثى. اهربوا.

---

* روائي وقاص ومسرحي ويكتب بالنقد من سورية.. أصدر العديد من الروايات والنصوص المسرحية للكبار والصغار.. كما ويكتب السيناريو التلفزيوني والسينمائي.. حاصل على جوائز كثيرة في الرواية والقصة والمسرح في المسابقات الأدبية السورية والعربية.. عضو اتحاد الكتاب العرب وعضو هيئة تحرير جريدة الأسبوع التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق. كما أخرج للمسرح العديد من المسرحيات.

(تحدث حالة فوضى. ركض، وهروب وصراخ فوق المسرح، تتبعها حالة من الهدوء التام. يخرج خالد من خلف الصخور زاحفاً. يتأكد من خلو المكان. يمشي. ينتظر، يبدو عليه التوتر والقلق..)

خالد: "**يحدث نفسه**" لست أدري ما الذي دفعهم إلى التأخر ؟. كانوا على عجل. هل يا ترى غيروا رأيهم ، أم حدث لهم مكروه ؟.

شبح: "**يركض بسرعة، يدور حول خالد**" ماذا تفعل هنا ؟...

خالد: "**يتفاجأ. يخاف. يسقط على الأرض، ثم يعاود النهوض، وهو خائف**" إنني أنتظر.

شبح: تنتظر من؟.

خالد : "**بخوف**" أنتظر أهلي.

شبح: ما أغباك. سوف تمضي عمرك من دون فائدة.

خالد: "**يدور مع الشبح**" ولماذا.

شبح: لأنك تنتظر من لا يأتي، وقد يأتي، وكأنه لم يأتِ.

خالد: وماذا أفعل يا سيدي؟.

شبح: "**يضحك بصوت عال، وهو يتراجع قليلاً** " يبدو أن أسيادك كثر.

خالد: "**مرتبكاً**" إنني أقولها من أجل احترامك.

شبح: "**بصوت عال**" كاذب. "**يقع خالد على الأرض**" بل تقولها خوفاً.

خالد: "**بتردد**" إنني أحذرك، إن لدي إخوة، وأبناء عمومة بعدد الحصى.

شبح: "**يخرج يديه ذات الأظافر الطويلة، وكأنه يريد قتله، يعود خالد إلى حالة الخوف**" إنهم مجرد أعداد فقط.

خالد: "**ببكاء** " أتوسل إليك قل لي ماذا أفعل؟.

شبح : أعجبتني، فالتوسل لأمثالك هو الحل الوحيد. يجب عليك الرحيل.

"يسقط خالد على الأرض. أصوات تأتي من بعيد على شكل نداء فردي وجماعي "

أصوات : "**مرددة** ".. يا خالد.. يا خالد.. يا خالد... " يتلاشى الصوت شيئاً فشيئاً "

خالد : "**ينهض فرحاً** " أسمعت ؟. إنهم قادمون. "**يركض في المكان فرحاً** ".. كنت متأكداً بأنهم لن يتركوني وحدي.

شبح: أصوات لا معنى لها ، لا بد أنك تتوهم

خالد: لا. اسمع إنهم ينادون باسمي.

شبح: لقد أضاعوا من هو أهم منك.

خالد: أهلي لا يضيعون شيئاً

شبح: وأين كانوا عندما سلبك اللصوص مالك ،وقتلوا اثنين من أولادك ..؟

خالد: الولد مولود ، والمال مردود ، أما الأخ فهو المفقود "**مرتبكاً وغير واثق**" سيأتون. هم من وعد ، ولم يجبرهم أحد.

شبح: "**يتظاهر بالعطف على خالد** " اسمع يا.... ما اسمك أنت؟.

خالد: خالد يا سيدي.

شبح: اسم جميل. من سماك به؟.

خالد: " **يعود إلى حالته العادية** " أهلي بالتأكيد

شبح: ما زلت تردد هذه الكلمة مذ لقيتك. جئت من أجلك. أنت هنا وحيد إخوتك وأقاربك، تفصل بينك وبينهم مسافات بعيدة ، ولابد أن اللصوص سيعودون إلى هنا.

خالد: ما الذي يجعلك متأكداً من ذلك ؟.

شبح: لقد سمعتهم. أعجبتهم هذه المنطقة ، وسيعودون من أجل الإقامة هنا.

خالد: وأنا !. ماذا أفعل ؟.

شبح: ترحل ، وتعيش مع إخوتك.

خالد: ولكنني لا أطيق العيش بعيداً عن هنا.

شبح: معك حق. تعودت على المكان، هو جميل وخصب، لكن ليس لدرجة المغامرة بحياتك وحياة أسرتك.

خالد: سأبقى لا تحاول معي. إخوتي قادمون. أعيش على هذا الأمل.

شبح: "**يعود إلى الغضب** " مادمت تتحدث عن الأمل، فلن تعيش طويلاً.. الموت مصيرك، لأنك لا تريد أن تفهم.

"ينقض، يريد قتله، لكنه يتراجع في اللحظة الأخيرة. تعود حالة الرعب إلى خالد "

شبح: ابقَ مع أحلامك ريثما تموت، فأنت هالك لا محالة.

"يختفي الشبح، يبقى خالد وحيداً في المكان"

خالد: "**يحدث نفسه**" لست أدري والحيرة تأكل قلبي ماذا أفعل ؟. ما الذي يربطني هنا ؟. الخوف يسكنني. لست جباناً، ولكنني رأيتهم، كيف كانوا لا يرحمون من يقع تحت أيديهم.

"يمشي في المكان ملتفتاً في كلّ الاتجاهات"

خالد: لولا ذكائي لما نجوت. اختبأت، لأنني أدركت بأنه لا قدرة لي على مواجهتهم "يجلس" لقد جاؤوا فجأة. كان يجب أن نكون مستعدين لهم منذ زمن، أنا من قتل نفسه منذ تركت قومي، وتفردت في الإقامة وحدي.

"يقف. يمشي بضع خطوات"

آه.. آه.. يا لهذا التعب اللعين يسيطر على كلّ جسدي. لا بد لي من الراحة ولو قليلاً، لم أعد قادراً حتى على التفكير..

" يتمدد على الأرض. يغرق في النوم. يبدأ حلمه باللقاء مع إخوته وأقاربه"

" تطفأ الإضاءة"

المشهد الثاني

الحلم

"إضاءة قوية وساطعة، ضجة، ضحكات. موسيقا راقصة. يدخل خالد، تتوقف الضجة والضحكات، تكف الموسيقا. يهب الجميع لاستقباله" :

أهلاً... أهلاً خالد "يحاول ساطع مصافحته، لكن خالد يبتعد عنه غاضباً "

خالد: لا أريد أن أصافح أحداً منكم..

ساطع: ما بك يا رجل؟. نتلهف شوقاً إليك، وتعاملنا بجفاء.

تابع: ومع ذلك، فنحن لا نحتمل غضب أخانا الغالي والمدلل.

خالد: لماذا لم تأتوا ؟.

تابع: قلنا.. لا بد أن تأتي أنت.

خالد: لكن العهد بيننا أن نهب لنجدة بعضنا. كان الوعد أن تأتوا.

تابع: بصراحة. الطريق إليك لم تكن آمنة.

خالد: "**غاضباً**" وكيف أمنتم علي هذا الطريق ؟..

تابع: "**ببرودة** " قلنا لا بد أن تدبر نفسك. أنت تعرف الطريق جيداً، وتعرف كيف تخلص نفسك من اللصوص، وقطاع الطرق.

ساطع: دعونا من العتاب الآن، واحضروا طعاماً وشراباً لخالد.

هدار: لنتابع فرحتنا بهذا اللقاء إذاً.

خالد: أخيراً سمعت صوتك..

هدار: أنت لا تريد أن تسمع صوت أحد إلا نفسك.

خالد: وماذا أنتم فاعلون الآن ؟.

تابع: نرقص فرحاً بمجيئك إلينا سالماً.

هدار: هيا لنبدأ الرقص. الرقص والفرح يعيد للحياة بهجتها. هيا..

"موسيقا راقصة. الجميع يرقصون ويتمايلون فرحاً وطرباً عدا خالد وصخر اللذين يمشيان في المكان، ويهزان برأسيهما "

ساطع: كفى لقد تعبنا. لنستريح قليلاً، ثم نعود إلى الرقص.

صخر: فرحتنا كبيرة، فوجودنا معاً، يعني أشياء كثيرة.

خالد: ترقصون كأن شيئاً لم يحدث..

تابع: لا شيء في الحياة يستحق الغضب.

صخر: الرجل جاء يشكو لكم. يستنجد بكم. لقد قتل اللصوص اثنين من أبنائه ونهبوا ماله.

هدار: ليأخذ من مالي، أو من مالنا جميعاً ما يشاء.

صخر: وأبناؤه ؟.

هدار: هذه صعبة علينا. فلا يمكننا إعادتهم إلى الحياة.

صخر: بقي أن تقول ليترك أرضه ويرحل.

تابع: ولم لا ؟. إن هذه الأرض بالذات طريق للقوافل، وهي مطمع كلّ اللصوص، قلنا له من البداية أن يرحل، ويعيش عند أي منا..

خالد: وهل يظن أي منكم أنه بعيد عن الخطر ؟..

صخر: كلّ منا لديه أبناء، وأحفاد كثر، فلماذا لا نجمعهم، ونطارد اللصوص ؟..

ساطع: إن ما تطلبه محال. أنت تريدنا نغامر، ونبحث عن مجموعة من اللصوص.

خالد: إن من تتكلمون عنهم جيش لا يستهان به. رأيت أعدادهم، وأسلحتهم الكثيرة.

ساطع : انتظرتم حتى قويت شوكتهم واشتد عودهم، وتذكرتم أن تجمعوا لهم وتقاتلوهم.

صخر: لا داعي للوم، والندم الآن، فالندم خطأ آخر، يضاف إلى أخطائنا السابقة.

خالد : ما الذي يمنعنا الآن من قتالهم؟.

تابع : تمنعنا أشياء كثيرة. أنا مثلاً تربطني علاقة قوية بزعيمهم.

صخر: ومنذ متى هذه العلاقة ؟.

تابع: منذ زمن بعيد.

صخر: لم تخبرنا بذلك.

تابع: وهل من الضروري أن أخبركم عن كلّ شيء؟.

صخر: لكنه عدو أخينا، فكيف تقيم معه صداقة؟.

تابع: هو عرض علي تقديم المساعدة، وأنا قبلت، وتعاهدنا على صداقة دائمة.

صخر: هذا يعني أنك لست معنا ؟.

تابع: نعم وأرجو ألا يلومني أحد. أين كنتم عندما تعرضت أنا للخطر ؟.

صخر: من أجل هذا تتحالف مع الأعداء ؟.

تابع: كنت مجبراً يومها على أن أتحالف مع الشيطان من أجل نفسي.

خالد: ذاك زمن ومضى. نريد الآن أن نصبح قوة واحدة، وننسى الماضي.

تابع: الآن أنا لست مع أحد.

صخر: وأنت ما رأيك يا هدار؟.

هدار: أنا أسكن في مكان بعيد جداً لن يصلني إليه أحد مهما كان.

صخر: "**غاضباً** " سيصلك الخطر أينما كنت

هدار: "**ببرودة** " أنا أعرف كيف أدافع عن نفسي.

خالد: قل بصراحة، أنت أيضاً لست معنا.

هدار: "**متملصاً**" ليس بالضبط ولكني مشغول بترتيب أمورنا نحن "**متردداً**" نحن نقيم الأبنية، نحفر مجرى الماء. لا يعقل أن نترك كلّ هذا، ونتفرغ للحرب من أجلك يا خالد.

صخر: الحرب ليست من أجله. بل من أجلنا جميعاً. ندفع فيها الخطر ونعيش بهدوء.

هدار: أنا لا خطر عليّ.

خالد: الخطر على الجميع صدقوني. لا تصمتوا ظناً منكم أن الخطر بعيد، سيصل إليكم.

صخر: إن بقي كلّ واحد منا منفرداً عن الآخرين، فالخطر على الجميع.

ساطع: دعونا الآن من هذه الأحاديث المزعجة، ولنتابع فرحتنا بهذا اللقاء.

صخر: افهم من هذا تهرباً حتى لا نعرف موقفك.

ساطع: ليس تهرباً، ولكن حتى لا تضيع اللحظات الجميلة، تريدون أن يبقى الحديث مقتصراً عن الهم، والغم، والمشاكل، والأحزان، وكثيراً من الترهات التي لا تنتهي.

صخر: وهل تسمي هذه ترهات؟.

ساطع: نعم هي كذلك. منذ ولدنا، ومن قبلنا، والأخطار حولنا لم نأبه بها يوماً.

خالد: الخطر اليوم أشد من ذي قبل.

ساطع: أنت من يقول هذا؟. كنا نحن أول من عرض عليك، لكنك رفضت

خالد: كنت جاهلاً.

ساطع: إذاً، ليدبر كلّ منا أمره.

صخر: اصمت إذا لم يكن لديك ما يفيد اجتماعنا.

ساطع: تطلب مني السكوت، وكأنك وصي علينا. لكلّ منا رأيه وهو حر فيه، وينفذ ما يناسب مصلحته، وظروفه.

صخر: تابعوا الرقص يا سادة، لا تتوقفوا أبداً، ليرقص كلّ منكم كما يحلو له.

الرقص دواء وبلسم لكلّ الجراح.

"**موسيقا راقصة سريعة. الجميع يرقص**"

خالد: "**يتكلم من دون أن يسمعه أحد بسبب صوت الموسيقا المرتفع، وانشغال الجميع بالرقص**" ويلكم كيف ترقصون ودماؤنا تنزف؟، موتكم فيه، لا تصموا آذانكم عن الحقيقة لا تخفوا رؤوسكم في التراب. يا إخوتي حقيقة أنتم أم وهم؟. في أي زمن أجدكم؟. لا تهربوا، تعالوا. أنا بحاجة إليكم.

"**يمد يديه، بينما يبتعد ويختفي الآخرون. يستيقظ من نومه**"

ما هذا؟. أي حلم مزعج ؟. كلّ ذلك حلم ؟. يبدو أن نومي كان عميقاً.

"**يمشي متعثراً في المكان** "

المشهد الثالث

"**إضاءة عادية. خالد يمشي في المكان وحيداً** "

شبح: "**يدخل حذراً** " أما زلت هنا ؟.

خالد: "**يبدو أكثر شجاعة من قبل**" وأين تريدني أن أذهب ؟.

شبح: "**بهدوء** " إلى حيث تريد. المهم أن تغادر من هنا.

خالد: إذا غادرت من هنا خسرت كلّ شيء.

شبح: على المرء أن يخسر أشياء مقابل أن يربح أشياء أخرى.

خالد: وماذا أربح برحيلي ؟.

شبح: كما قلت لك تريح نفسك وأسرتك، وما تبقى لديك من مال.

خالد: ولكنني أفقد معنى وجودي.

شبح: دعك من هذا الكلام الفارغ، واسمع نصيحتي قبل أن يأتي وقت لا مجال فيه للندم.

خالد: لن أعيش غريباً طول حياتي.

شبح: عندما تعيش عند أقاربك وإخوتك فأنت لست غريباً.

خالد: حينما يخرج الإنسان من الأرض التي ولد، وتربى فيها، يصبح غريباً، وحتى لو قبلت بما تقول، فإن إخوتي لن يقبلوا بذلك.

شبح: كلّ منهم غارق في مشاكله الخاصة حتى الأذنين، وليس لديه استعداد حتى لسماع ما تواجه من صعوبات وأخطار. "**تعود الأصوات**": خالد.. خالد.. يا خالد.

"**الأصوات تأتي فردية وجماعية** "

خالد: أسمعت ؟ هي أصواتهم. لا بد أنهم قادمون.

شبح : أصوات جوفاء لا فعل لها، فتدبر أمرك أيها المغفل، تتحدث عنهم وكأنهم من عالم آخر. هم مجرد بقايا رجال.

خالد : "**غاضباً** " اصمت. لا تتحدث عنهم بهذه الطريقة.

" **يدفع الشبح، فيسقط على الأرض**"

شبح : "**ينهض، ويبدو حجمه أصغر من قبل**" أرجوك لا تغضب. يخيفني غضبك على الرغم أنك وحيد الآن.

خالد: أنت تتحدث، وكأنك من الأعداء. قل لي هل أنت منهم؟

شبح: لا. لكنني أردت لك الخير.

خالد: كلامك يدل على أنك منهم.

شبح: كلّ ذلك لأني قلت الحقيقة؟.

خالد: لم يطلب إليك أحد التحدث بها. إنها مرة، وجارحة.

شبح: ولكنها الحقيقة في النهاية، فلماذا تتهرب منها ؟. هل أنت خائف ؟.

خالد: لا.

شبح: "**مقترباً من خالد** " بل أنت خائف. لن يأتي إخوتك، وستواجههم وحدك.

خالد: "**شامخاً وشجاعاً** " لست خائفاً، فلا تحاول التأثير علي.

شبح: ما زلت متفائلاً بهذه الأصوات؟. ليست حقيقية. صدقني. إنها مجرد وهم، طنين يعشش في أذنيك "**يدور حول خالد، ويحاول تطويق رقبته بذراعيه وخنقه، لكن خالداً يستطيع الإفلات، والهجوم على الشبح، وصرعه على الأرض**".

شبح: "**متوسلاً** " أرجوك لا تقتلني. دعني أكمل حديثي.

خالد: ماذا تريد أن تقول أيها الخبيث؟.

"**يفلته من قبضته** "

شبح: "**يقف متثاقلاً، وحجمه أصبح صغيراً جداً كالأقزام، بينما يكبر جسم خالد أكثر من قبل**" كنت أريد أن أقول يمكنك أن تعيش هنا.

خالد: وكيف لي ذلك، وقد قلت لي إنهم يريدون العيش على هذه الأرض ؟.

شبح: تعيش بينهم يا سيدي.

خالد: وهل يقبلون؟.

شبح: ولكن على شرط.

خالد: ما هو؟.

شبح: ألا تتدخل في شيء.

خالد: ومن أخبرك بذلك ؟.

شبح: هم قالوا إنهم يريدون العيش بسلام، من دون سفك دماء.

خالد: أي سلام مزيف هذا ؟. البارحة كانوا يقتلون، وينهبون، واليوم يريدون السلام !. إن من يبدأ حياته بالقتل، فلن يتوقف عنه أبداً.

شبح: هم على قناعة بذلك.

خالد: وأنا أصبحت على قناعة أنك واحد منهم.

شبح: لا. لست منهم. لكني أحاول تسوية هذه المسألة بينكم، ولمصلحة الجميع.

خالد: تقصد لمصلحتهم!.

شبح: الذي أقصده أنني وسيط بينكم.

خالد: "**غاضباً** " بل أنت عدو يرتدي ثوب ناصح، ويجب أن أبدأ بقتلك.

شبح: أرجوك. لن يفيدك قتلي في شيء " **يهرب خارج المكان**"

"**يعود النداء من جديد**": خالد.. يا خالد...

خالد: "**يحدث نفسه** " قد تكون فارغة، لكنني أعيش متوسماً فيها الأمل، وإذا قدر لي الموت، فلن أموت إلا فوق هذه الأرض.

"**الشبح يضحك بصوت عال، ولا يراه خالد**"

خالد: "**غاضباً**"، يدور في المكان بحثاً عن الشبح "آه.. آه.. لو أنني قتلتك

شبح: لن تستطيع ذلك، فما زلت الأقوى.

"**خالد يمشي في المكان، حائراً، متردداً، منتظراً، بينما يسمع عند الإطفاء**

صراخ نساء، وبكاء أطفال"

انتهت

امرأة تستحم برجل*

((موت مؤجل))

((أن تموت شريفاً ومنتصراً خيرٌ من أن تموت نذلاً وخاسراً))



حمدي موصللي**

الشخصيات

صفاء: جاوزت الستين من العمر.. جميلة وجذّابة لدرجة كبيرة.. خلاسية الجسد وشقراء الشعر وبعينين زرقاوين.. نسبياً طويلة متناسقة القوام.. تمتلك من الهيبة وحسن الكلام وثقة زائدة بالنفس مما يجعلها محط أنظار محدثيها وإعجابهم الزائد.. لكن الضعف أحياناً يلازمها فتهرب منه إلى نفسها حتى لا تثير شفقة أحد.. في المسرحية سوف نراها على مراحل عمرية مع تبدلات طفيفة في الشكل.. تبعاً لسير مجريات الأحداث..

منير: جميل الطلة والشكل.. الزوج الأول للسيدة صفاء.. على أبواب السبعين.. سوف نراه على مراحل عمرية مع تبدلات واضحة وكبيرة نسبياً ووفقاً لمجريات أحداث المسرحية

عبّاس: كهل جميل الشكل.. أرمل سابق.. وزوج صفاء الحالي.. يغادر أحداث المسرحية إلى مثواه الأخير وهو بعمر جاوز منتصف الخمسين.. ثري جداً

---

* "**امرأة تستحم برجل**" عنوان معكوس مأخوذ عن عنوان مجموعة شعرية للشاعر السوري إبراهيم الجرادي– صدرت عام 1982م وكانت بعنوان " رجل يستحم بامرأة ".

** كاتب وناقد وباحث ومخرج مسرحي سوري.. له أكثر من كتاب بالنقد وله دراسات مسرحية منشورة في الصحف والمجلات المتخصصة المحلية والعربية.. كتب لمسرح الكبار والأطفال وعرضت أغلبها على المنصات المسرحية السورية والعربية.. عضو لجان تحكيم جوائز أدبية ومهرجانات مسرحية.

وحيـد: الابن الوريث الوحيـد، ولكنه ابن من؟.. هـذا مـا سنعرفه مـن خـلال أحـداث المسرحية.

منال: الخادمة.. تميل للبدانة قليلاً.. عمرها يقترب من الأربعين..

شخصيات عابرة: السائق.. صبي الورد.. مدير الحسابات..

ملاحظة: زمن المسرحية ممتد بين (1958م – 2020م).

مدخل إلى العرض المسرحي

المكان: عبارة عن فراغ مظلم تماماً للفترة.. ثم تظهر عن بعد بقعة ضوء صغيرة مثل (**نقطة**) تكبر تدريجياً لتصبح بقعة ضوء دائرية تجمع السيد وحيد، والخادمة منال وجهاً لوجه.. الخادمة منال تحمل دفتراً بيدها)

وحيد: هي حكت لكِ عن كلِّ ما حدث معها خلال حياتها؟

منال: لا.. بل أحياناً كانت تحدثني عن بعض ما وقع لها.. بعض النساء أحياناً يتكلمن في وقت الضيق عن أمور مزعجة كانت تسبب لهنّ وذمة في حياتهن.. من مثل السيدة صفاء، وعلاقاتها وزواجها السرّي الأول، وحدثتني عن انفصالها من زوجها الأول دون أن تذكر عنه شيئاً.

وحيد: ألم تذكر لك اسمه.. عنوانه.. من أي العائلات هو؟

منال: لا!. ثم كلمتني عن زواجها الثاني من السيد عبّاس والد حضرتك كيف تمَّ، واكتفت بكلام قليل عن وفاته، وكلمتني عن قصة حملها بك ومعاناتها على الرغم من الغموض الذي يكتنف قصة الحمل؟!..

(باستغراب ودهشة)

وحيد: كلام غريب؟!. أعرف عن زواجها من أبي الأرمل، وأن منيراً أخي من أمه المتوفاة لا أكثر، ولم أكن أعرف أنها كانت متزوجة قبل والدي، ولم تحكِ لي عن قصة حملها بي!. هذا إذا افترضنا أنّ هناك قصة موجودة أصلاً!.

منال: هذا صحيح.. لكن!. قد تكون السيدة صفاء.. لم تر في هذا الكلام أمراً مهماً.. أو أنها وعلى الأغلب كانت تفضّل عدم البوح بذلك؟

(الخادمة منال.. تقدم دفتر مذكرات السيدة صفاء إلى السيد وحيد)

منال: على كل حال.. أستاذ وحيد.. تفضّل استلم هذا الدفتر ودعني أرتاح من حمله، والاحتفاظ به إذا سمحت..

وحيد: **(يتناول الدفتر مأخوذاً.. يسأل)** دفترا دفتر ماذا يا سيدة منال؟

منال: عندما تقرؤه سوف تعرف ما هو المكتوب بداخله؟

وحيد: **(ينظر إلى الدفتر.. يقلّبه.. يزم على شفتيه)**

لم أفهم؟. من أعطاك هذا الدفتر ولمن؟

منال: إنه يخصك..

وحيد: يخصني!

منال: إنه أمانة من السيدة صفاء كان في عهدتي.. طلبت مني أن أحتفظ به لك إلى ما بعد وفاتها.. بحق!. كانت دائماً تشعر بالموت وكأنها على موعد قريب معه!.

في هذا الدفتر سجّل حياة السيدة صفاء، وقد أوصتني بتسليمه لك لكي تقرأه، ومن ثم تمنّت عليك أن تقوم بحرقه ورقة، ورقة.

(يفترقان.. وحيد يتحرك باتجاه معاكس نحو اليمين حاملاً الدفتر.. منال تتحرك باتجاه معاكس نحو اليسار.. إطفاء تدريجي للإنارة).

الفصل الأول

المشهد الأول

بهو (صالون) واسع في منزل أو فيلا فخمة.. مؤثث بطريقة تنم عن ذوق رفيع.. مقتنيات شرقية وغربية موزعة بحرفية.. ساعة كبيرة تتوسط البهو.. مكتبة.. آلة البيانو.. أرائك وكراسي زان وأكثر من طاولة ولوحات وصور معلّقة بشكل لافت.

نافذة بلّورية مستطيلة كبيرة إلى اليسار أو اليمين محاطة بساترة (برداية) لونها يتناسب مع أثاث البهو (الصالون).. وكرسي هزّاز من القصب إلى جانب النافذة ثمة درج من خشب الزان نصف دائري يفضي إلى الطابق العلوي الذي يظهر لنا عداً من الأبواب أحدها يفضي إلى جناح نوم وراحة السيدة صفاء، وعلى جدران الطابق العلوي رسمت لوحات (مناظر خلابة للطبيعة)..

مؤثر موسيقي من الرتم الخفيف (رومانس) يضفي لفترة قصيرة حالة من الهدوء.. ثمة امرأةٌ مرتدية البياض.. جالسة على الكرسي الهزّاز ووجهها إلى النافذة تتأمل.

لحظات تمضي نسمع بعدها جرس الباب يقرع.. فترة قصيرة وتدخل الخادمة البهو وتكلم سيدتها..

منال: سيدتي.. صبي الورد في الباب.. أحضر الإكليل..

صفاء: (**نصف التفاتة**).. اطلبي إليه أن يضعه في الصالون على الطاولة.. ادفعي له الحساب كاملاً وأكرميه..

منال: بكل سرور سيدتي.. (**تبتعد خارجة**)..

(يدخل صبي الورد البهو بصحبة الخادمة)

منال: ضعه هنا على الطاولة إذا سمحت..

(الصبي يضع إكليل الورد على الطاولة.. الخادمة تتجه واياه نحو الباب الخادمة تدفع له الحساب وتودعه.. الصبي يخرج.. الخادمة تعود إلى سيدتها.. السيدة تنهض وتتجه نحو الإكليل وتنظر إليه ثم تكلم الخادمة)

صفاء: مناسب وجميل.. اليس كذلك؟

منال: بلى سيدتي

صفاء: اطلبي السائق، واطلبي إليه أن يحمل إكليل الورد إلى السيارة.

(نسمع دقات الساعة الكبيرة.. تنظر صفاء إليها.. تتجه نحو الدرج.. تكلم الخادمة منال)

صفاء: أنا صاعدة إلى غرفتي.. كلِّمي السائق، وخابري مدير الحسابات.. أن يكونا حاضرينْ معاً في الصالون.. (تعاود النظر نحو الساعة).. عليك إخبارهما بالحضور بعد ساعة من الآن.. سأكون جاهزة للانطلاق نحو المقبرة..

(تصعد الدرج نحو جناحها وتدخل غرفتها)

المشهد الثاني

(صفاء وهي تهبط الدرج.. وقد بدت في كامل اناقتها.. مرتدية السواد الكامل مع كفوف الأيدي وتعتمر برنيطة سوداء لها من الأمام "غربول" على الطريقة الغربية..).

صفاء: **(تكلم مدير الحسابات)** هل جهزت المطلوب من الأوراق لأقوم بتوقيعها؟.

م. الحسابات: نعم.. هي معي في الحقيبة.. فقط جدول المكافآت الشهرية لم ينهه معتمدو الرواتب ليصار إلى صرفه..

(تجلس على الكرسي الهزّاز)

صفاء: ما سبب التأخير يا سيد مدير الحسابات؟

م. الحسابات: تأخر وصول الجداول من رؤساء الورش بسبب بعض الأعطال التي ظهرت أثناء الصيانة، وتمّ إصلاحها

صفاء: أمور الصيانة النصف سنوية والجرد في المستودعات.. هل انتهت؟

م. الحسابات: مازال العمل مستمراً في صيانة بعض المواقع.. يومان أو ثلاثة وتنتهي الصيانة.. بالنسبة للجرد.. السيد وحيد.. لديه التفاصيل كاملة سيدتي

صفاء: **(نحو السائق)** ها!. هل أوصلت الدعوات بالأسماء إلى أصحابها؟

السائق: **(بثقة)** نعم!. قبل أربع وعشرين ساعة من الآن أوصلت كافة الدعوات إلى أصحابها.. كل شيء تمام وجاهز سيدتي.. كما وجّهتِ حضرتك!.

صفاء: اقتصرت على من؟

السائق: اقتصرت الدعوات على المدعوين من أفراد العائلة وبعض الأصدقاء، وكبار رؤساء الأقسام في الشركات والمصانع..

صفاء: أبلغتهم بعدم التأخر عن التواجد في المقبرة ، وفي الوقت المحدد؟

السائق: **(بثقة زائدة.. ينظر في ساعته)**

نعم!. أقل من نصف ساعة بقي على الموعد سيدتي!. هم الآن عند ضريح المرحوم في انتظار وصولك يا خانم..

صفاء: الشيخ عبد ربه، وفرقة المنشدين..

السائق: أيضا تجمعوا حول الضريح (**ينظر في ساعته**) جاهزين.. قبل ساعتين من الآن..

(**متذكرا**) أ.. السيد منير.. قد لا يحضر ذكرى الوفاة سيدتي!

م. الحسابات: (متدخلاً في الحديث) السيد منير مريض.. زاره الطبيب يوم أمس سيدتي.. إنه مصاب بالتهاب حاد بالقصبات.. لن يتعافى قبل يومين أو ثلاثة على الأقل.. هاتفني وأبلغني اعتذاره الشخصي عن حضوره الذكرى السنوية لوفاة والده، وطلب مني إخبارك باعتذاره سيدتي

صفاء: (**تنظر إلى حقيبة مدير الحسابات التي يحملها**) اترك الحقيبة هنا على مكتبي سأقوم بمراجعة الأوراق، وتدقيقها وتوقيعها مع ولدي "وحيد"

(**تقطع حديثها وتتراجع عن رأيها**)

صفاء: (**متابعة حديثها**) لا.لأ. بل احمل الحقيبة إلى مكتب وحيد.. بعد الانتهاء من مراسم ذكرى المرحوم.. بإمكانك مراجعة الأوراق والفواتير والجداول مع وحيد..

أه.. تذكرت!. هل التقيت السيد المحامي؟

م. الحسابات: (**متابعاً**) قبل أربعة أيام من الآن استلم جميع الأوراق التي أمرتِ بتسليمها

له.. هي الآن في عهدته يقوم بدراستها ويجري لها المطابقات على أرض الواقع.

صفاء: ألم يخبرك متى ينتهي؟

م. الحسابات: بلى.. حدد أسبوعاً أو عشرة أيام على الأكثر..

(**ينظر في مؤقت ساعته**)

م. الحسابات: بقي على وعده بين ثلاثة أو خمسة أيام من هذا اليوم، وينهي المراجعة والمطابقة

صفاء: **(للسائق)** جهز السيارة.. خمس دقائق ونكون مستعدين للانطلاق.. **(للخادمة)** كالعادة جهزي مكان الخلوة السنوية وبخّري الغرفة.. من هذه الليلة وحتى الأيام الثلاثة القادمة.. لا أريد سماع الجوال أو الهاتف الأرضي.. اقطعي الاتصال بالناس.. وحيد هو من سيقوم بالرد إذا تطلّب الأمر ذلك..

(أثناء ذلك يصل الابن وحيد.. مدير الحسابات يطلب الإذن بالخروج).

م. الحسابات: هل تأذن لي السيدة صفاء بالانصراف إذا لم يكن لديها أي أمر تريده؟

صفاء: **(لمدير الحسابات)** لا.. بإمكانك أن تسبقنا مع السائق إلى المقبرة.. سوف ألحق بكما مع ابني وحيد خلال دقائق

(مدير الحسابات والسائق يبتعدان خارجاً)

وحيد: **(للجميع)** صباحكم سعيد.. **(لوالدته)**.. صباح الخير يا أمي

صفاء: **(بابتسامة باردة)**.. صباح النور.. تأخرت يا وحيد!

وحيد: **(ينظر في ساعته)** آسف يا أمي.. بضع دقائق فقط.. بسبب الازدحام

صفاء: **(ببرود)**.. زوجتك وحفيدتي.. أين هما؟

وحيد: اتجهتا نحو المقبرة!.

صفاء: **(تنظر نحو الساعة الكبيرة)** أخبروني أنَّ منير مريض.. لن يحضر هذه المرّة ذكرى سنوية والده!.

وحيد: **(مقاطعاً بهدوء)** نعم أمي!. قمت بزيارته يوم أمس.. إنه يتعافى.. لديه التهاب قصبات حاد يحتاج إلى راحة.. السن له حقه يا أمي.. أخي على أبواب السبعين.

صفاء: **(متضايقة قليلاً)** هو بمثابة والدك!. فكلمة أخي لم تعد تفي.. ناده بابا فلن تخسر شيئاً.. ثم أنك لم تبصر أباك.. مات وأنت

جنينٌ في أحشائي!. خمس وثلاثون سنة مضت على رحيله.. كل شيء تغيّر!. حتى الأمكنة، والعمارات والناس.. الآن أنت تقترب من الخامسة والثلاثين من العمر.. اليوم نحيي ذكراه السنوية الخامسة والثلاثين..

وحيد: **(ينزل قبعته عن رأسه بوقار.. مطأطئ الرأس)**.. الرحمة له والمغفرة والثواب.. ربّي أسكنه جنات نعيمك وهبْ أمي الصبر يا رحمن..

(يخرجان.. بينما الساعة الجدارية تدق)

المشهد الثالث

(المكان السابق.. الصالون.. صفاء على الكرسي ووجهها نحو النافذة تتأمل.. ترتدي البياض الكامل وعلى رأسها شال أو غطاء قماشي أبيض.. نظارة طبّية على عينيها.. تقرأ بكتاب الله.. لحظات تمر.. تنهي القراءة، و تغلق الكتاب وتقبله وتمسح به جبينها، ومن ثم تستغفر ربها.. تدخل الخادمة مسرعة.. تتجه نحو صفاء.. تتناول الكتاب تقبله ثم تتصرف باتجاه المكتبة وتضعه على رف من رفوفها)

صفاء: **(واقفة)** منال.. هل جهزتِ ما طلبته؟

منال: نعم.. أنتظر ماء الزهر وجوزة الطيب والزعفران.. أوصيت السائق أن يشتريها.. **(يقرع الجرس)** قد يكون هو؟.. أعتقد السائق وصل سيدتي!.

(تتجه نحو الباب وتفتحه.. يدخل السائق يحمل زجاجة وكيساً)

السائق: مساء الخير سيدتي **(للخادمة يناولها)** تفضلي.. زجاجة ماء الزهر وهذا الكيس.. فيه ما أوصيتني عليه.

صفاء: **(للسائق)** اركن السيارة بعد تجهيزها في الكراج.. ثمَّ غادر إلى أسرتك في إجازة ثلاثة أيام.. لا تنس أن تمر على المحاسب.. صرفت لك مكافأة مع الراتب..

السائق: **(مبتسماً يدعو الله لها)** شكراً لك سيدتي!.. الله يمد بعمرك ويكسبك الصحة والعافية يا رب!. ساعة واحدة سيدتي ، وأكون أنهيت تجهيز السيارة

(يقطع كلام السائق قرع جرس الباب.. الخادمة تفتح الباب..

يدخل السيد وحيد.. ينصرف السائق وهو يرمي التحية على وحيد.. الخادمة تقف بعيداً.. وحيد يأخذ بيد أمه ويقبلها).

وحيد: **(مبتسماً)** نهارك طيب أمي..

صفاء: **(تبادله الابتسامة)** أهلاً وحيد.. نهارك سعيد **(للخادمة)** احملي عصير الليمون لي واعملي القهوة لسيدك في الحال.

(تخرج الخادمة.. تتجه صفاء ومعها وحيد باتجاه طاولة مستديرة حيث يجلسان بالتقابل)

وحيد: **(بعد لحظات ساكنة.. يكلمها بتودد)** أمي إلى متى مسحة الحزن هذه تخفي الوجه الحقيقي لأمي الجميلة.. أجمل امرأة عرفتها المدينة؟!.

صفاء: **(تبتسم ببرود)**.. كان هذا قبل عقود مضت.. يا حسرتي!.

وحيد: **(مازحاً)** أمي!. أنت الأجمل وما زلت الأجمل!. لو لم أكن ابنك لطاردتك حتى تقبلين بي.. **(يضحكان)**..

صفاء: كان زمان يا ولدي!.. المهم دعنا في موضوعنا.. المحامي أنهى المطابقة على الواقع، وأنت أكملت جرد المستودعات مع مساعديك.. من اليوم لم أعد مسؤولة عن أمور العمل والتواقيع والموافقات.. من الأن فصاعداً المسؤول عن كل ذلك هو أنت يا سيد وحيد!.

وحيد: لا يا أمي.. هناك من هو أحق مني.. أخي بابا منير!

صفاء: هذا صحيح.. نحن تقدمنا في السن هو يقترب من السبعين وأنا في طريقي إلى منتصف الستين من العمر.. التقاعد بات ضرورياً.. بالتأكيد لن نبتعد عنك.. سنكون بقربك ونساهم في مساعدتك..

وحيد: جهودك هي الأصل في تطوير العمل وفي النجاحات التي وصلت إليها مجموعة شركات ومصانع صفاء التجارية!.

(.. تدخل الخادمة وهي تحمل صينية الضيافة، وعليها كوبٌ من العصير وفنجانٌ من القهوة وكأسٌ من الماء.. تضعهم على الطاولة، وتسأل بهدوء)

منال: سيدتي هل من خدمة أخرى أقدمها؟

صفاء: لا.. فقط أكملي تجهيز غرفتي.. تأكدي من أنك لم تنسي شيئًا من لوازم الخلوة..

منال: بكل تأكيد!. مرة ثانية وثالثة

(تبتعد الخادمة إلى المطبخ حاملة الصينية الفارغة)

صفاء: **(تشرب بعض العصير.. ثم تتابع الحديث مع وحيد)**.. المكافآت يا وحيد؟

وحيد: جاهزة.

صفاء: هل تمَّ صرفها للعاملين والموظفين؟.

وحيد: **(وهو يضع فنجان القهوة على الطاولة)** أغلبهم.. نعم!. بقي عدد قليل منهم لم يستلم.. أو بالأحرى لم ينهوا أعمالهم بعد..

صفاء: **(متابعة)** وعاملات الميتم.. هل صرفت لهن الإعانة الربعية التي طلبتها؟.

وحيد: اطمئني يا أمي!. نعم.. ثلاثة أشهر كما طلبتِ **(يرتشف بعض القهوة)** الحمد لله.. إنتاجنا زاد عمَّا هو مقرر بنسبة 12٪ عن السنة الماضية!.

صفاء: الشكر لله.. **(واقفة.. وحيد يقف بعدها مباشرة)** سأصعد إلى جناح خلوّتي السنوية.. ثلاثة أيام أعيش مع نفسي.. من هذه الساعة كافة الأمور تتبع لك.

(وهي تسير باتجاه الدرج.. وحيد خلفها يمشي).

صفاء: **(متابعة حديثها)** أبلغ كافة رؤساء الأقسام أن الأمور آلت إليك ولم يعد من الضرورة مراجعتي إلا فيما يخص بعض الأمور المستعصية..

وحيد: (**باستحياء**) أمي!. أرجو أن تخرجي للحياة وتخلعي عنك ثوب الحزن وتغادري هذه الخلوة!. بعد هذه السنين الطويلة.

صفاء: لا. لا أستطيع.. عهد قطعته على نفسي لنفسي.. مجرد ثلاثة أيام أقضيها في التسبيح والاذكار.. طالبة المغفرة والثواب..

وحيد: (**مقاطعاً**) لم أفهم؟!. تطلبين الثواب والمغفرة بهذه الطريقة!. (**كمن يشكك**).. ثمّ عن ماذا تتوبين وأنتِ أكثر من يمد يد المساعدة للآخرين في هذه المدينة؟!. هل ارتكبت أمي ذنباً ما؟.. لا سمح الله!. وتريد أن يغفر الله لها؟

صفاء: (**بانفعال غير مقصود**) لا!. هل المغفرة والثواب يجب أن يقترنا بذنب ليصبح الطلب عليهما واجباً؟!.

وحيد: عفوك أمي!. ليس هذا بالضبط.. لم أفهم لمَ أنت مصرّة ومنذ خمس وثلاثين سنة أن تختلي في كل سنة مع نفسك ثلاثة أيام وحيدة تنقطعين عن الاتصال بالعالم، وفي غرفة مطفأة الأنوار عتمة، وسكينة مرعبة؟! (**يتوقفان برهة عن المشي**)

صفاء: الخلوة بالنسبة لي.. الملاذ الوحيد الذي يعيد توازن روحي، وترتيب أفكاري.

وحيد: ثلاثة أيام بلياليها تنقطعين عن العالم!. بلا طعام وقليلاً من الماء، وكثيراً من الأبخرة المعطّرة.. لا يا أمي. لا!. بتُّ أخاف عليك.. إنه الجنون بذاته!.

صفاء: (**بنزق واضح**).. هل تقصد أنّي مجنونة؟!

وحيد: حاشاكِ يا أمي.. لكن (**يسكت**)

صفاء: (مقاطعة) لكن ماذا؟

وحيد: هذا الطقس الذي تمارسينه أقرب إلى طقوس الـ.. (**يسكت**)

صفاء: (**متابعة**) طقوس الشعوذة.. أليس كذلك؟!

وحيد: (**مستدركاً**) لا. لا يا أمي!. بل هو أقرب إلى طقوس التحول عند أهل العرفان أو التصوّف.. الذين يدخلون في خلوات ذاتية حيث ينكشف لهم الستر والمخفي.. أي هم فقط من يحق لهم التماهي

مـع الـذات الإلهيـة، وهـذا عنـد العديـد مـن الأئمّـة أمـر مخـالفٌ للشريعة، ولا يجوز للنسوة أن يعملن به، وهو وقفٌ على الذكور أصحاب الكرامات التي خصّهم اللّه بها.. (**يتابعان المشي**)..

صفاء: (**مبتسمة ببرود**) لماذا لا يجوز للنساء أن يمارسن هذا الطقس.. برأي هؤلاء؟

وحيد: لأنهن ناقصات عقل ودين كما يزعمون ولأنهن، وحرصاً على.. (**يسكت**)

صفاء: (**بسخرية**) أكمل يا وحيد.. أكمل حرصاً على ماذا؟!.

وحيد: (**متابعاً**) حرصاً على الإناث منهن، والخوف من أن يصبن بالهلوسة تفضي بهن إلى. إلى. لا أعرف ماذا أقول؟!

(يسكت ويتراجع خطوة إلى الخلف)

صفاء: (**متابعة**) بل قل:.. إلى مستشفى الأمراض العقلية أليس كذلك!. على كل حال.. الحمد للّه إني لم أصب بأي عارض عقلي.. الدليل نجاحي في إدارة أعمالي الكبيرة خلال خمس وثلاثين سنة مضت، ومكانة العائلة وممتلكاتها، وأموالها التي حافظت عليها، وعملت على زيادتها.. هي الدليل والبرهان.

(تصعد درجتين من السلّم تم تتوقف ملتفتة نحو وحيد)

صفاء: اسمع يا بني.. اسمع: قد يأتي اليوم الذي تعرف فيه الحقيقة!.

وحيد: (**بدهشة واستغراب كبيرين**).. أمي!. تقولين كلاماً مثيراً لم أسمعه من قبل؟!.

هناك أمر ما تخفينه.. ما هو؟

صفاء: **(لا تعير اهتماماً لكلامه.. تتابع صاعدة الدرج إلى جناحها)** بإمكانك الرد على الهواتف والجوال إذا اقتضى الأمر.. أراك بخير يا عزيزي..

(.. يبتعد وحيد ماراً بالقرب من الخادمة.. يتبادلان النظر وذات الدهشة.. الخادمة تودعه حتى الباب إلى أن يخرج)

اظلام

الفصل الثاني

المشهد الأول

المنصة عبارة عن مستويين الأول إلى يمين المنصة، والثاني إلى يسار المنصة.. يفصل بينهما حاجز وهمي.. جدار شفّاف "الإنارة بين المستويين" بالتناوب

لوحة أولى

التشخيص: في المستوي الأول يمين المنصة.. الإثارة فقط فيه وعامة..

المنظر: يرينا مأتم عزاء في قاعة كبيرة.. جمع غفير من المعزين.. ثمة شيخ يتلو سورة من القرآن الكريم.. تابوت مسجى على طاولة كبيرة محاط بأكاليل الزهر.. العجوز "منير" وبيده منديل على وجهه يبكي مطاطي الرأس.. بينما " وحيد" ينظر باتجاه التابوت وبالقرب منه طفلته.. الجميع وقوفاً وبصمت ريثما ينهي الشيخ تلاوته.. بعد ذلك يتقدم أربعة من الرجال الشباب يحملون التابوت.. موكب التشييع يتحرك مع التابوت وخلفه..

رتم موسيقي جنائزي يصاحب الموكب.. ينتهي المشهد بخروج الموكب من القاعة الكبيرة..

لوحة ثانية

التشخيص: في المستوي الثاني يسار المنصة.. الإنارة فقط فيه وعامة..

يمثل جزءاً من مقبرة.. ثمة شاهدتان أماميتان لقبرين لأحدهما لقبر قديم للمرحوم (عبّاس الوالد المرحوم) والشاهدة الأخرى لقبر جديد البناء هو قبر (السيدة صفاء) على كل شاهدة قبر "عبارة تدلل على اسم المتوفى وتاريخ وفاته"..

المنظر: يرينا العجوز منير جالساً (القرفصاء) مسنداً رأسه على شاهدة قبر المرحومة صفاء، ومحتضناً بكلتا يديه الشاهدة.. ساكن لا يبدي أي حركة.

وحيد وابنته.. . وباقتان كبيرتان من الورد يحملهما صبي الورد والسائق.. الأربعة يمشون بخطى هادئة وحذرة باتجاه القبرين، ومسحة الحزن بادية على الوجوه.. يتقدم وحيد من السائق يشاركه بوضع الباقة الأولى على قبر والده.. ثم يتجه نحو منير محاولاً إشراكه بوضع الباقة الثانية على قبر الأم صفاء.. .

وحيد.. يمد يده إلى كتف منير بهدوء.. منير ساكن لا يرد.. يحاول وحيد تكرار الحركة ذاتها أكثر من مرة.. منير ساكن أقرب إلى الجمود.. لا يتحرك أو يرد..

وحيد: (**بهدوء قلق**).. بابا وحيد.. بابا وحيد!.

منير: (**بعد لحظات طويلة نسبياً.. يرفع رأسه قليلاً وبكلام متقطّع**).. أخيراً!.. أنا بابا!. أنا بابا!. خمس وثلاثون سنة بالتمام أنتظر!. بابا!. بابا!.. خمس وثلاثون سنة بالتمام وأنا أنتظر!.

(يمسك بيد وحيد.. يقبلها.. وحيد مأخوذاً بخوف يتراجع خطوتين للخلف.. منير يحاول الوقوف.. يبتسم.. يحاول الثبات لكنه ينهار، ويقع ميتاً)

المشهد الثاني

ملاحظات مهمة

في هذا المشهد سوف نستخدم القطع كما يحدث للفيلم السينمائي أو التشويش بسبب تردي أو سوء البث.. أثناء فتح أو قلب كل ورقة من دفتر ذكريات صفاء يسبقه قطع للفيلم أو تشويش.

المكان: جناح السيدة " صفاء" في الطابق العلوي في منزلها.. غرفة نوم مؤثثة بذوق رفيع.. نافذة مستطيلة مطلّة على الفراغ الخارجي.. يمكن استخدامها كشاشة عرض سينما، أو "بوابة زمن" نعود من خلالها إلى فترات زمنية معينة تخص الحياة الخاصة للعائلة.

المنظر: ثمة كرسيان هزّازان مواربان بشكل قوس باتجاه النافذة.. الإنارة بقعية مسلطة في المكان بشكل خافت ودائم.. مانيكان

يمثل السيدة صفاء وهي جالسة على الكرسي ووجهها نحو النافذة.. بينما وحيد جالسٌ على الكرسي الآخر يقلب ويقرأ في الدفتر تارة، وناظراً إلى النافذة "الشاشة" تارة أخرى.

وحيد.. يفتح دفتر مذكّرات صفاء: يظهر عنوان بالخط العريض على شاشة بوابة الزمن.. سنة 1958ميلادي.. بث شريط فيلم وثائقي يتحدث عن الوحدة بين سورية ومصر.. الشريط يرينا مقاطع تظهر على شاشة "بوّابة الزمن" من احتفالات الناس بالوحدة.. الأعلام والرايات واللافتات، والمصابيح والبالونات تزين الساحات والشوارع، وأسطح العمارات وبلاكين المنازل في المدينة..

صور كبيرة وصغيرة للزعيمين جمال عبد الناصر وشكري القوتلي.. السيارات والبوسطات تطلق زماميرها، وهي تعبر شوارع المدينة محملة بالناس الذين يعبّرون عن فرحهم بترديد الأغاني والأهازيج الوطنية.. ثمة عربة "ترام" كهربائية تعبر أحد الشوارع محملة بالنسوة وهن يطلقن العنان لحناجرهن.. ينشدن ويزغردن.. يستمر هذا المشهد لفترة زمنية معينة.. فجأة يتوقف المشهد على باب خشبي مزخرف مصنوع من خشب الزان في أعلاه مطرقة حديدية (سقّاطة) كما يعلوه لوح حديدي مكتوبٌ عليه "دار الأيتام".. أمام هذا الباب، وعلى الأرض ثمة مولودٌ صغيرٌ ملفوف بغطاء صوفي "اللفة أو المّهاد" وبالعامية "القنداق".. صوت بكاء المولود يملأ المكان.. يُفتح باب الميتم.. تخرج امرأة.. تتلفّت حولها تحمل المولود وتدخل به الميتم، وتغلق خلفها الباب..

(يحصل تشويش بسبب انقطاع الفيلم الوثائقي)

وحيد: **(يفتح صفحة أخرى من الدفتر: يظهر على شاشة بوابة الزمن عنوان.. /حرب الـ 67.. الخامس من حزيران.. / ثم يتم بث ((شريط فيلم وثائقي)) على شاشة الزمن.. الفيلم يرينا المعارك والقتال أثناء حرب حزيران.. طائرات.. مدافع.. صواريخ.. جنود عرب أسرى.. مقاطع من خطاب الرئيس عبد ناصر.. ثم إعلان**

استقالة الرئيس عبد الناصر.. صور لمظاهرات واحتجاجات تأييدا للرئيس عبد الناصر، ورافضة الاستقالة، ومنددة بالعدوان الإسرائيلي والعملاء..

خلال هذا الاستعراض الوثائقي.. ندخل عبر بوابة الزمن إلى داخل الميتم.. نرى مجموعة من الفتيان الأطفال تجمعوا حول مربيتهم أو معلمتهم وهم يصغون لحديثها عن الحرب..

يصاحب الفيلم الوثائقي صوت "مانيكان صفا" وهي تروي حكاياتها "باللهجة الفصيحة الممزوجة بكلمات عامية".

مانيكان صفاء: "معلمتنا الله يطوّل بعمرها ويصلحها كانت تقول: اسمعوا يا بنات.. البركة بكنَّ.. أنتن بطلات.. العدو اليهودي احتل فلسطين وطرد الناس من البيوت، ودمّرها وأحرقها وعمل أبشع الجرائم!. ارتكب المذابح، وعمل على قتل الشباب، والشيوخ، والعجائز، والأطفال الصغار.. من أولاد وبنات، ونسوان حوامل.. الله لا يوفق الصهاينة أولاد الكلب.. البركة بكنَّ يا بنات جيل المستقبل.. بكرى تكبروا، وتتجوّزوا، وتحبلوا، وتلدوا أولاد.. ويكبروا الأولاد، ويصيروا شباب وفدائيين شجعان، ويحرروا فلسطين، وكل الأراضي المحتلّة ويطردوا المستوطنين العدوين الصهاينة".

(لقطة موجهة على طفلة جميلة بعمر عشر سنوات تبكي بدمع غزير)..

يستمر الشريط بث الصوّر عن حرب الـ67 أثناء حديث صفاء

مانيكان صفاء: ليلتها بكيت كثيرا.. نعم بكيت بحرقة.. صحيح أنا بنت صغيرة. بنت عشر سنوات!. لكن والله أنا بفهم.. وأنا بعرف تمام التمام.. انو كل هل الحكي كذب.. بنت لقيطة.. لا أصل ولا فصل.. مقطوعة من شجرة!. من هو الرجّال البطل القادر يتجرأ على الزواج من بنت لقيطة؟!. بنت دار أيتام؟، أو حتى يتبناها وهي طفلة صغيرة؟!.

لا أمها معروفة، ولا قرعة أبوها معروف.. من أي بلد هنن؟. وشو أصلهم؟.. يا ترى هما أحياء؟ أم موتى؟.. الله وحده يعلم

بمصيرهما؟. معقول!. معقول يجيء يوم وأتجوز ويصير عندي أولاد يكبروا ويحرروا فلسطين؟!. الله على هذه الكذبة!. إلى هذا اليوم ما حدا دق باب الميتم وتبنىّ طفلة حلوة!. الحق معهم!. يمكن لأنهم شافوا عيناي!. العيون الزرقاء بتخوف!. هيك بتقول الحكاية!. الجنّيات السمراوات بنات الشياطين عيونهن زرقاء تخطف الرجال الحلوين من أحضان زوجاتهن.

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب صفحة جديدة)

(بث شريط أو صور عن ما يحصل داخل مشغل الميتم من أشغال يقمن بتنفيذها بنات الميتم، وعن اجتهاد وعمل صفاء، وتعلمها كيفية قص القماش..)

مانيكان صفاء: .. " مرّت الأيام ،وكبرت أنا معها.. كنت الأولى بمدرسة الميتم.. والأولى بكار الخياطة.. رغم صغر سنّي تعلمت قص ،وتصميم الملابس والموديلات.. مشغل الميتم كبر.. وبنات الميتم كبروا معي، وماكينات الخياطة زاد عددها.. المدخول المادي للميتم تحسن كثيراً.. صار يصرف على حاله مما ينتجه ومما يربحه".

(قطع / تشويش.. وحيد يقلّب صفحة جديدة)

على بوابة الزمن يظهر تاريخ 1969 ميلادي

مانيكان صفاء: سنة 1969 ميلادي أحرق الصهاينة المسجد الأقصى.. أول القبلتين وثالث الحرمين.. ولا يشد الرحال إلا إلى ثلاث.. المسجد الحرام ،والمسجد النبوي الشريف ،والمسجد الأقصى.. يا ساتر!. يا لطيف الطف!. اللهم صلّي عليه..

(بث **صور أو شريط سينمائي عبر شاشة بوابة الزمن عن جريمة إحراق المسجد الأقصى والمظاهرات التي قامت في الكثير من البلاد في العالم تستنكر هذه الجريمة.. .)**

مانيكان صفاء: يومها قامت الدنيا وما قعدت.. العرب والدول الإسلامية اجتمعوا واتحدوا بمنظمة واحدة.. نسيت اسمها؟. لأ. تذكرت!. كان اسمها منظمة التعاون الإسلامي.. يومها قرروا الدفاع عن القدس ودعم فلسطين.. بس كله حكي بحكي!. بعدها الأيام دارت.. وسنين عدت

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب صفحة

تظهر سنة 1973م على بوابة الزمن)

مانيكان صفاء: .. **الكلام مشوب بالعامية المخففة:**

"أجت السنة إلّي فرحت فيها مرتين.. 1973 حصلت على شهادة البروفيه وطلعت الأولى على مدارس المدينة.. في ذات السنة وقعت الحرب بين العرب واليهود الصهاينة في شهر تشرين.. اخواننا المصريين يسمّوه شهر (أكتوبر).. يومها قالوا إن العرب انتصروا.. وقالوا كمان.. انّ خُرافة الجيش اليهودي القوي زالت للأبد.. يعني فلسطين في طريقها للتحرير وطرد اليهود الصهاينة"!.

(بث صور أو شريط سينمائي عن حرب تشرين عبر بوابة الزمن..

أثناء عرض الفيلم يستمر مانيكان صفاء بالكلام)

.. . وحكوا كلاماً كثيراً، وغالوا بالكلام عن بطولات الجيوش العربية.. عن المقاومة.. يومها فرحنا، وغنّينا، وزغردنا، ورقصنا حتى الفجر في دار الأيتام، وإدارة الدار وزعت الحلويات على الناس، والناس في الشوارع عم تحتفل وأغاني وأناشيد النصر في الإذاعات والتلفزيونات العربية.. هتافات.. خطابات.. انتصرنا.. انتصرنا!. بس ما بعرف شو بدي أقول؟. صحيح انتصرنا، وإلاّ كانوا عم يكذبوا علينا؟!.

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب الصفحة)

تظهر سنة 1975 /الحرب الأهلية اللبنانية.. بث فيلم أو صور (حسب المتوفر) عن الحرب.. تظهر بشاعة الحرب والخراب والقتال في الشوارع والأحياء في المدن اللبنانية المختلفة.. ..

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب الصفحة)

تظهر سنة 1978 ميلادي.. بث شريط أو صوّر.. حديقة البيت البيض.. توقيع اتفاقية كامب ديفيد المصالحة بين مصر والكيان الصهيوني.. الرئيس الأمريكي " جيمي كارتر "

يتوسط مناحيم بيغن رئيس الوزراء الصهيوني، والريس المصري محمد أنور السادات.

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب الصفحة)

تظهر سنة 1981 على شاشة..

بث فيلم عن مصرع الرئيس المصري السادات.. أثناء العرض العسكري الشهير في مدينة 6 أكتوبر.

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب الصفحة)

تظهر على الشاشة سنوات متتالية تعبر عن أحداث 1982 - 1990 – 1991 - 1994 -.. .إلخ

نرى على شاشة بوابة الزمن وبشكل متسارع من متل:

بث فيلم أو صور (حسب المتوفر) عن الاجتياح الصهيوني واحتلال بيروت من الجيش الصهيوني بزعامة وزير الدفاع " أرييل شارون "

بث فيلم أو صور عن مذبحتي صبرا وشاتيلا.. (المشاهد المثيرة والمرعبة)..

بث لقطات مع التواريخ عن الوضع العربي المنهار.. ((مؤتمرات - معاهدات.. حروب وثورات عن الربيع العربي.. إلخ.. من مثل مؤتمر مدريد – معاهدة وادي عربة – اتفاق أوسلو - ثورات الربيع العربي.. .إلخ..))

مانيكان صفاء يواصل كلامه بالعامية الأقرب إلى الفصحى:

متل ما شفتوا، واسمعتوا، وعرفتوا.. يا حسرتي شو صار بهل الأمة العربية؟!

اليوم بالذات!. بدّي افهم.. شو صار بفلسطين والقدس؟. ضاعت فلسطين والقدس وأراضي بلاد تانية معها!. وصارت إسرائيل صديقتنا وتاج راسنا.. على ما يبدو هذا الحكي القديم كلّه.. عن الحرب والنصر.. طلع كذب بكذب!. الوحدة العربية كذب بكذب!. الحلم العربي كذب بكذب.. القومية العربية كذب بكذب!. بلاد العُرب أوطاني كذب بكذب!. الشعارات كذب

بكذب!. بترول العرب للعرب كذب بكذب!. فلسطين عربية وستبقى عربية.. كذب بكذب!. لم يستحوا!. حتى عن الخريطة شالوا اسم فلسطين وحطوا اسم اسرائيل الشقيقة.. يا للّه.. (بسخرية).. يمكن الزعماء الكبار بدُّن يرتاحوا من فلسطين وهمّها.. على رأي المثل "بلا وجع قلب" وبلا فلسطين!. وهيك احنا نكون ارتحنا من فلسطين ومن وجع أهل فلسطين؟! والأنكى من هيك طلعونا بثورات قالوا عنها ثورات الربيع العربي.. شو هل المسخرة؟ بسبب الربيع العربي.. قامت حروب بين الإخوة.. وتقسّمت البلاد.. ماتوا ناس، وتاهوا ناس، وهاجروا ناس!. وصرنّا شحاذين على باب اللّه!. يا جماعة أنا آسفة.. نسيت وأخدني الحكي الفاضي ، ودخلت معكم في كلام لا يودّي ولا يجيب.. كلام انتهى مفعوله، ومامنّو فايدة.. خلونا نرجع لقصتنا وبالعربي الفصيح..

(قطع / تشويش.. وحيد يعود بالدفتر ثلاث صفحات إلى الخلف)

يظهر على الشاشة عام 1976 ميلادي.. فيلم يرينا الباحة.. داخل دار الأيتام.. ادارة الدار من معلمات ومجموعة فتيات وبينهم فتاة شقراء جميلة (**صفاء**) يحتفلن بنجاحها وتفوقها.. (**نسمع أغنية عبد الحليم حافظ.. الناجح يرفع ايدو..**)

مانيكان صفاء: عام 1976 ميلادي.. اللّه وفقني وحصلت على البكلوريا الفرع الأدبي.. مو بس هيك.. طلعت الأولى على المدينة.. لكن يا خسارة!. يا خسارة!. كان حلمي أن أدخل الجامعة.. كان حلمي أن أدخل كلية الحقوق، وأتخرج ثم أدخل سلك القضاء لأكون قاضية.. كان شغلي الشاغل أن يسود العدل بين الناس.. أشوف حل للأولاد اليتامى.. من مثلي.. من حقنا العيش بكرامة.. من حقنا ناكل ،ومن حقنا نلبس ،وكمان من حقنا نلعب، ونتعلم، ونحب، ونتزوج، ويكون عندنّا اولاد ،ومن حقنا ننتخب ونختار الزعامة، ونصبح بأعلى المراتب.. ما هو ذنبنا حتى الناس تذلنا وتحتقرنا؟!. ما هو ذنبنا لنحمل غلط غيرنا؟!. شهوة المتعة!. شهوة النذالة.. حبّوا يتمتعوا فجابونا، وبهدلونا، ورمونا، وشرشحونا

واستحوا حتّى ينسبونا.. أصبحنا أولاد زنى!. لا حسب ولا نسب.. افهمونا يا عالم.. افهمونا!. نحنا أتينا للدنيا غصباً عنّا.. لا بأيدينا لا بأيدينا!. لهذا السبب رفضت دخول الجامعة.. ولأني أخاف البعض أن يسخر منّي، أو يتلفّظ بكلمات أو ينظر باحتقار على أنّي ابنة ميتم.. بنت لقيطة.. بنت زنى.. لا أب معروف النسب ولا أم.. استغفر الله!. يمكن تكون التي ولدتني قد زنت برضاها، أو أنها اغتصبت من قوّاد عكروت اختفت أو ذبحت، أو قتلت نفسها، من قهرها وخوفها من العار، أو الفضيحة التي سببتها لأهلها أو عشيرتها؟!"

(نسمع صوت بكاء صفاء لفترة)

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب الصفحة)

يظهر على الشاشة عام 1978 ميلادي

(بث فيلم أو صوّر أثناء حديث صفاء عن العمل في المشغلين التابعين لدار الأيتام..

البث يرينا مقدار التطور والتقدم اللذين أصابا المشغلين.. وكذلك أحوال العاملين فيه

صفاء تتحرك بين الماكينات، وهي توجه وتبتسم وتشكر، وتثني على العاملين والعاملات)..

مانيكان صفاء: ".. . هذه السنة ستكون محملة بالمفاجآت.. أولها أن مشغل النسيج ومشغل الخياطة في دار الأيتام.. أقلعا وأصبحا من أهم مراكز الإنتاج وأكبرها في المدينة وحققا أرباحاً عادت على الدار والعاملين فيها بالوفرة، والاكتفاء، وتحسنت أوضاع العاملين من أناث وذكور من اليتامى وغير اليتامى.. حتى بعض اليتامى تزوّجوا، وما كان ليحلموا بذلك.. سنتها أصبحت عضوّة في إدارة دار الأيتام، ومسؤولة الإنتاج بشكل مباشر عن المشغلين الكبيرين، وهذا يعود لنشاطي الكبير فيما آلت إليه أمور العمل من تطوّرٍ ونجاح.. كان لحضوري الشخصي الدّور البارز والهام في جذب المتعاملين معنا من المدراء في الشركات، والوكالات،

وأصحاب المحلات الكبرى التي تشتري إنتاجنا.. كنت محط إعجابهم لسببين أولهما نجاحي الكبير في إدارة العمل والثاني قوة شخصيتي وجمال شكلي.. أقول هذا بصراحة وبلا خجل.. كمْ كبيرٌ من عروض الزواج بالسر والعلن انهالت عليّ!. العرسان كانوا من الأغنياء، ومن كبار السن أغلبهم ، ومن الشباب وحتى صغار السن.. وقتها لم يرق لي أو يدق قلبي لأحد منهم.. كان همّي المزيد من النجاح والتألق وإعجاب الآخرين بي!.هذا بحد ذاته انتصار لي ولأبناء جلدتي اليتامى في الدار.. على الرغم من مكابرتي ورفضي لتلك العروض وجدت في نصيحة معلمتي ومربيتي في الدار الشيء الذي أتمنى تحقيقه.. ألا وهو أن أنتمي لعائلة محترمة، وأن يكون لي اسم كامل، وعائلة أساسها الزوج والأولاد، ومع الأيام.. طموحي كبر ونجاحاتي زادت، وإعجاب الناس بيَّ استثارني أكثر فأكثر، ودفعني إلى العدول عن المكابرة، واقتناص الفرصة المناسبة لتحقيق المراد.. لكن ليس بتلك السهولة التي قد يراها البعض.. هو التخلص من واقع المعاناة بالزواج.. لا!. لست مجبرة على التخلّي عن أشياء ناضلت من أجل تحقيقها.. التعلم والتفوق والنجاح والشخصية والجمال.. فما الذي ينقصني؟ لماذا لا أكون سيدة مجتمع؟. امرأة لها تميّزها بحضورها المتألق، وأناقتها، وسحر جمالها الأخاذ، وروعة وسلاسة اسلوب حديثها.. "

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب الصفحة)

يظهر على الشاشة عام 1980 ميلادي

بث فيلم أو صوّر عن اللقاءات التي كانت بحضور منير وصفاء والمربية.. في أماكن مختلفة، وفي مواقع العمل المختلفة يرافق بث الفيلم حديث مانيكان صفاء فقط وهي تشرح الوقائع..)

مانيكان صفاء: ".. . لم تنتهِ سنة 1980 ميلادي حتى تعرفت على ابن أكبر رجل أعمال في المدينة.. السيد منير!. هذا الشاب الوسيم الذي جاوز عمره منتصف العشرين.. على مدى سنة أو أكثر بقليل كنّا نلتقي.. نلتقي في أماكن عامة.. في أكثر لقاءاتنا كانت معلمتي

ومربيتي تحضرها.. في البداية كان حديث اللقاءات لا يخرج عن كونه حديث عن الإنتاج والعمل والعمال والماكينات، ولا يخلو من المجاملات، وأحياناً عن بعض المسائل الاجتماعية.. من مثل الجمعيات الخيرية ودور الأيتام.. كان منير يبدي رأياً حماسياً ومؤيداً لرأيي.. بل أكاد أحسبه يتيماً ولقيطاً مثلي لما يبديهِ اتجاه من هم يتامى!. هذا ما جعلني أرتاح له بل، وأعجب به لدرجة بت أفكر فيه دونما يشعر هو بذلك!."

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب الصفحة)

يظهر عام 1981 ميلادي

مانيكان صفاء: ".. سنة 1981م.. كانت سنة الحسم بالنسبة لي كنت قد أصبحت مديرة دار الأيتام، وأصبحت المسؤولية كبيرة، وزاد حجم العمل والإنتاج تضاعف مرات، وأصبحت في عيون البعض.. بيضة الديك كما تقول العامة.. كلٌّ يرغب لقائها واستمالتها بل ويحلم بالزواج منها.. أصبحت معبودة الجماهير وكأني في شهرة سعاد حسني الممثلة المعروفة في فيلم " خلّي بالك من زوزو"!. على كل حال.. كنت شبه من حزم أمره وينتظر الفرصة المناسبة.. "

(قطع / تشويش)

وحيد يقلب صفحة قرأها سابقاً من الدفتر.. يظهر على شاشة بوابة الزمن عام 1982.. سرعان ما يحدث تشويش..

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب صفحة)

يظهر على شاشة بوابة الزمن 1983 عام

بث شريط أو صوّر عن حفل باذخ يقام في قاعة مطعم مشهور في فندق من الفنادق الفخمة في المدينة.. يزدحم فقط بعمال وخدم الفندق وفرقة موسيقية تشارك في أحياء الحفل، لا يلاحظ مدعوين ولا حتى المربية المرافقة لصفاء..

مانيكان صفاء يتابع الكلام: في شتاء 1983م.

كان أول خروج لوحدنا دون المربّية، وفي قاعة مطعم من مطاعم أشهر فنادق المدينة، وفي ركنٍ جميل ازدان بالورود والشموع

والبالونات الملونة والأشرطة المعكرونية التي افترشت الأرض، وثمة طاولة دائرية عليها ما لذ وطاب من مختلف ألوان الطعام وإلى جانبها طاولة مستطيلة عليها قالب "الكاتو" والحلوى المختلفة والفاكهة.. ومن على "البيست" جوق موسيقي مؤلف من عدد من العازفين الماهرين.. عزفوا موسيقى هادئة.. لحظتها سألت نفسي.. (بالعامية) وبعدين؟!. قلت لمنير متصنعة الغباء السيد منير: هل هنا حفلة أو مناسبة أو عيد ميلاد لقريب أو صديق أو صديقة لك.. دعوتني لها ولم تخبرني؟. ثمّ المكان شبه خال من المدعوين عدا "الكراصين" في المطعم!.

منير ردّ بهدوء: ولو.. هي مفاجأة أولاً، وتعبيراً عن إعجابي الشخصي بك سيما وأننا عملنا معا لسنتين متتاليتين.. وجدت فيك الإنسانة المبدعة والمرأة القديرة في إدارة شؤون العمل والعاملين من عاملات وعمال وهذا ثانيا.. أحببت أن أرد لك بعض الجميل وهذا ثالثاً..

قاطعته وقلت له أما رابعاً يا سيد منير؟.

رد بحياء: جمال روحك وجمال شكلك وكل ما فيكِ!.

ضحكت وقلت له: أمن أجل هذا دعوتني؟.

ردّ قائلاً: بل المناسبة هي التي أتاحت لي الفرصة!. إنه عيد ميلادك.. كنت قد سألت المربية عنه وأخبرتني أنه في عام 1958 ولدتِ في شتاء يوم 23 شهر شباط.. يوم إعلان الوحدة بين الشام ومصر.. عيد الوحدة وعيد ميلادك توءم..

لحظتها انهمرت دموعي بغزارة وابتعدت جانباً.. لحظات مرّت قاسية ضغطت على نفسي فجعلتني أحدثها.. هل أترك المكان وأغادر؟. أم أبقى وأتابع؟.. تماسكت وابتسمت له.

سألته: وبعدين يا سيد منير؟!. احمر وجهه وأطرق خجلاً مثل حمل وديع

وردّ بهدوء: لا قبلين ولا بعدين!. عيد ميلاد سعيد.. ثمّ قدم هدية غالية الثمن.. لم أحلم بتزيين عنقي بمثلها؟!.. أكملنا الحفلة

بكــلام خفيــف مشــوب بــبعض المجــاملات، والكلمــات الرومانسية.. لحظتها كنت أتمنى أن يبادر بإطلاق سهمه نحوي، وينهـي مـن قاموسـي كلمـة وبعـدين؟!. انتهـت حفلـة عيـد الميلاد بهدوء.. عند باب المطعم ونحن نستعد للخروج وعودة كل منّا إلى بيته.

قال: بعد أن طرد الخجل قليلاً.. فكري ثم قرري هل نعود معاً، وقريباً إلى بيت واحدٍ يجمعنا؟..

لحظات صمت سادت وأضفت على روحي وعقلي دهشة وغبطة وسرعان ما جرت الدموع!. افترقنا، ولم أجد لكلمة "وبعدين" موضعاً فقد غادرت لحظتها قاموسي!. لم يمض شهر حتى.. ..

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب الصفحة)

يظهر على شاشة بوابة الزمن عام 1983

ليلة عقد قران صفاء.. .

المكان: بيت في عمارة.. صالة متوسطة الحجم.. مؤثثة بطريقة تنم عن ذوق رفيع وجميل.. ثمة أبواب عدة تفضي إلى غرف ومطبخ وغيرها.. نافذة مطلة على الشارع تتوسط الصالة.. ساعة جدارية معلّقة.. عدة صور معلّقة، وكبيرة وملونة للسيدة الشابة والجميلة "صفاء" وهي في أوضاع مختلفة.. ثمة طاولة وحولها بعض الكراسي.. أريكة أو أكثر وتلفاز، وطربيزات وتلفون من الطراز القديم..

المنظر: يرينا صفاء والمربية ورجل (**الوكيل**).. الشاب منير ومعه صديقاه الشاهدان على عقد الزواج.. الشيخ "المأذون" وهو يحمل دفتراً كبيراً يستخدم في كتابة عقود الزواج.

المأذون: الآنسة صفاء.. هل تقبلين بالسيد منير زوجاً لك.. على سنّة الله ورسوله؟

صفاء: **(وهي تذرف الدموع.. لا ترد)..**

المأذون: **(يكرر)** هل تقبلين السيد منير زوجاً لك.. على سنّة الله ورسوله؟

المربية: **(وهي تكز على شفتيها)** تقبل سيدنا الشيخ.. تقبل!

(تنهر بأصابع يدها كتف صفاء)

المأذون: **(للمربيـة)**.. هـي الـتي سـوف تتـزوج ولـيس أنـتِ.. أريـد سمـاع موافقتها..

صفـاء: **(بصوت شبه متقطع وبحياء)** موافقة شيخنا

المأذون: **(يكرر مضيفاً)**.. هل تقبلين السيد منير زوجاً لك على سنة الله ورسوله؟

مقدم صداق مئة وخمسون ألف ليرة ومصاغ من الذهب، وشقة سكنية وغيرها متفق عليه وموثق لدى المحكمة أصولاً، ومؤخر صداق مئة وخمسون ألف ليرة حين الطلب؟

المربية: **(بفرح طفولي وقد نسيت نفسها)**.. موافقة سيدنا الشيخ موافقة!.

المأذون: **(بنرفـزة)** أسـألها هـي ولم أسـألكِ.. هـي الـتي سـوف تتـزوج ولـيس أنت!

صفـاء: **(بصوت شبه متقطع وبحياء)** موافقة شيخنا

المربية: **(بالعامية)** شو؟. ألم أقل لك سيدي الشيخ إنها موافقة!.

(يضحكون)

المأذون: وكيل العروس

الوكيل: أنا سيدي

المأذون: الشاهد الأول

الشاهد1 : أنا سيدي الشيخ

المأذون: الشاهد الثاني

الشاهد2 : أنا شيخي.. أنا

المأذون: **(للعريس والوكيـل)**.. ضـع كـل منكمـا يـده في يـد الآخـر وردد كـل منكمـا الجمـل الـتي ألقيهـا عليـه.. وكيـل العـروس للعـريس منير: زوجتك موكلتي على سنة الله ورسوله.

الوكيل: زوّجتك موكلتي على.. .. ..

(يختفي الصوت تدريجياً)

(قطع / تشويش)

المشهد الثالث

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب صفحة)

يظهر على شاشة بوابة الزمن عام 1984

المكان: **صالون البيت في العمارة.. .. صفاء جالسة مقابل النافذة تكلم روحها**

صفاء: عشرة أشهر شارفت على الانتهاء منذ تزوجنا! مضت وكأنها عشر سنوات سجن.. أعيش معظم الوقت وحيدة بين الجدران الأربعة.. لا أخرج إلى مكان.. لا أعمل.. بدأت أنسى الناس والأصدقاء.. حتى المربية رحمة الله عليها لم أحضر دفنها وعزاءها.. أنا سئمت المكان وكرهت المقام.. الوحدة قاتلة.. "الجنة بلا ناس لا تداس".. إلى متى يا منير.. إلى متى ووعودك الواهية؟. كنت تقول: أعدك شهر أو شهران وأعلن زواجي أمام الناس.. والدي سوف أضعه أمام امر الواقع.. أنا وحيده وسيقبل.. سوف أعمل فرحاً وعرساً لن تنساه المدينة.. سوف أدعو إليه كبار التجار والملاكين وأعيان البلد ووجهائه والمسؤولين والسيد المحافظ، وقائد الشرطة، وسوف يغني في حفل الزواج صباح فخري وأحمد عدوية.. ستكونين سندريلا المدينة وسيدتها.. سيدة رجل الأعمال منير!. إلى متى وعهودك الواهية تستمر؟!. لا أنكر ما أنا عليه من ثروة كبيرة أملكها بسببك.. منزل فخم.. مزرعة.. أساور وأطواق وخواتم من ذهب وألماس كل هذا، ومع ذلك لم أكن سعيدة، ولن أُسعد بها إلا معك.. أنت الحلم والزوج والحبيب.. أنت النور الذي يضئ حياتي.. أنت القدر والمخلّص!. أنت الأمل من أجله أركع ومن أجله أصلّي وأدعو الله أن نعيش بسلام.. إلى متى يا منير أنتظر إشهار زواجي؟. حتى أنك تمنع عني الأمومة وهي حق من حقوقي.. كم أتمنى أن أنجب

طفلاً يملأ عليَّ وحدتي ويشغلني عنها!.

تنهض واقفة تتحرك بين قطع الأثاث.. تنقر بأصابعها على حواف الطاولة.. تضع كفيها على صدغيها.. تجلس على كرسي ما.. تنهض بعصبية.. تتحدث بنبرة فيها بعض الحقد..

صفاء: والدي!. والدي.. كفى!. لم أعد أطيق سماع هذه الكلمة.. إن كنت تهاب والدك وتخافه إلى هذا الحد!. لِمَ تزوجتني؟. أنت لا تملك قرار المواجهة..

أنت مسلوب الإرادة.. أنت لا شيء يا منير!. أنت ضعيف لا قدرة لك على الدفاع عن حبنا الذي رسمته لي، وكم من المرات كررت أنا بلاكِ لا طعم للحياة عندي.. أموت لو تخليتِ عني.. رصاصة واحدة في رأسي وأنهي حياتي.. لا أستطع العيش لحظة واحدة بعيداً عنك.. ملاكي وروحي أنت!.

أنت الحبيبة، والأم التي غادرت حياتي وتركتني وحيداً.. أنسيت ترديد هذه الأسطوانة التي كنت دائما تسمعني إياها قبل الزواج؟. حياتك معي الآن لا تتعدى مجرد روتين يومي مكرر.. تعود للبيت في منتصف النهار لتأكل وتشرب، وتقضي وطرك ثم تغادر البيت عصراً لتعود في اليوم التالي وهكذا .. . حتى أنك لم تنم في البيت منذ تزوجنا سوى ليال معدودات..

أنا زوجتك أم عشيقتك؟. أم مجرد امرأة مومس تحن لها وقت حاجتك؟. هذه ليست حياتي وأنا المرأة الشابة المتعلمة الجميلة التي يهابها ويقدرها ويتمنى كبار المدينة أن يحظى أحدهم بابتسامة منّي.. أقبع اليوم وحيدة بين الجدران الأربعة.. لا وألف لا!. لم أعد أطيق هذه العيشة يا منير!. لم أعد أحتمل!

(صوت قرع على الباب.. نسمع صوت المفتاح في القفل..
يدخل منير حاملاً بعض الأكياس الورقية.. صفاء واقفة..
منير يضع الأكياس على الطاولة.. ينظر نحو صفاء بدهشة)

منير: خيراً ان شاء لله!. (**يقترب منها.. تشيح بوجهها عنه وتستدير**).. حياتي!. ما بك؟

(لا ترد.. يمرر أصابع يده على شعرها من الخلف.. تبتعد)

منير: **(بلطف وحنان)** صفاء.. حبيبتي!. أتيت ببعض الخضار واللحم والفاكهة لتعملي لنا طعام الغذاء.. **(مجاملاً)** أمي التي غادرت الدنيا.. كانت تحب الملوخية وتطبخها باستمرار.. الله يرحمها.. كنت أكلها أحياناً وأحياناً لا.. أما من طبخ يديك فهي ألذ.

صفاء: يكفي يا منير **(بانفعال)** منير!.

اسمع جيداً.. أنا لم أعد أطيق هذه المجاملات وهذه العيشة!.

ابحث عن حل ينهي تلك الأزمة، ودعني أمارس حقي في أن أكون أمّاً..

ويكون لنا طفلٌ نتقاسم اللعب معه!. منير الحل بيديك إما أن نعيش معاً حياتاً سعيدة ننعم بالهدوء والطمأنينة، وإمّا أن نفترق؟!

منير: هو. هوووو.. عادت حليمة لعادتها القديمة!.

هذا الموضوع ما آن له أن ينتهي.. يا حبيبتي!. يا صفاء تحدثنا في هذا

الأمر كثيراً.. أنتظر الفرصة المناسبة لأعلن زواجي أمام الناس بعد أن تؤول أملاك والدي لي.. عندها سوف يذعن والدي للأمر الواقع ويتقبل فكرة هذا الزواج لأني وحيده ووريثه.. أنت تعلمين أن زواجنا تمّ في السر.. أليس كذلك؟ بسبب عاداتنا وتقاليدنا.. أخفيناه.

صفاء: كنت تقول: شهران أو أقل، وأعلن زواجي أمام الناس.. أقنعتني بهذا وهذا كان شرطاً يا منير لكي نتزوج!. ثم قل لي: من أين ابتدعت فكرة عندما تصبح الأملاك باسمك سيضطر والدك قبول فكرة زواجي منك؟!. كذبة جديدة يا منير؟

صفاء: **(ترفع من حدة صوتها)** اسمع يا منير: أنا لم أخلق لأعيش في الظلام..

ناضلت حتى خرجت من عتمة الميتم.. لست مضطرة للعودة مرة ثانية إلى عتمة ظلامٍ أشدّ ألماً، وأكثر قهراً.. لا وألف لا!

منير: يا حبيبتي.. لننس هذا الموضوع ونترك مصيره للأيام.

صفاء: ننسى الموضوع!. بهذه السهولة يا منير.. (**تفاجئه**).. ننسى الموضوع وفي أحشائي جنينٌ

منير: (**مصعوقا**) مـ.. ماذا؟ في أحشائك جنينٌ.. يا إلهي!. يا إلهي!. لا أصدق

أنتِ.. أنت تمزحين وأنا لا أطيق المزاح في مثل هذه الأمور المصيرية

صفاء: (**مقاطعة بانفعال**) أنا لا أمزح.. هذا حقي في أن أكون أمّاً مثل كل امرأة في العالم!.

منير: (**يصرخ**) كارثة سوف تحل بي!. لو جاء هذا الولد إلى الدنيا!

صفاء: (**بذهول**) كارثة؟! كارثة ستحل عليك فيما لو أصبح لدينا ولد؟!

مستحيل!. ماذا أسمع؟! ماذا تقصد من كل ذلك؟

منير: (**بتشنج زائد**) أقصد الذي أقصده.. هذا الجنين لا يجب أن يعيش.. ابحثي له

عن صرفة.. تخلّصي منه.. أجهضي.. هناك من يجري عمليات إجهاض..

صفاء: (**رافضة**) بانت نواياك.. الآن عرفت كم أنت كاذب!. مخادع! لن تحلم

بذلك يا ابن الأكابر!. ادفع عمري من أجله ولن أجهض!. سيعيش يا منير!.

سيعيش.. أقسم لك بحياتي أنه سيعيش!

منير: (**يرفع صوته مهدداً**).. لا. لا وألف لا!. أنا لن أسمح لهذا المخلوق أن يأتي.. ادفنيه في أحشائك قبل أن يولد!. لن أسمح له بالحياة.

صفاء: (بانفعال وتشنج كبيرين) أنت لست بالخالق لِتسمح أو لا تسمح!. اللّه من يحيي، ومن يُميت!.

منير: **(مقاطعاً ومهدداً)** لم يكن هذا اتفاقنا.. أنصحك بالتخلص منه بسرعة وضعي بحسبانك أنه لو عاش لن أعترف به.. بل سأدفنه وأدفنك معه!.

صفاء: **(بذهول وانفعال)** حقير!. تهددني يا منير؟!

منير: أنا لا أهدد.. بل أفعل ما أريد لكي أتخلص مما يزعجني، ويعكر عليَّ صفوة عيشي! ثم هذا الولد فيما لو أتى الدنيا، وشبّ وعرف حقيقة أمه اللقيطة فماذا سوف..

صفاء: **(مقاطعة.. تزداد انفعالا)** حقير!. لم أعرف أنك بهذه القذارة والنذالة!.

لا أصدق!. منير الذي قبّل الأرض وصلّى لله ودفع الغالي والثمين من أجلي.. من أجل أن أتزوجه؟!. يملك قناعين!. **(تنهار وتبدأ بالصراخ)**.. شيطان!. سافل! اخرج من حياتي!. لم أعد أطيق رؤية وجهك المزيّف.. القبيح!.

منير: **(مقاطعا.. بانفعال زائد)** اسمعي أيتها اللقيطة.. أنت طالق. طالق، طالق.

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب صفحة)

يظهر على شاشة بوابة الزمن: صباح اليوم الأخير من عام 1984

المنظر: يرينا قاعة **(كافتيريا)** في فندق فخم

ثمة امرأة جميلة جداً.. تضع نظّارة سوداء على عينيها.. تجلس إلى طاولة مربعة الشكل عليها أصيص ورد أحمر.. ترتشف القهوة.. تكلم " الكرصون: بهمس.. تشير نحو الطاولة المستطيلة التي يجلس حولها مجموعة من الرجال الأثرياء كبار السن رجل كهل وسيم يبادلها النظرات.. ينادي على الكرصون ويكلّمه بهمس.. الكرصون يتنقل بين الطاولتين عدة مرات.. تنتهي المشاورات بين الطاولتين عبر الكرصون بانتقال الرجل الكهل الذي ينهض ويتجه نحو الطاولة التي تجلس عليها المرأة الحسناء صاحبة النظّارة السوداء.. ثمة حوار يدور بينهما.. ابتسامات متبادلة.. ضحكات..

صفاء: (**وهي تزيح النظّارة عن عينيها**) أنت عبّاس.. المعروف بأبو منير؟

عبّاس: (**بذهول مفاجئ**) الله وأكبر!. يا إلهي!. يا لهذا الوجه وتلك العينين الزرقاوين

صفاء: لم تجب على سؤالي؟

عبّاس: (**مازال مأخوذاً**) بلى!. لم أفهم؟.. سألتني عن ماذا؟ نسيت!.

صفاء: (ضاحكة) لم تعد الإجابة مهمة..

عبّاس: سمعت كثيراً عنك، وعن نشاطك في مشاغل الميتم والمصنع الجديد الذي صار إنتاجه يفوق المستورد جودة وسعراً وكله بفضلك.

صفاء: بل وبفضل عمال وعاملات الميتم أيضاً.

عبّاس: حدثني ولدي الوحيد منير عنك.. عن نشاطك وجمالك واسلوب تعاملك.. كم تمنيت أن أتشرف بالتعرّف إليك.

صفاء: ابنك منير حدثك عني؟

عبّاس: نعم!. كثيراً حتى بدأت أشك بأنه مغرم بك!

صفاء: (**بمجاملة**) معقول!. إلى هذا الحد؟

عبّاس: (**متابعاً بإعجاب**) وأكثر!. لكن فجأة ومنذ حوالي السنة انقطعت أخبارك عن السوق!. خيراً ان شاء لله؟

صفاء: خيراً.. كنت منشغلة ببعض الأمور.. أحاول حلّها.

عبّاس: افتقدك أغلب التجار تساءلوا عن سبب غيابك؟. (بدهشة) يا سبحان الله!.

الآن وفجأة تظهرين في هذا المكان مثل ملاك وأمامي.. يا إلهي!. كم كنت أتمنى أن ألتقي بك من زمن.. (**كمن يتغزل**) بصراحة.. بصراحة!. ابني منير.. لم يشجعني على رؤيتك..

صفاء: (عن قصد تسأل بلهفة متصنّعة) منير ابنك!.. لماذا؟

عبّاس: (**بعفوية وثقة**) كان يردد أمامي.. أخاف عليك يا والدي من جمالها وسحر كلامها أن يأسراك، وأنت أرملٌ منذ سنوات بعيدة!.

صفاء: ابنك منير؟!.

عبّاس: **(متابعاً بجد وإعجاب)** يبدو أن منيراً كان يخطط لأمر ما؟! إما أنه كان مغرماً بكِ؟!. أو أنه فعلاً كان خائفاً في أن أقع أنا أسير جمالك!.

(تضحك.. بينما هو مازال مأخوذاً بجمالها)

عبّاس: هل.. هل تعرفين منيراً.. ابني الوحيد؟

صفاء: هـوو. هـوووو!. **(بنزق وسخرية)** وهل يخفى القمر!. طبعا أعرفه بالتأكيد!. لكن ليس بمثلك.. أنت والده وهو وحيدك!.

عبّاس: على كل حال.. أنت الآن ماذا تفعلين وكيف تعيشين؟

صفاء: لا شيء أفعله.. لدي بعض الأملاك أستثمرها وأعيش منها.

عبّاس: أمتزوجة؟

صفاء: كنت متزوجة..

عبّاس: **(متنهداً لنفسه)** كنتِ متزوجة.

صفاء: **(متابعة)** وتطلّقنا.

عبّاس: **(متنهداً)** آه. الحمد لله!.

صفاء: **(تبدي دهشة متصنعة)** تحمد لله!. لماذا؟

عبّاس: **(متجاهلاً)** لاشي!. والآن ماذا؟

صفاء: الآن.. كما قلت: أنا امرأة مطلّقة، وأعيش وحدي.

عبّاس: معقول!. شابه جميلة جداً ومتعلمة وغنية وتعيش وحدها؟!. لا. لا يجوز.. أنا أيضاً أعيش أرملاً منذ سنوات منذ توفيت أم منير.. مللت الوحدة، وأبحث عن من تحتويني.. عن امرأة بجمالك!. بل وتشبهك أيضاً..

صفاء: **(تبتسم ثم تضحك بعمق)** معقول!. النساء كثيرات من مثلي وأجمل في المدينة وهنّ يمتلكن مواصفات تفوقني، وهنّ على الاستعداد للزواج من رجل غنيٍّ مثلك.

عبّاس: لا أعتقد فحديث المجتمع عنكِ لا ينقطع.. مجنون هذا الذي انفصلت عنه!. أعتقد والله أعلم؟. أن هذا الشاب أو الرجل أو الكهل أو الذي هو!. أقصد الذي ابتسم له الحظ وتزوجك.. أعتقد والله أعلم!. أنه شخص غير عادي..

صفاء: (**مبتسمة.. تضحك على الخفيف**) غير عادي!. كيف؟

عبّاس: واللهِ.. واللهْ!. إما أنه مجنون، وهذا شبه مؤكد!. لأنه لم يستطع الحفاظ عليكِ، أو إنّهُ جنَّ بك فتوقف تفكيره عن العمل.. فساح وضاع في الدنيا واختفى!.

(**يضحكان**)

صفاء: لم يعد هذا مهماً بالنسبة لي.. انفصلنا وانتهى الأمر.

عبّاس: ولكن هذا مهم لي.. أتمنّى لو أعرف لماذا تطلقتما؟ ومن يكون؟

صفاء: ليس من المهم أن تعرف لماذا أو من يكون؟. ثم أنت ضيفٌ على طاولتي لأول مرة!

عبّاس: آسف سيدة صفاء.. لكن.. أمر ما دفعني لذلك.. ينبغي تبديده

صفاء: وما هو هذا الأمر يا سيد عبّاس؟

عبّاس: بصراحة!. فكرت أن أضيف لثروتك ضعفيها كمهر أدفعه لك مقدّم صداق

صفاء: (**ضاحكة ومتابعة**) ومؤخر صداق.. كم تدفع؟

عبّاس: المبلغ والمصاغ يدفع عند الطلب وعلى بياض، وأنت من يحدده

صفاء: (**تستمر بالضحك لفترة ثم تتوقف**) لا.. أعتذر سيد أبو منير عن طلبك

عبّاس: (**باستغراب**) لا. لا!. لا أصدق!. لماذا؟

صفاء: فكرة الزواج.. لم يعد لها مكانٌ في أولوياتي

عبّاس: (**كمن يتوسل بجد**) والله أنا صادق وعلى استعداد لقبول ما تشترطين من شروط.. هذا إذا رغبت في وضع شروط.

صفاء: (**بعد فترة تفكير مقصودة**) أقبل بما عرضته، ولكن هناك شرط واحد.

عبّاس: (**إجابة سريعة وبلهفة**) أقبل!. أقبل به مهما كان هذا الشرط.. ما هو؟

صفاء: كنت قد أقسمت لزوجي السابق أن الجنين الذي في بطني لن أتخلص منه فطلقني.

عبّاس: أمن أجل هذا طُلقتِ؟ حمار ابن حمار.. أتمنى أن يكون لي دزينة أولاد من مثل حسناء تشبهك؟!

صفاء: (**متابعة**) أنا مصممة على أنني لن أمنحه فرصة أن يكون والده

عبّاس: يستأهل!. (**بتردد متسائلاً وبحذر**) ك. كي. كيف؟

صفاء: الجنين عمره لا يزيد عن شهر.. كثير من الأطفال يولدون أحياناً في الشهر السابع.

عبّاس: لم أفهم ما تقصدين؟

صفاء: إذا وافقت أنسبه لك.. أقصد يحمل اسمك.. أتزوجك.

عبّاس: (**بدهشة**) لكن!. والده لن يسكت وسوف يطالب به فنقع في مشكلة لا أول لها ولا آخر.. بل سيثبت بنوّته عن طريق التحليل!.

صفاء: لا يستطع إثبات ذلك.

عبّاس: كيف؟. وهو ابنه!.

صفاء: لأني أنا أم الجنين.. اللقيطة ابنة ميتم مجهولة النسب.. ستسبب له الفضيحة والعار كما يتصور ويعتقد (ساخرة) ابن الأكابر يريد إبقاء الزواج سراً، ولا يريد منّي طفلاً يربطني به وينسبّنا لعائلته.. جبان يخاف والده من أن لا يورثّه!

عبّاس: مجنون!. لا يستحق ظفرك ولا شعرة من ضفائرك!. الغبي وحده الذي يتخلى في هذا الزمان عن امرأة كاملة الأوصاف تفوق في حسنها مريم المجدلية؟!.

(باعتداد زائد) السيدة صفاء، وأنا أيضاً أعرف فعلاً أنك بنت (**يسكت ثم يتابع**)

بنت ميتم، وما يضير ذلك؟!

صفاء: صحيح.. (**باعتداد مقصود**).. ما أنا عليه من مواصفات جعلت أغلب كبار البلد وأغنياءها يتقدمون بعروض الزواج الباهظة، وأنا أرفض.. أكبر شخصيات هذا البلد كانت تنتظر إشارة من إصبعي هذا.

(تشير إلى إصبعها ثم تنهض واقفة تنادي على الكرصون.. تعطيه نقوداً).

صفاء: (**تستأذن بلطف**) يا لله أستأذن.. سيد أبو منير.. الحساب واصل.. سعدت

بالجلوس معك.. أراك بخير سيد عبّاس.. (**تبتعد بسرعة**)..

عبّاس: (**بذهول وارتباك**) سيدة!. سيدة صفاء.. لا يجوز!. أنا من سيدفع الحساب!.

سيدة صفاء.. انتظري أرجو أن تسمعي رأيي.. سيدة صفاء موافق على كل ما تشترطين.. سيدة صفاء.. موافق!. موافق!.

(تشويش / قطع)

إظلام

الفصل الثالث

المشهد الأول

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب صفحة)

يظهر على شاشة بوابة الزمن عام 1985م

المكان: **كما في المشهد الأول من الفصل الأول.. البهو(الصالون) الواسع في الفيلا الفخمة.. تغيير في بعض الأثاث كما نلاحظ صورة كبيرة تجمع العروسين صفاء وزوجها عبّاس على الجدار وسط الصالون مكان الساعة الكبيرة (لا وجود للساعة) ثمة طاولة مستديرة مغطاة بقماش وعليها أصيص ورد وقالب "كاتو" وشموع وشراب ملوّن وثلاث كؤوس اثنتان مملؤتان، والثالثة فارغة، ومرآة محمولة على قاعدة خشبية، وحول الطاولة ثلاثة**

كراسي خيزران.. يدخل الزوج عباس الصالون ويتجه نحو أحد الكرسي ويجلس.. لحظات وتظهر السيدة صفاء، وهي تنزل درجات السلّم، وقد ارتدت ثوب عرسها الابيض، وتجلس إلى الطاولة مع عبّاس.. ثمة حوار يدور..

عبّاس: (**يكلم صفاء مبتسما**) نحن أخيراً لوحدنا يا حياتي.. عدنا من السفر..

صفاء: الحمد لله على سلامتك حبيبي

عبّاس: وسلامتكِ.. أراك مشرقة الوجه الليلة وكأن التعب والمرض زالا عنك؟

صفاء: شكراً لله

عبّاس: والحمد له!. على الرغم من التعب الذي أصابنا معاً، والانتكاسة المرضية التي ألمّت بك طيلة الأيام العشرة الماضية، والتي أضرّت بنا.. .

صفاء: (**تقاطع كلامه بابتسامة**).. ومنعتنا من اللقاء كزوج وزوجة.. أليس هذا ما كنت ترغب قوله؟

عبّاس: (**بإعجاب**) نعم!. وكأنك تشاركينني التفكير!

صفاء: طبعاً يا روحي!. طبعا أنت حبيبي.. أنت زوجي وقرّة عينيّ!. لأجلك أرتدي ثياب العرس من جديد لهذه الليلة.. ليلة أحسن من ألف ليلة!.

عبّاس: كم كنت أحلم أن تكون لي امرأة بجمالك وقوة شخصيتك وصغر سنك.. ها هو الحلم تحقق والليلة أكون "روميو وأنت تكونين جولييت"..

صفاء: (**برومانسية هادئة**) وحلمي تحقق أيضاً!.

عبّاس: (**بدهشة**) أي حلم تحقق، وتتكلمين عنه؟.

صفاء: عن الحلم الذي أصبح حقيقة.

عبّاس: كيف وزواجنا لم يمض عليه سوى أيام؟!

صفاء: (**بلطف شديد**) أنت أيها الملاك.. بفضلك أصبحت مدام عبّاس الثرية سيدة المجتمع، والسيدة الأولى في المدينة.

(يضحكان)

عبّاس: تستأهلين يا روحي.. فأنت تستحقين أكثر مما منحتك بكثير.

صفاء: وأنت تستحق منّي كل الإخلاص والحب.. أنت زوجي ووالد الطفل المنتظر.

عبّاس: هو أو هي لا فرق.. نصف ما تبقّى من الثروة لأولادي.

(عبّاس يخرج من جيب جاكيته عقداً من الزمرد والألماس.. يطوّق به عنق صفاء ثم يناول صفاء المرآة لتنظر فيها)

عبّاس: مبروك يا حبيبتي.. انظري في المرآة.. (**تنظر صفاء في المرآة**)..

صفاء: كم هو رائع وجميل هذا العقد.

عبّاس: والأجمل هذا العنق!. فقد زاد العقد جمالاً!.

صفاء: شكراً عبّاس.. كلّك ذوق!

عبّاس: صنع خصيصاً لك.. صنعه أمهر صنّاع الحلي في المدينة.. إنه من أحجار الزمرد والألماس.. تستأهلين يا روحي..

(يتلفت حوله وينظر إلى الكأس الفارغة يتأملها ويقلّبها بكفه وأصابعه، ثمَّ ينظر نحو الكرسي الثالث الفارغ يتأمله طويلاً، ويسأل بهدوء مستفسراً)

عبّاس: (**وهو يشير إلى الكأس والكرسي**).. صفاء!. أشعر وكأن شخصاً ثالثاً يشاركنا

جلستنا في ليلة من أهم ليال العمر.. لمن هذه الكأس!. وهذا الكرسي؟!

صفاء: لا لأحد.. لكن من الممكن أن يأتي أحدهم؟

عبّاس: عدنا إلى البيت ولم نخبر أحداً بوصولنا!

صفاء: ومن يدري؟. لعل أحدهم يتابع أخبارنا!. الأصدقاء والأقرباء باتصال دائم معنا

عبّاس: لا. لا أعتقد.. على كل حال.. هل تسمح لي زوجتي أن أحمل هذه الكأس، وهذا الكرسي بعيداً عن هنا؟.

صفاء: وما يضرك وجود هذا الكرسي وهذه الكأس الفارغة؟

عبّاس: **(مبتسماً)** لا أريد لأحد أن يعكّر عليَّ صفوة اختلائي بك حتى لو كان ظلّي

صفاء: **(ضاحكة)**.. أنت تغار إذاً!.

عبّاس: نعم.. أنا شديد الغيرة.

صفاء: **(بخبث مقصود وهي تقدم كأس العصير)** تفضل شراب حبنا

(عبّاس يقرب الكأس من فمه.. تمد صفاء أصابع يدها وتمسك بالكأس قبل أن يشربه)

صفاء: أحقا تغار يا عبّاس؟

عبّاس: لدرجة القتل.. أقتل من يحاول أن ينظر بسوء أو يمسّ شعرة منكِ!

صفاء: **(بخبث)** حتى لو كان هو.. **(تسكت)**.. !

عبّاس: **(في ضيق.. يعيد الكأس للطاولة دون أن يشربه)** هو!. هو من يكون هذا يا صفاء؟

صفاء: منير.. ولدك!.

عبّاس: حتى لو كان!.(**ينتفض باستغراب)** ماذا؟.. منير.. ابني.. معقول!.

صفاء: نعم!

عبّاس: ومن الذي أخبره؟ أنا لم أخبره أصلاً بزواجي منك!

صفاء: أعلم ذلك.. لكن من حقه أن يعرف!. أليس هو وحيدك ووريثك؟

عبّاس: بلى!. لكن؟

صفاء: أنا أخبرته، ودعوته لكي يبارك لنا زواجنا..

عبّاس: **(بانفعال)** مجنونة!.

صفاء: مجنونة.. أنا مجنونة!. لماذا يا عباس؟

عباس: كنت قد كلمته وأخبرته بأنني سوف أتزوجك.. هددني وهددك بالقتل.

صفاء: كنت على علم بذلك

عبّاس: (**بذهول**) أ. أكنتِ تعلمين يا صفاء؟!

صفاء: نعم!.هو شاب ثرثار وجبان.. بل وأكثر من جبان.. هو ضعيف، ولن يستطيع أن يُقدم على فعل ذلك.

عبّاس: (**يزداد استغراباً**) ماذا تقولين؟. كيف عرفت منيراً أنه جبان وضعيف؟!.

بت أخافك أيتها المرأة؟!. من أنت بالضبط؟ وماذا تخبّئين عني؟!

صفاء: (**بهدوء بارد وبكلام غامض**).. أنا أم أنت؟.

عبّاس: (**باستغراب شديد**) هل تلعبين معي؟ أرى في كلامك تحدياً وهجوماً!

صفاء: (**بهدوء بارد**) أنت من بدأ اللعب وبادر بالهجوم يا أبا منير!.

عبّاس: (**بانفعال**) أنا!. أنا بدأت اللعب والهجوم على من؟ لم أفهم؟

صفاء: نعم!. أنت أيها الزوج الطيب.

عبّاس: أنا!. أنا؟!

صفاء: أنت هددت.. بل حطمت قلبين عاشقين تزوجا.. ثم انفصلا بسببك..

عبّاس: بسببي!. حطمّت قلب من يا صفاء؟

صفاء: (**متابعة ببرود**) حسبت بمالِك وعقاراتك، ومؤسساتك، وسطوتك تستطيع قهر من تشاء؟!. حتى ابنك الوحيد منير يا عبّاس.

عبّاس: (**وقد بدا في حالة توتر وغليان**) ما هذا الهراء!. ماذا تقولين يا امرأة؟ أنا لم أقهر يوماً أحداً!. فكيف أقهر ولدي الوحيد منير؟

(صوت قرع على الباب.. نسمع صوت المفتاح في القفل.. يدخل منير.. حاملاً هدية كرتونية ملفوفة بالورق الملّون ومربوطة بشريط من الحرير..).

منير: مساؤكما سعيد.. مبروك.. هدية متواضعة لكما.. أرجو أن تعجبكما!.

(تتناول صفاء الهدية وتركنها على الكرسي الثالث)

صفـاء: أهـلا بالسـيد مـنير.. الله يبـارك للجميـع.. أصـبحنا أسـرة وأهـل.. أليس كذلك؟

منير: طبعاً. طبعاً!.

صفـاء: **(متابعة)** أو قد يكون للسيد عبّاس رأيٌ آخر يا منير؟

عبّاس: **(مندهشاً.. يحك ذقنه وهو يتأمل بعمق منير)**.. منير ما الذي جاء بك؟

منير: ولو يا بابا.. زوجتك هـي الـتي دعتني، وهـي الـتي أخبرتني بقبـول الـزواج منـك.. وبحكـم العلاقـة الـتي بيننـا.. أقصـد علاقـة العمـل التي تربطنا سابقاً.. أخبرتني أول بـأول.. بيـوم زفافكمـا، ولحظـة سفركما، ولحظة وصولكما عائدين إلى البيت.

(عبّاس ينظر إلى صفـاء التي أخذت بهز رأسها بالإيجاب.. عباس يتابع توجيه الكلام لمنير)

عبّاس: هه!. **(لصفاء وبسخرية)**.. كنت تخبرينه وتستأذنينه أيضاً؟

صفـاء: **(تجيب على نصف السؤال)**.. لم أستأذنه؟

عبّاس: إذاً.. كانت زوجة أبيك تخبرك يا منير؟

منير: اسألها ثانية لتتأكد يا والدي.

عبّاس: صحيح يا صفـاء؟

صفـاء: **(بهدوء ترسل كلماتها)** نعم هذا ما حصل يا حبيبي

عبّاس: ألم يهددك بالقتل يا صفـاء؟

صفـاء: لا. وهل يجرؤ؟

عبّاس: **(بعصبية لمنير)** كيف؟. وأنت من هدّد وتوعّد بقتلي، وقتل صفـاء لو تزوجنا.. أتنكر ذلك يا منير؟.

منير: **(مؤكداً)** نعم!. وهذا صحيح.

عبّاس: بإمكانك الآن أن تنفذ وعدك وتقتلنا.

منير: لم يعد هذا مهماً الآن.

(منير يتجه إلى علبة الهدية ويقوم بنزع الشريط عنها يحاول فتحها ، وهو ينظر إلى والده بجحوظ وتحدٍ.. عبّاس يبتعد إلى الوراء خلف صفاء، وهو يراقب منير الذي يتابع فتح العلبة الكرتونية وكأنها تحوي قنبلة موقوتة.. يفتحها ثم يخرج منها دمية "لعبة تصدر صوت بكاء طفل" يقدمها لوالده)

منير: تفضل يا والدي هديتي المتواضعة دمية بحجم الطفل الذي ستلده زوجتك!

عبّاس: ومن قال لك أنه سيكون لي طفل؟. ثمّ أنا لم. لم. (يسكت)

منير: لم. لم ماذا يا والدي؟ لا تبتئس.. لو تمّ هذا الأمر سأكون مسروراً جداً بقدوم أخٍ لي يشاركني الحياة، والميراث الذي سيؤول لي وله من بعدك.

(عبّاس يخطو خطوتين ويأخذ الهدية يتأملها بدهشة ثم يقذف بها بوجه منير)

عبّاس: **(بانفعال)** أتسخر من أبيك يا ولد؟.

منير: لا. أستغفر الله.. اسأل السيدة صفاء.. عفواً خالتي زوجة أبي!

عبّاس: **(يهز رأسه بحيرة)** أسأل؟. عن ماذا أسأل صفاء؟

صفاء: **(ببرودة أعصاب)** السيد منير الذي كان. كان!..

(تسكت للحظات وهي تتأمل عبّاس الذي يهز رأسه بحيرة)

عبّاس: **(في ضيق يرفع صوته)** منير! ماذا كان يا صفاء؟

صفاء: **(ببرودة زائدة تفاجئ عباس)** كان زوجي السابق، والجنين الذي أحمل به هو ابنه الذي هو ولدك أيضاً.

عبّاس: **(مصعوقاً)** منير كان زوجكِ، والذي في بطنك منه؟!

صفاء: **(بصوت ممدود نسبياً وبارد)** نعم يا عبّاس.. نعم!

عبّاس: **(متابعاً غير مصدق)**.. لا. لا أصدق!. لا أصدق؟

صفاء: صدِّق يا عبّاس.. صدّق يا روحي!

عبّاس: **(يصرخ بذهول)** تطلع روحك من صدرك!. أصدّق!. أصدّق ماذا؟! هل أصدق أني متزوج مطلقة ولدي؟ وكيف لي أن أعيش مع

زوجة تحمل في أحشائها جنيناً من صلب ولدي؟! لا أصدق! لا أصدق؟!

صفاء: **(تخرج من محفظة يدها الصغيرة ورقة)** هذا عقد زواجنا قبل سنة **(عبّاس يأخذ ورقة العقد ويقرأ بصوت متقطّع، وأقرب إلى الهمس)**

عبّاس: لا. أمتأكدة أنّ الجنين الذي في بطنك من صلب ابني؟!.

صفاء: هو ابنه أمام الله، وابنك أمام الناس.

عبّاس: حقيرة!. لا وألف لا لن يكون هذا!. ولن يكون لي حفيدٌ من أم لقيطة.

صفاء: **(ببرود مقصود)** عباس!. حبيبي لا تغلط أنت الآخر.. (**تلتفت نحو منير)** السيد منير!. كلم والدك وتفاهم معه..

منير: **(يتقدم من والده بحذر)** أبي.. دعنا نتفاهم بهدوء.. التفاهم أفضل لكلينا.

عبّاس: نتفاهم.. نتفاهم على ماذا؟.. هذه الحقيرة التي أغوتني أم أنت الذي بعتني!.

صفاء: **(تسك على حروف كلماتها)** منير!. لم أعد أحتمل كلام أبيك القذر!. حذره فصبري قد نفد!.

عباس: **(متابعا صراخه)**.. من أنت أيتها اللقيطة لتهدديّ؟.

انتشلتك من الحضيض.. ابنة زنى!. ابنة ميتم لا أب ولا أم!. وهبتك اسمي ونصف ثروتي يا عاهرة!.

منير: **(يرفع صوته)**.. كفى!. كفى يا والدي!. هي الآن زوجتك أمام الله والناس

عبّاس: **(كمن بدأ يتنفس بصعوبة)**. لا. زوجتي ولا بطيخ!. لا. لا. مست.. مستحيل! الله عليك يا منير!. صرت قواداً.. الله ينتقم منك ومنها.. أنذال!. سفِلة!.

(يبدأ يشعر بالاختناق.. يفقد توازنه ويقع أرضاً.. يعاني من تشنج.. يرفع يده يحاول مسك صفاء.. يبدأ بالشخير العالي المتقطع..

يرتجف ثمّ يموت.. منير يتقدم من والده ببطء.. يضع أذنيه على صدره.. يجس نبضه في موقع الرقبة.. يترك يد والده فتسقط)

منير: أعتقد مات والله أعلم.

صفاء: كان سيموت عاجلاً أمْ آجلاً!. لو شرب الشراب الذي وضعت فيه السم.. الله رؤوف رحيم.. أختار موته بالسكتة القلبية حتى لا نبتلي بقتله..

منير: الأعمار بيد لله.. مات واستراح وأراح، ولا يجوز عليه إلا الرحمة.

صفاء: الرحمة له والمغفرة.

منير: انتهى الأمر.. نحن الآن أحرار..

صفاء: بإمكانك العيش مرتاح، ونصف الثروة آلت إليك.

منير: ماذا بشأننا؟

صفاء: ولا شيء.

منير: نصفي أمورنا ونبيع أملاكنا ثم نغادر إلى البلد الذي تختارينه للعيش فيه.

صفاء: وبعدين؟

منير: نتزوج.. ابننا هو ابننا.. ذكر كان أم أُنثى، وهو المولود الشرعي لنا.

صفاء: كما اتفقنا المولود هو ابن أبيك، وأنت أخاه أمام الناس، وأنت أمام الله والده ولن أغادر المدينة، ولن أتزوج منك أبداً.

منير: لم يكن هذا اتفاقنا؟

صفاء: صحيح!.

منير: إذاً؟

صفاء: تعيش لوحدك وبعيداً عني.. سأعيش مخلصة لذكرى المرحوم زوجي.

منير: أعيش لوحدي!. لا أريد أن أبقى بعيداً عنكما.. أنت والذي في بطنك.

صفاء: من هذه اللحظة أعاهد زوجي المرحوم أن أكون مخلصة له ولاسمه الذي أحمله ولذكراه الطيبة..

منير: وأنا وولدي الذي في بطنك؟

صفاء: أنت في نظري لا شيء!. زوجي مات لكنه وهب الحياة لي.. أنت قتلت حلمي في أن أكون سيدة متزوجة وأم مربية تنتمي لعائلة محترمة كنت تكذب باستمرار.. كنت أصدق وأعرف أنك تكذب.. كنت تخبئ وجهك بقناع همك ثروة أبيك.. أنت الذي دفعتني لحضن والدك.. لأنتقم منك به!. وأنت من ساعدني على ذلك.

منير: **(بانفعال)** أنت أيضاً مجرمة وأنت من حرّضني على والدي!. بلسانك قبل قليل أفصحتِ بقولك لولا لم يمت لمات مسموماً.. أليس كذلك؟

صفاء: نعم!. وهذا ما كان يجب أن يكون.. إما أن تموت أنت أو يموت والدك! فموت والدك أكثر ضماناً لي لأستمر كامرأةً ناجحة وذات كيان وقيمة واسم.. أما موتك فلا يشبع انتقامي منك!. لأنك ابنٌ فاسدٌ وعاق.

عبّاس: أنا فاسد وعاق؟!

صفاء: بكل تأكيد!. أنت قبلت بما عرضت عليك.. فصدقت فخنت أعزّ الناس إلى قلبك.. أباك!.. فكيف تريد مني العيش معك؟

منير: .. **(يبكي)**.. .

صفاء: اسمع: البكاء لا فائدة منه.. من أجل الذي في بطني سوف أدير المؤسسات، والممتلكات، وحصصك منها لأنه مولودنا في النهاية، وهو الوارث الوحيد.

منير: سأعيش مع ابني أيضاً!

صفاء: ادعُ لله أن يأتي الولد بسلام، ودعنا نترحم على والدك، ونطلب من الله المغفرة

والثواب لنا لِمَا فعلناه وخططنا له.

منير: **(بإلحاح)** لكنه ابني، وليس ابن أبي؟!

صفاء: أمام الله فقط.. هل تريد أن نذهب معاً إلى حبل المشنقة؟..

منير: **(بخوف وهو ينظر إلى جثة أبيه)** لا. لا.

صفاء: **(وهي تربت على كتف منير)** عجل بطلب الإسعاف.. ثمّ هيئ موكب الجنازة..

(تشويش / قطع)

المشهد الثاني

(قطع / تشويش.. وحيد يقلب صفحة)

- يظهر عام 1985م على شاشة الزمن

المنصة: عبارة عن مستويين الأول إلى يمين المنصة والثاني إلى يسار المنصة..

يفصل بينهما حاجز وهمي.. جدار شفّاف

" الإنارة بين المستويين " بالتناوب

لوحة أولى

التشخيص: في المستوي الأول يمين المنصة.. الإنارة فقط فيه وعامة..

المنظر: يرينا مأتم عزاء في قاعة كبيرة.. جمع غفير من المعزين.. ثمة شيخ يتلو سورة من القرآن الكريم.. تابوت مسجى على طاولة كبيرة محاط بأكاليل الزهر صفاء جالسة على كرسي تُظهر حزناً كبيراً.. مرتدية السواد وفي يدها منديل.. إلى جانبها وقف الشاب منير، وبيده منديل يمسح به دموعه، وهو يبكي مطاطئ الرأس باقي المعزين.. الجميع وقوفا، وبصمت ريثما ينهي الشيخ تلاوته.. بعد ذلك يتقدم أربعة من الرجال الشباب يحملون التابوت.. موكب التشييع يتحرك مع التابوت وخلفه رتم موسيقي جنائزي يصاحب الموكب.. ينتهي المشهد بخروج الموكب من القاعة الكبيرة..

لوحة ثانية

(قطع / تشويش.. وحيد يغلق الصفحة الأخيرة من الدفتر)

يظهر على شاشة بوابة الزمن عام 2020م

التشخيص: في المستوي الثاني يسار المنصة.. الإنارة فقط فيه وعامة..

المكان: البهو أو الصالون " السابق كما في الفصل الأول..

يقف وحيد ومعه الدفتر، ويتجه نحو البرداية ويغلق شاشة العرض "النافذة" يعم المكان خفوت متدرج بالإنارة.. يتجه وحيد نحو إحدى الطاولات.. يتناول صينية أو وعاء كبيراً، ومستديراً نسبياً، ويضعه على الأرض أمام رجليه المتباعدتان عن بعضهما ثمَّ يبدأ بتمزيق، وحرق أوراق الدفترورقة. ورقة. في الصينية أو الوعاء.. بمجرد الانتهاء من حرق الورقة الأخيرة.. يبدأ بالضحك المتدرج لدرجة عالية ومستمرة مع إطفاء الإنارة حتى الظلام.

المشهد الثالث

فقط الإنارة حزمة بقعية على وعاء الحرق.. تبدو النار مشتعلة فيه وعالية.

صوت مانيكان صفاء باللهجة يصاحب مشهد حرق الأوراق:

هذي هي القصة من طأطأ إلى السلام وعليكم.. قولوا ما تقولون!. عاهرة! فاجرة!.

لم يعد الأمر مهماً ولا حتى مسألة الضمير لها المكانة عندي في مثل هذه الأمور التي تتحكم في مصائرنا نحن الضعاف.. ما الذي جناه آباؤنا عندما أتوا بنا إلى هذه الدنيا وتنصّلوا منّا، ولم يعترفوا بنا؟. سوى أنهم رمونا على الأرصفة كالبهائم الشاردة!. كل عابر سبيل يمر بنا.. يغتالنا.. نحن اللقطاء.. ما بأيدينا خلقنا تعساء!. تذكروا ما قلته لكم في بداية المسرحية.. هل تذكرون؟ وجدت في نصيحة معلمتي ومربيتي في دار اليتامى الشيء الذي أتمنى تحقيقه.. ألا وهو أن أنتمي لعائلة محترمة، وأن يكون لي اسم كامل، وعائلة أساسها الزوج والأولاد!. لست مجبرة على التخلّي عن أشياء ناضلت من أجل تحقيقها.. التعلم والتفوق

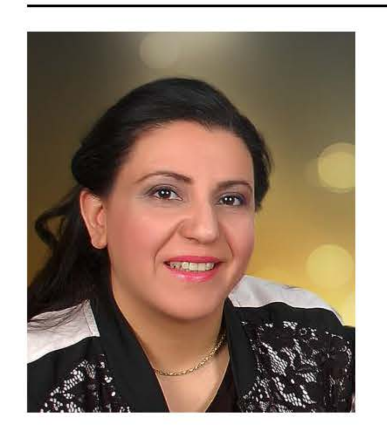
والنجاح والشخصية والجمال.. فما الذي ينقصني؟ لماذا لا أكون سيدة مجتمع؟. امرأة لها تميّزها بحضورها المتألق، وأناقتها، وسحر جمالها الأخاذ ، وروعة وسلاسة أسلوب حديثها.. لا أخفيكم فلست مجبرة أن أكون سلعة لمن يشتهي لحمي ليأكلني ويرمي بعظامي.. لا. من حقي أن أعيش ويعيش أمثالي.. الحياة جميلة، ومن حقنا أن نعيش تفاصيلها..

الحياة ليست وقفاً على ناس وناس.. هي لنا جميعاً!. قولوا ما تشاؤون عني.. لست عاهرة ولا فاجرة.. لست عاهرة ولا فاجرة.. (**يختفي الصوت**)..

إظلام

انتهت

10 شباط / فبراير لعام 2021م اللاذقية.



حوار مع الكاتب والمخرج المسرحي د.وانيس باندك

ميرنا أوغلانيان

د. وانيس باندك ـ من مواليد سورية / حلب عام 1955.



ـ نال درجة الدكتوراه في الدراسات المسرحية من أرمينيا ـ جامعة يريفان عام 1993.

ـ عمل مخرجاً مسرحياً منذ عام 1980 في مدينة حلب مع الفرق التالية:

فرق الشهباء ـ المسرح القومي ـ المرح العمالي ـ فرقة "أحيقار" ـ فرقة "أتاميان".

ـ عمل أستاذاً في المعهد العالي للفنون المسرحية في دمشق بين عامي 1995.1996.

ـ عمل مديراً للمسرح الجوال في حلب عام 2003.

ـ عمل مديراً للمسرح المدرسي في حلب عام 2006.

ـ عضو في نقابة الفنانين السوريين.

عضو اتحاد الكتاب العرب.

ـ عضو في لجنة قراءة النصوص المسرحية في وزارة الثقافة.

■ بعد تجربتكم المسرحية التي تمتد عبر عقود من الخبرة والعمل الجاد، ماهو الدافع الذي كان وراء التزامكم بالمسرح دون سواه من الأجناس الأدبية والفنية؟

■■ منذ صغري وتحديداً في بداية السبعينات من القرن الماضي بدأت تجربتي المسرحية كممثل مع فرق الهواة في مدينة حلب بعدة مسرحيات، وكنا نشارك كذلك في مهرجان الهواة الذي تقيمه وزارة الثقافة سنوياً في دمشق، وكان هذا المهرجان تظاهرة فنية ثقافية ومسرحية هامة حيث كنا نتناقش بعد كل عرض نشاهده، وقد تزودت منذ ذلك الوقت بمعنويات ومشاعر جميلة كوني أشارك في هذه التجربة الثقافية الإنسانية التي علمتني الكثير في وقت مبكر من حياتي، وكان شعار المهرجان هو الالتزام بالمسرح، لأنه يشكل هدفاً حضارياً لتغيير المجتمع عبر عدة مفاهيم وطنية وثقافية واجتماعية وإنسانية، وهكذا تعرفت على معظم المسرحيين السوريين المهمين الذين أصبحوا فيما بعد من أهم المسرحيين في كل المجالات، من كتاب ومخرجين وممثلين ومهندسي ديكور وباقي العناصر الفنية، هؤلاء جميعاً خرجوا من هذا المهرجان، وتجلى هذا الشغف لدي بالحماسة والاندفاع نحو قراءة الأدب والدراسات المسرحية على المستوى المحلي والعربي والعالمي، ولعل تجربتي المبكرة مع "مسرح الشعب" في حلب عام 1974 بمسرحية للكاتب المغربي "أحمد الطيب العلج" بعنوان (الأرض والذئاب) وأنا شاب صغير، جعلتني أشعر بمسؤولية أكبر كوني أعمل مع فنانين محترفين، وكان هذا المسرح من أهم المسارح في سورية آنذاك، وقد تحول فيما بعد إلى المسرح القومي في حلب.

وقد تكللت أواخر مرحلة السبعينات بتجربة هامة جداً في حياتي المسرحية، حيث عملت مع فرقة "المختبر المسرحي" في دمشق تحت إشراف المخرج وليد القوتلي، وتأتي أهمية هذه التجربة كونها تعتمد على التأليف والإخراج الجماعي، حيث أخذنا موضوع "الصراع العربي الإسرائيلي" عنواناً أساسياً لعملنا، وتوزعنا المهام والمحاور، وكان على كل منا ضمن المحور الذي أخذه على عاتقه أن يبحث في المراجع والدراسات التي تتعلق بالجانب الذي يعمل عليه واكتشاف مشاهد درامية غنية بالأفكار السياسية والفنية ويكتب تلك المشاهد ويضع تصوراته الإخراجية، ومن ثم نجتمع كلنا ونناقش عمل كل واحد منا ونقيمه فكرياً وفنياً، معظم أعضاء تلك الفرقة أصبحوا نجوماً في الدراما السورية فيما بعد، لكنهم جميعاً تركوا المسرح ودوره في تطور المجتمع الذي كنا نتحدث عنه خلال تجربتنا التي استمرت عاماً كاملاً وكانت أهم بكثير من الدراسة في أي معهد مسرحي،

كذلك كانت أول تجربة "ديمقراطية" أعيشها في حياتي وقد حفزتني أن أعود إلى حلب وأقوم بأول تجربة إخراج مسرحي لي عام 1980 بعد أن قمت بتأسيس فرقة "الشهباء المسرحية" وكانت تلك نصيحة من أصدقائي وزملائي في فرقة "المختبر المسرحي" بدمشق كونهم وجدوا عندي المقدرة على الكتابة والإخراج المسرحي، وقد أخذت على عاتقي الالتزام بهذا الفن الحضاري حتى آخر يوم من حياتي منذ ذلك الوقت.

■ ما بين التأليف والإخراج المسرحي، أين يجد وانيس باندك نفسه ؟ وأين يتجلى إبداعه بأبهى حالاته ؟

■■ بدأت الكتابة في وقت مبكر من حياتي، قبل سن العشرين، ولكن بدأت في كتابة القصة القصيرة وليس النص المسرحي، وترافقت تجربتي في كتابة القصة مع تجربتي في الإخراج المسرحي، وتكللت تجربة كتابة القصة القصيرة بمجموعة قصصية بعنوان "الصيف المجنون" التي صدرت عن دار الحصاد بدمشق عام 1989، مالم أكن أستطيع قوله في الإخراج المسرحي كنت أقوله عبر القصة القصيرة، لأن الكتابة تعطيك مساحة وحرية أكبر في التعبير، فأنت وحدك أمام ورقة بيضاء لا أحد يتدخل فيما تريد أن تقوله أو تكتبه، أما الإخراج فهو يحد من طموحك في التعبير وإيصال ما تريد، لأن شروط الإخراج مرتبطة مع جيش من العاملين معك من ممثلين وفنيين وإدارة ورقابة وعمال، كل هؤلاء سيحدون من قدرتك على التعبير مهما كنت بارعاً في إدارتهم، وأحياناً إذا كان الكاتب حياً وموجوداً في نفس المدينة التي تعمل فيها فإنه على الأغلب سيتدخل ويبدي تذمره بأنك لم توصل أفكاره ونصه كما أراده هو، ناسياً أن المخرج هو المؤلف الثاني للنص! أنا شخصياً لم يحدث معي مثل هذا الموقف، فالكتاب المحليين الذين أخرجت لهم نصوصهم عبروا عن سعادتهم أمام العمل الذي أخرجته لهم، لأنني حاولت أن أخلق معادلة أحافظ فيها على روح النص وأفكاره وبين الرؤية الإخراجية وما أطمح إلى قوله عبر تقديم النص.

أما كتابة النص المسرحي فقد بدأت بها في وقت متأخر من حياتي، وتحديداً في سن الأربعين لمعرفتي بصعوبة الكتابة المسرحية، لذلك لم أتسرع بكتابتها، فبعد تجاربي في التمثيل والإخراج والدراسة الأكاديمية والكتابة في النقد المسرحي، بدأت في كتابة النص المسرحي بشكل مدروس، وقد استفدت من كتابة القصة القصيرة في كتابة النص المسرحي القصير، وربما لهذا السبب عبر

عدد من النقاد والأصدقاء بأن تلك المسرحيات القصيرة التي نشرتها في الصحافة أو في الكتب التي نشرتها لي وزارة الثقافة بأنها تصل إلى مستوى العالمية، وأنا أعتقد أن المستقبل هو لصالح النص المسرحي القصير، ليس على المستوى المحلي أو العربي فقط، بل على مستوى العالم، نعم أنا أجد نفسي في الكتابة المسرحية أكثر لأنها أكثر قدرة على التعبير وأكثر هدوءاً في العمل وسط الحياة العبثية وغير الطبيعية التي نعيشها في هذا الزمن! رغم أن تجربة الأربعين عاماً من الإخراج المسرحي التي أخذت مني أجمل فترات حياتي بأجواء من الفرح والصخب والتوتر في أغلب الأحيان، فإنها تبقى عزيزة علي، ولقد حان وقت الهدوء والعودة إلى الصفحة البيضاء، لدي عشرات المواضيع التي يجب أن أكتبها بعيداً عن الضجيج والتوتر قبل أن أندم وأشعر أنني نسيت نفسي ونسيت مسؤوليتي تجاه ما كان يجب أن أكتبه عن أحداث وشخصيات عاصرتها بكل أبعادها الإنسانية وهي تؤرقني حتى الآن ولن أرتاح إلا إذا كتبت عنها ولن أسامح نفسي أو يسامحني التاريخ إذا لم أفعل!.

■ ما هي أهمية مسرح الطفل ودوره في ترسيخ فكرة هذا الفن في ذهن الطفل والتزامه به في المستقبل كيافعاً وشاباً؟

■■ تنبع أهمية مسرح الطفل في أنه يعد مسرحاً يخص الطفل بأعماره المختلفة حتى مرحلة اليافعين، وذلك من أجل بناء جيل جديد يكون هو عماد الوطن بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معان على كافة الصعد، ولكي نستطيع أن نقدم مسرحاً حقيقياً للطفل فإنه يجب أن نتبع مجموعة من التقنيات العلمية التي تشكل مسرحاً للطفل تشكيلاً فنياً وجمالياً وتحضيره ليصبح دراميا عن طريق بناء عوالمه الداخلية وتصوراته الخارجية، كذلك تشكيل خياله الحسي والتجريدي، ومن المعروف أنه هناك أنماطاً متعددة من الدراما في مسرح الطفل مثل: "السيكودراما psychodrama" و "السيوسيودراما sociodrama" وهي من التقنيات العلاجية المسرحية لتحقيق التوازن لدى الطفل غير السوي لإدماجه ضمن جماعة ديناميكية لخلق الانسجام والتوافق الجماعي والاجتماعي، بينما الدراما التعليمية ودراما التنشيط فتقدم الخبرات التعليمية وفي شروط مسرحية ومقاييس درامية هادفة وممتعة، أما الدراما الإبداعية ودراما التقليد والدراما الإيهامية فتساعد الطفل على الإبداع والتخيل والاستكشاف مع أداء الأدوار الفردية والاجتماعية اعتماداً على تبادل الأدوار الفعلية والمدركة على أساس التنفيس والتعويض وإثبات الذات عبر

وسائط درامية كالمحاكاة والتشخيص الإحيائي وأنسنة الظواهر الطبيعية وغير الطبيعية.

ونستنتج مما سبق أن تقديم مسرح حقيقي للطفل فيه متعة جمالية وفائدة ثقافية وعلمية، يحتاج إلى مختصين على مستوى عال من الدراسة والمعرفة والخبرة الأكاديمية في مجال مسرح الطفل حتى نصل إلى الهدف المنشود، ولكن للأسف فإن معظم من يعملون في هذا المجال لدينا هم أشخاص غير مختصين ويتعاملون مع مسرح الطفل بطريقة سطحية وساذجة واستسهال مجاني، ويعتبرون أن تقديم مسرح للطفل أمر سهل وبسيط مع أن الأمر عكس ذلك تماماً، فهو مسرح صعب ومعقد بل أصعب من مسرح الكبار بكثير، وما يقدمونه على الأغلب لا يساعد على بناء مسرح للطفل، وهم لا يعرفون خطورة ما يفعلونه للأسف! بالنسبة لي شخصياً لم أقم بإخراج أي عمل مسرحي للطفل لأني أؤمن بالاختصاص ولمعرفتي التامة بأن هذا الفن يجب أن تتوفر له كل الشروط التي ذكرتها حتى يحقق هدفه. ولكني كتبت نصوصاً مسرحية للأطفال على أمل أن أجد مخرجاً متخصصاً يمتلك الخبرة يتبنى تلك النصوص ويقدمها على خشبة المسرح، ساعتها سأكون عوناً له في تقديم أي استشارة أو مساعدة لتقديم مسرح جميل للطفل.

■ ما هو واقع الحركة المسرحية العربية في الوقت الراهن برأيكم ؟ ما يمكن أن تضيف المهرجانات المسرحية العربية والعالمية لهذا الواقع ؟

■■ يشكل المسرح جزءاً أساسياً من الحياة الثقافية العربية، التي تعيش خلال العقد الأخير حالة من التدهور والتراجع الكبير نتيجة الأحداث التي فرضت علينا من الخارج والتي سميت ب (الربيع العربي) وقد تم التخطيط بشكل ممنهج لتدمير البنية التحتية لبلادنا وقتل مئات الآلاف من الناس وتشريد وتهجير الملايين، وكان هدفهم أيضاً تدمير الثقافة بشكل عام من آثار وتراث وتاريخ وذاكرة وكل مجالات الثقافة بشكل عام، صحيح أن سورية هي أكثر البلاد العربية التي دفعت الثمن الأكبر وذلك دفاعاً عن الأمة العربية لأنها تعرضت لأكبر حرب كونية لم يحدث لها مثيل في التاريخ، ولكن معظم البلاد العربية قد تأثرت بشكل ما بهذا الواقع الجديد، لذلك من الطبيعي أن يكون المسرح في حالة تراجع، وربما الإبداع الفردي مثل الكتابة والفن التشكيلي لم يتأثر مثل الفنون الجماعية كالمسرح، لأن المسرح يحتاج إلى إمكانيات كثيرة بشرية ومادية ولوجستية من الصعب تحقيقها في مثل هذا الواقع الذي تحدثنا عنه، ثم جاءت جائحة الكورونا لتزيد

الطين بلة! ففي العام الماضي لأول مرة في التاريخ المعاصر للمسرح لم يحتفل العالم كله بيوم المسرح العالمي الذي يصادف في السابع والعشرين من شهر آذار من كل عام، ولأول مرة تغلق المسارح أبوابها وتطفئ قناديلها! ولعل الفن المسرحي هو المتضرر الأكبر من بين كل الفنون لأنه يعتمد بالأساس على الفرجة والتماس المباشر مع الجمهور، هذا الانغلاق أدى إلى استحالة تحقيق هذه الفرجة، كما هو في حالات الوباء المعمم، ولأن حياة المسرحيين تعتمد على المباشرة في التواصل واللقاء مع الجمهور فقد أثر ذلك بشكل مباشر على العملية الإبداعية، فحياة المبدعين المسرحيين مرتبطة بخشبة المسرح، والحركة في الفضاء المسرحي وصناعة فنون الفرجة مع الجمهور. أما المشاركة في المهرجانات المسرحية العربية والعالمية لا شك أنها مفيدة جداً لكل الفرق المشاركة من حيث تبادل الخبرات ومشاهدة عروض مسرحية من كل أنحاء العالم باتجاهات ومدارس فنية مختلفة، كذلك الندوات التي تقام لمناقشة كل عرض يقدم في المهرجان والاستفادة من كل الآراء والبحوث العلمية التي تتناول كل جديد في المسرح وهي تقدم بموازاة مع العروض المسرحية، كل ذلك يفيد في تطوير الحركة المسرحية لكل البلاد المشاركة في المهرجان، ولكن للأسف نعود إلى نفس المشكلة التي تحدثنا عنها، فضمن هذه الظروف الاستثنائية كل شيء تراجع، وإقامة المهرجانات تحتاج حالة من الاستقرار الأمني والاقتصادي والصحي، لذلك الكثير من المهرجانات توقفت أو أصبحت تقام ضمن حدود ضيقة جداً، وهذا كله سبب تراجعاً كبيراً في واقع المسرح العربي.

■ لمَ لم تعرض مسرحيات سورية أو عربية في مهرجانات دولية عالمية خارج حدود البلدان الناطقة بالعربية؟ مع أن اللغة لم تعد عائقاً بفضل وجود الترجمة، وهذا ما يحصل مع الأفلام المشاركة في مهرجانات السينما؟

■■ إن عدم مشاركة الفرق المسرحية السورية أو العربية في المهرجانات الدولية العالمية لا يعود سببه لموضوع اللغة فقط، بل ربما تكون اللغة آخر سبب لعدم مشاركتها في تلك المهرجانات، لأن الأعمال المسرحية السورية أو العربية التي ستشارك في المهرجانات أصلاً تحسب حسابها من هذه الناحية، فإما تترجم العمل المسرحي على شاشة في خلفية المسرح أو تترجم ملخصاً عن العمل وتوزعه على الجمهور، أصلاً للمسرح لغته الخاصة الإيمائية والإشارية والدلالية، فهو لا يحتاج إلى الشرح والتفسير المباشر للجمهور حتى يوصل الأفكار التي يريد إيصالها، صحيح أن النص المكتوب هو الأساس في البدء بالعمل المسرحي، لكن فضاء

المسرح مفتوح على كل الاحتمالات، وقد يصل المخرج والممثلون إلى نهايات لا أحد يستطيع أن يتكهن إلى أين يمكن أن تصل حالة الإبداع والنشوة في التعبير، في مثل هذه الحالة فإن اللغة تصبح عاجزة أمام إنجازات الخيال والتألق والطيران في فضاء الإبداع الذي لا حدود له، على سبيل المثال، شاركت كمخرج بعمل مسرحي للشاعر والكاتب ممدوح عدوان بمنودراما (الزبال) في المهرجان الدولي للمسرح المحترف بالجزائر عام 2010، وقد شاركت عشرات الفرق الجزائرية والعربية والأجنبية، منها فرق فرنسية وإنكليزية، ولم تكن هناك ترجمة لهذه الأعمال ولا ملخصات بالعربية عن شخصيات وأحداث المسرحية، ومع ذلك كنا نشارك في الندوات التي تتناول تلك المسرحيات، وهنا في مدينة حلب شاهدنا الكثير من المسرحيات الأجنبية وبلغات مختلفة وبدون ترجمة ولا ملخص عن العمل بالعربية، ومع ذلك فهمنا كل مراحل العرض المسرحي. إذاً ما هو سبب عدم مشاركة الفرق السورية والعربية في تلك المهرجانات العالمية؟! برأيي أن السبب الأساسي مرتبط بأصحاب القرار في هذا الشأن، أولاً: يجب التواصل الدائم مع إدارة تلك المهرجانات، وإرسال أعمالنا المسرحية حتى تتاح لهم أن يشاهدوا نتاجنا المسرحي ومن ثم يقرروا قبول مشاركتنا أم لا، وحتى نشارك في تلك المهرجانات يجب أن تكون لدينا الرغبة الحقيقية في المشاركة بهدف تحقيق وتطوير المسرح عندنا وليس مجرد المشاركة بهدف السياحة وتسجيل نشاط ونشر أخبار إعلامية عن ذلك، السبب الثاني: تلك المهرجانات ليست جمعيات خيرية تسمح لكل من يرغب في المشاركة أن يأتي بفرقته المسرحية مهما كان مستواها ويعرض ما لديه، وفي أغلب الأحيان يتم اختيار نصف المشاركين في تلك الفرق ممن ليس لهم أي عمل أو دور في تقديم العرض، وهذا أمر مكلف من حيث عدد المشاركين وتأمين إقامة لهم مع الطعام والشراب هذا ما عدا تكاليف الطيران ونقل الديكور والإكسسوارات..إلخ، كل ذلك يصبح عائقاً أمام المشاركة، وحالياً معظم المهرجانات سواء كانت عربية أم عالمية وبعد موافقتها على المشاركة تطالب الفرق بدفع تكاليف الطيران على الأقل وهذا الأمر لا يشجع الجهات المعنية في المشاركة لأنها بتلك المبالغ التي ستدفعها مع مكافآت المشاركين يمكنها أن تنتج عدة مسرحيات في السنة، أما عن الأفلام السينمائية ومشاركتها فهو أمر مختلف تماماً، فالمخرج وحده يستطيع أن يحمل الشريط السينمائي معه ويسافر ليشارك في

أي مهرجان عالمي، بل أكثر من ذلك فمن الممكن أن ترسل الجهة المنتجة الفيلم فقط للمشاركة في المهرجان، وعادة يكون الفيلم مترجماً إلى اللغة الأجنبية قبل التفكير بالمشاركة في أي مهرجان.

■ في زمن العولمة والانترنت وتعدد وسائل التواصل والترفيه، هل يستطيع المسرح الاحتفاظ بمكانته في أسر قلب الجمهور؟

■■ لقد صمد المسرح أمام كل التحديات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية منذ آلاف السنين ولم ينهزم أو يتقهقر وبقي حياً إلى يومنا هذا في كل أنحاء العالم، فقد ازدهر المسرح الإغريقي في القرن الخامس قبل الميلاد في اليونان القديمة، وبلغ أوجه آنذاك في عهد اسخيليوس وسوفوكليس ويوربيدس وأرسطوفانيس مروراً بعصر النهضة الأوربية فكان شكسبير العظيم وموليير وراسين وكورنيي ولوبدوفيجا وصولاً إلى المسرح الحديث الذي بدأ مع ابسن وشيخوف وغوغول ودورينمات وبرخت ومؤسس نظرية فن إعداد الممثل في العصر الحديث ستانسلافسكي، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتاب والمخرجين لا مجال لذكرهم هنا، كل هؤلاء ساهموا في بقاء المسرح وخلوده عبر التاريخ ليتصدر كل الفنون ويأخذ لقب "أبو الفنون" بجدارة، والسبب الأساسي لاستمرار هذا الفن العظيم هو تأثير المسرح على المشاهدين بشكل مباشر وتقريب المشاعر الإنسانية بشكل جمعي ضمن حالة الإبداع البصرية الجمالية برؤية فكرية وفنية توجد علاقة بين المشهد المسرحي الحي على خشبة المسرح والمشاهد في الصالة، هذه العلاقة تنتج حالة تحريضية تؤثر على المشاهد وتطرح عليه مجموعة من الأسئلة يحملها معه إلى بيته وحياته الاجتماعية، وتبقى هذه الأسئلة تدور في عقله الباطن إلى أن يجد إجابات لها، ومن ثم يبدأ في تقييمها في عقله اليقظ والناقد. لذلك لا مجال على الإطلاق أن نقارن بين ما يشاهده الناس في الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وبين المسرح، إن مشاهدة أي عمل فني في الانترنت يفتقد إلى كل ما ذكرته على المسرح، فمواقع التواصل الاجتماعي لا تحقق للإنسان حالة تواصل جماعية إنسانية وإبداعية مفرحة، بل على العكس تماماً فهي غالباً ما تقضي على الإنسان وتحوله إلى كائن فردي حزين وكئيب، وهذا ما نلمسه بشكل مباشر من خلال الكثيرين الذي أدمنوا الجلوس لساعات طويلة أمام جهاز الكومبيوتر. نعم ما زال المسرح يأسر قلوب الناس في كل مكان في العالم إذا ما توفرت الشروط المناسبة له، بدليل أن المسرح في الدول المتطورة يحقق حضوراً كبيراً بحيث يذهب

الناس ليحصلوا على بطاقات ويحجزوا مقاعد لهم قبل أشهر ليتمكنوا من مشاهدة العرض المسرحي الجديد.

■ ما هي أهم المعوقات التي يعاني منها المسرح السوري حالياً ؟ وهل تقوم المؤسسات الثقافية الرسمية المعنية بدورها في إنعاش المسرح كحالة ثقافية إنسانية اجتماعية وجدانية ؟

■■ إن واقع المسرح السوري يشبه واقع المسرح العربي بشكل عام ولكنه أكثر سوءاً، فكما أسلفت من قبل، السنوات العشر الأخيرة كانت بمثابة كابوس فظيع للشعب السوري، وقد أثر ذلك على كل المجالات الحياتية والاجتماعية والثقافية، ومن الطبيعي أن يكون المسرح الأكثر تضرراً لأنه يحتاج إلى عوامل تريح الفنان حتى يستطيع العمل في المسرح ويقدم ما هو قيم وجدير بالمشاهدة، ومع ذلك نحن لم نتوقف هنا في حلب، حين كنا نقوم بالبروفات أو نعرض مسرحية للجمهور كانت القذائف تتساقط حول المسرح الذي كنا نعرض فيه عملنا، لكننا لم نوقف العرض! كذلك الجمهور كان شجاعاً ولم يغادر الصالة، وإذا كان هناك موقف يدعو للضحك! كان الجمهور يضحك بصوت عال وتطغى ضحكاته على أصوات القذائف، كأن تلك الضحكات تسخر منها، بل كانت تنتصر عليها وعلى أصحابها، هذه كانت واحدة من أصعب المعوقات، الحالة الأمنية، وانتصرنا عليها، وكانت إرادة الحياة عندنا أن نقدم أعمالنا المسرحية وسط ساحة الحرب، فلم نخف ولم نهزم. ثم جاء الحصار الاقتصادي، فأصبحت الظروف أصعب من قبل لتقديم عرض مسرحي كما كنا نتمنى أن نقدمه، وهذه واحدة من أكثر المعوقات التي يعاني منها المسرح السوري حالياً، فالميزانيات وأجور الفنانين التي تضعها مديرية المسارح لإنتاج المسرحيات في المسارح القومية على مستوى القطر قليلة جداً، بل شحيحة لدرجة أننا نتدبر أمر العرض المسرحي ونأخذه على عاتقنا، فنتحايل على الديكور ومستلزمات العرض من إكسسوارات وملابس ..إلخ، وأغلب الأحيان نجلبها من بيوتنا، أما الأجور التي نتقاضاها عن الأعمال التي نقدمها فهي لا تغطي التكاليف التي نضعها من جيوبنا من مواصلات ونثريات أخرى، على عكس العمل في التلفزيون الذي يجلب للفنانين الشهرة والمال، لذلك نجد أغلب الفنانين يرغبون بالعمل في التلفزة ويهربون من العمل في المسرح، لأنه يشهرهم ويجعلهم أثرياء، أما المسرح فلا يجلب لهم سوى الفقر، ومن ثم التحول إلى فنانين مغمورين منسيين لا أحد يتذكرهم سوى قلة من المهتمين بالمسرح، الوضع الاقتصادي لم يؤثر على إنتاج الأعمال المسرحية فقط، بل

أثر على الجمهور المسرحي الذي بدونه لا معنى لتقديم أي عمل مسرحي، ضمن هذه الظروف القاسية نحاول أن ندعو أصدقاءنا لحضور عروضنا المسرحية لكن أغلبهم لا يحضرون فالمشكل ليست في سعر البطاقة أو توجيه الدعوة لهم ، أصلاً عروضنا مجانية، بل الأوضاع الاقتصادية التي يعاني منها الناس بشكل عام، فإن حضور عرض مسرحي يكلف المشاهد آلاف الليرات فقط للوصول إلى المسرح والعودة إلى بيته بعد العرض، فهو يعاني أصلاً من ارتفاع تكاليف المعيشة التي لا يستطيع تأمينها له ولأسرته، هذا الواقع البائس لا يشجع الفنانين المختصين الاستمرار في العمل في المسرح لأنه يتحول إلى فعل عبثي لا معنى له، وبعد تقديم عدة أعمال من قبل المختصين وشعورهم بعدم الجدوى الاستمرار، يتوقفون عن العمل، وهنا يظهر على السطح أشخاص غير مختصين، بل أكثر من ذلك، قسم كبير منهم لم يكملوا دراستهم، ففي أحسن الأحوال إما يحملون الشهادة الإعدادية أو الثانوية، أو لا يحملونها، وهكذا فالعملة الرديئة تطرد العملة الجيدة، وهؤلاء يرغبون في العمل من أجل أن يقولوا أنهم يعملون في المسرح القومي رغم عدم توفر أية مؤهلات لديهم تمكنهم من تقديم عرض مسرحي على مستوى العروض السابقة للمسارح القومية في القطر، وهذا الأمر هو في غاية الخطورة لأن المسرح في هذه الحالة يتراجع ويتخلف ويتم تقديم أعمال سريعة دون دراسة أو معرفة وباستسهال كبير، فيتحول إلى مجرد تسجيل نشاط سنوي بعدد معين من المسرحيات، والكم يطغى على النوع.

أما المؤسسات الثقافية الرسمية المعنية بدورها في إنعاش المسرح عندما نسأل القائمين عليها ونطالبهم بتحسين هذا الواقع المتردي! فيجيبونك جواباً واحداً فقط: هذه هي الإمكانيات المتوفرة لدينا، بعد ذلك لا نستطيع أن تفعل أي شيء فننسحب بهدوء ونتذكر مسرحة صموئيل بيكت "بانتظار غودو".

■ ما هي نصيحتكم للشباب الذين يخطون خطواتهم الأولى على دروب العمل المسرحي؟ تأليفاً أو تمثيلاً أو إخراجاً؟

■■ نصيحتي للشباب الذين يرغبون في العمل في المسرح إذا كانوا هواة من غير طلاب المعهد المسرحي أو ممن تخرجوا منه، أنصحهم بالقراءة والاطلاع على تاريخ المسرح العالمي والعربي والسوري بكل اتجاهاته ومذاهبه، وقراءة النصوص المسرحية الهامة بشكل دائم، كذلك مشاهدة أهم التجارب المسرحية في العالم من خلال الانترنت، ومحاولة الاستفادة منها وليس تقليدها، وتطوير إمكانياتهم

سواء في التمثيل أو الإخراج أو الكتابة، تحت إشراف مختصين، أو الانضمام لفرقة مسرحية جادة وليس تلك الفرق التجارية التي تقدم أعمالاً هابطة من أجل الريح، وأهم شيء أن يعملوا بروح الهواة مهما كبر شأنهم في المستقبل، وأن لا يربطوا مصير حياتهم ومعيشتهم بالمسرح، ليكن المسرح بالنسبة لهم هواية جميلة يهدفون من خلاله تقديم الفائدة والمتعة للجمهور إلى جانب عملهم الأساسي في الحياة الذي يؤمنون من خلاله حياتهم ومعيشتهم، فكما أسلفت المسرح لا يطعم خبزاً لمن يعمل فيه ولكنه يقدم خبز الحياة في التعبير والتغيير وتطور المجتمعات، وكما قال المسيح "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان" أما إذا كانوا من طلاب المعهد العالي للفنون المسرحية أو من خريجيه، فإنني لا أستطيع أن أنصحهم بشيء، فقد عملت لفترة من الزمن أستاذاً في المعهد وأعرف كيف يفكرون، فهم يدرسون المسرح مدة أربع سنوات ويتلقون كل علوم المسرح طوال فترة دراستهم، وبعد أن يتخرجوا من المعهد يعملون في عدة أعمال مسرحية إلى أن يرتبوا أوضاعهم للعمل في التلفزيون، ومن ثم ينسون أنهم درسوا المسرح لكي يعملوا فيه لا أن يكون جسراً للعمل في الدراما التلفزيونية، كذلك لا أحد منهم يعود إلى مدينته بعد تخرجه لكي يقوم بواجبه الإنساني والوطني في تطوير هذا الفن، لأنه أصلاً منذ أن غادر مدينته وقبل في المعهد ، حرق السفينة التي قدم بها حتى لا يعود مرة أخرى إليها!

■ هل مازال المسرح ضمن قائمة اهتمامات الشباب؟ أم أنكفأ لصالح السينما؟

■■ لدي قناعة تامة أن المسرح سيظل من أولويات كل الأجيال عبر كل العصور ومن ضمنهم جيل الشباب طبعاً، لأنه لا شيء يوازي التعبير والتواصل مع الناس كما هو الحال في المسرح مقارنةً مع كل الفنون الأخرى، أنا عضو لجنة القراءة والمشاهدة في المنطقة الشمالية وسنوياً يصلنا أكثر من خمسين نصاً للقراءة، ومعظم هذه النصوص هي من تأليف الشباب، ولكن المشكلة أن هؤلاء الشباب لا يكتبون فقط، بل يرغبون في التأليف والإخراج والتمثيل في نفس الوقت، وهدفهم الأساس أن يقوموا بالتعبير عن أنفسهم في كل مجالات المسرح دفعة واحدة، لكن رغبتهم لا تتوافق مع إمكانياتهم، فأغلب هؤلاء الشباب لا يملكون العناصر الفنية الأساسية في المسرح التي تساعدهم على التأليف والإخراج والتمثيل، فهم يفتقدون المعرفة العلمية في مجال المسرح بشكل خاص والثقافة بشكل عام، ولا يمتلكون حتى التجربة العملية في المسرح، كذلك هناك ضعف في التجربة الحياتية وعدم البحث عن قيم جوهرية للمجتمع والتعبير عنها وعن معاناتها

ومشاكلها، هم فقط يحاولون التعبير عن ذواتهم ومشاكلهم وكأنها منفصلة عن المجتمع الذي يعيشون فيه، هم يفتقدون إلى "اكتشاف القيم والقيم تاريخياً" حسب تعبير بريخت، لذلك يقعون في الذاتية المفرطة، ومن هنا لا يستطيعون اكتشاف اللحظة الفنية الجميلة والحقيقية، والتي يمكن أن تعبر عن طبيعة مجتمعاتنا، بالإضافة إلى أنهم يفتقرون إلى المقومات الأساسية والتقنيات الفنية في المسرح بشكل عام، وعلى الشباب أن يبذلوا جهداً كبيراً حتى يحصلوا على كل ما ذكرته أعلاه، ومن ثم يحق لهم أن يخوضوا في كل مجالات المسرح، المسرح بحر كبير وعلينا أن نتعلم السباحة جيداً قبل أن نسبح فيه ونصارع أمواجه، حتى لا نغرق ونتحول إلى ضحية مجانية، أما توجه الشباب نحو السينما فهذا أمر طبيعي نتيجة التطور في تقنيات التعبير التي أصبحت سهلة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ولكن ما ينطبق على المسرح ينطبق على السينما أيضاً، فكم هو عدد الشباب الذي استطاعوا أن يحققوا ذاتهم في السينما؟ وما هي إنجازاتهم في هذا المجال؟ أنا أؤمن بأنه لا أحد يستطيع أن يأخذ مكان أحد، فكل فنان موهوب له مكانته، وكل فن أصيل له مكانته، وليست هناك قوة تستطيع أن تزيح الآخر من مكانه رغم كل المتغيرات والكوارث التي تعصف بالعالم.



لهم وحدهم

إلى أدباء حمص الرّاحلين والمخرج المسرحي محمد بري العواني

منير خلف

لهم وحدَهُمْ
يُطفئُ القلبُ شمعةَ أفراحِهِ،
سوف ينزفُ سبعَ ليالٍ
بأحرفها الدّامعاتِ
شحوبَ المعاجمِ والكلماتْ.

لهم وحدَهم
تبحثُ المفرداتُ صباحاتِ حمصَ
نهاراتِها ..
ومساءً ثقيلَ الغروبِ
انتظارَ المواسمِ في فصلها المتجهّم
تبحثُ عن مفرداتْ.

لهم وحدَهم،
.. سبعةٌ
لا يمسُّ حريرَ غياباتهم
غيرُ دمع الفراقِ من الأهل

والإخوة الحاضرينَ،
أيعلمُ هذا المساءُ
بأنَّ الذينَ مضَوا: نحنُ .. أنتَ .. أنا ؟
والبكاءُ الذي غُصَّ في أعين الغائبينَ
وهذي القصيدةُ
في سعيها الآنَ
تصعدُ ظلَّ الفواتْ.

لهم وحدَهم
سوف تبكي كمنجاتُ "طالبَ همّاشَ"
عشتارَ مطلقَ
معنى الخريف لشاعرها الفهْدِ
وهو يذاكرُ ألحانَ بريّ العواني
تصوُّفَ حلّاقَ
سلطانَ غازي وأسرارَهُ المنتقاةَ
فواتحَ نبهانَ
آثارَهُ في البلاغةِ،
جرّاشَ شاعرَ حمصَ الجميلَ ..
دروبَ ارتقاءِ
على محمل الفقد
للأنجم الطّالعاتْ.
لهم ولكم ولنا
ولهذي الوجوه المحنّاة بالحبّ
نبني
نحاول إنباتَنا المتورّدَ

تشكيلَ ما نستطيعُ من الغد
في سعفِ الممكناتْ.

لهمْ وحدَهم
تتزيّنُ كلّ المعاني
وتخجلُ في خفَر الياسمين
صبايا الكلامِ: حرائرُ حبر المحاجرِ،
صمتُ المجرّاتِ
دمعُ القرنفل
سربُ القطا
وغناءُ الحواصدِ
قبل الرجوع إلى البيت،
كلُّ الذينَ يقيمون
في وطنِ الرّوحِ شمعاً
يحاربُ جيشَ الظلامِ
على أرضنا بالحياةْ.

دمشق 6 / 7 / 2021